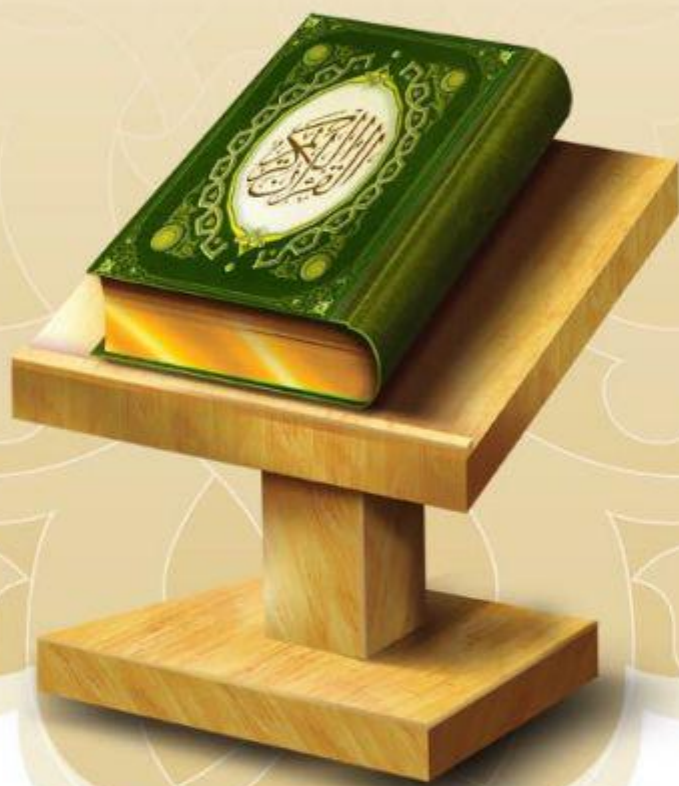


القواعد المثلى للتدبير



تأليف
أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ، فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

وبعد فإن الله تبارك تعالى أنزل القرآن هدى للناس، وشفاء لما في الصدور، وكشفًا للغموم، وراحة لكل مصدور، ودواء لكل داء، وسلوى لكل محزون.

وجعله الله تعالى عصمة لمن تمسك به الفتن، وهاديًا من الضلال، فيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَابِ

إِلَى الرُّشْدِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وهو خَيْرُ جَلِيسٍ، وأفضلُ أَنِيسٍ، أوثقُ شَافِعٍ، وأكرمُ صَاحِبٍ، وهو سبيلُ الرِفْعَةِ، وسببُ
الزَلْفَى، وأمانُ الخائفين، ودليلُ الحائرين، ودستورُ الحياة، وحبْلُ النجاة، لمن تمسك به.

قال الشاطبي رحمه الله:

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ***** وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاً
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ***** وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاغُ فِي ظُلْمَاتِهِ ***** مِنْ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنَاءً مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً ***** وَمَنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى
يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لِحَبِيبِهِ ***** وَأَجْدِرُ بِهِ سُؤلاً إِلَيْهِ مُوَصَّلاً

وإنما أنزل الله تبارك وتعالى كتابه ليكون منهج حياة للعباد، ودستورًا ينظم شؤونهم، ومنارًا
يستضيئون به في دروبهم، ويتبعون الله تعالى به تلاوةً وتدبرًا وعملاً.

وهذه الكلمات عبارة عن دروس في التدبر، المراد منها تسليط الضوء على معنى من المعاني
العظيمة في الآيات، لاستخلاص العبرة والعظة، وللخروج بدروس مستفادة منها، والله أسأل التوفيق
والسداد والقبول.

فاحرص رعاكَ اللهُ أَنْ يكون لك حظٌّ من كتاب الله تعالى تلاوةً، وتدبرًا، وحفظًا، عملاً،
فإنه عز الدارين، وجنةُ الدنيا، ونعيمها المقيم، وسببُ محبةِ الرحمن الرحيم.

واحرص على أن يظهر أثرُ القرآنِ عليك، فتُعرف بليلىك إذ الناس نائمون، وبنهارك إذ الناس
يلعبون، وبجهدك إذ الناس في غفلتهم ساهون، وبعزمك إذ الناس مفرطون متهاونون.



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفى دياب

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ مَاذَا زَرَعَ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ رَيْعُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَنَّ الْعَيْثَ رَيْعُ الْأَرْضِ، وَقَدْ يَنْزِلُ الْعَيْثُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَيُصِيبُ الْحَشَّ فَتَكُونُ فِيهِ الْحَبَّةُ فَلَا يَمْنَعُهَا نَتْنٌ مَوْضِعِهَا أَنْ تَخْضَرَ وَتَهْتَرَّ وَتَحْسَنَ، فَيَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ مَاذَا زَرَعَ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ؟^١

وقال وهيب بن الورد رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل لرجل ألا تنام؟ قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي.^٢
وصحب رجلٌ رجلاً شهريين فلم يره نائماً فقال: مالي لا أراك نائماً قال: إن عجائب القرآن أطرن نومي ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت في أخرى.^٣

وقال أحمد بن الحواري رَحِمَهُ اللَّهُ: إني لأقرأ القرآن، وانظر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به، واستحلوا المناجاة به؛ لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا.^٤

وقال ذو النون المصري:^٥

منع القرآن بوعده ووعيده ***** مقل العيون بليها لا تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ***** فهمّا تذل له الرقاب وتخضع

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِإِكْبَائِهِ إِذَا النَّاسُ

١ - التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٦٨)

٢ - لطائف المعارف (ص: ١٧٣)

٣ - لطائف المعارف (ص: ١٧٣)

٤ - لطائف المعارف (ص: ١٧٣)

٥ - لطائف المعارف (ص: ١٧٣)



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفي دياب

يَضْحَكُونَ، وَبَصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلُطُونَ، وَيَحْشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ « قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً، « لَا صَحَابًا وَلَا صَيَّاحًا وَلَا حَدِيدًا » ١.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَخُوضَ مَعَ مَنْ يَخُوضُ، وَلَا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَصْفَحُ لِحَقِّ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ فِي جَوْفِهِ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى ٢.

وقال ابن القيم رحمه الله: وَأَمَّا التَّأْمُلُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاطِرِ الْقَلْبِ إِلَى مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَى تَدْبِيرِهِ وَتَعْقُلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدْبِيرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾، [ص: ٢٩] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾، [محمد: ٢٤] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾، [المؤمنون: ٦٨] وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، [الزخرف: ٣] وَقَالَ الْحَسَنُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيَتَدَبَّرَ وَيُعْمَلَ بِهِ. فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأْمُلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلَعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَائِرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَعَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِهِمَا، وَتَتَلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُنَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُجِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاعِطِ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِحِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ

١ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٣٥٥٨٤

٢ - تفسير القرطبي (١ / ٢١)



القواعدُ المُثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

وسيمائهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه،
وافتراقهم فيما يفترون فيه.^١

وقال القرطبي رحمه الله في آداب حامل القرآن: وَيَبْغِي لَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ، فَيَفْهَمَ
عَنِ اللَّهِ مُرَادَهُ وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِ، فَيَنْتَفِعَ بِمَا يَقْرَأُ وَيَعْمَلُ بِمَا يَتْلُو، فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِمَا لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ،
وَمَا أَقْبَحَ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ فِقْهِ مَا يَتْلُوهُ وَلَا يَدْرِيهِ، فَمَا مَثَلُ مَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ إِلَّا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا.^٢

وقال رحمه الله في باب ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته: وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ
يَسْتَعْمَلَ فِيهِ ذِهْنَهُ وَفَهْمَهُ حَتَّى يَعْقِلَ مَا يُخَاطَبُ بِهِ. وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ يَقِفَ عَلَى آيَةِ الْوَعْدِ فَيَرْغَبَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْ يَقِفَ عَلَى آيَةِ الْوَعْدِ فَيَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنْهُ.^٣

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

وبعد فهذا جهدي فإن أصبت فمن الله وله الفضل، وإن أخطأت فمن نفسي ومن
الشیطان، والله ورسوله منه بريئان، والحمد لله أولاً وآخراً.

وكتبه سعيد بن مصطفى دياب

الدوحة في: ٦ من شوال / ١٤٤١ هـ

الموافق: ٢٩ مايو / ٢٠٢٠ م

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٤٥٠)

٢ - تفسير القرطبي (١ / ٢١)

٣ - تفسير القرطبي (١ / ٢٧)



معنى تدبر القرآن

معنى تدبر القرآن هو: أن تعلم أنك مخاطب بكلام الله تعالى، فتصغي له بأذن قلبك، وتتأمله بعين فؤادك، فإذا وعيت عن الله تعالى قوله، وفهمت من كلامه مراده، وتشرب قلبك معانيه، فانهض لامتثال أوامره، واجتنب نواهيه، حتى يُرى القرآن في سمك، وتصطبغ به أخلاقك، ويظهر أثره على قولك وفعلك.

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِي بِحُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: "كَانَ حُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾" ١.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا التَّأَمُّلُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ تَحْدِيقُ نَاطِرِ الْقَلْبِ إِلَىٰ مَعَانِيهِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ عَلَىٰ تَدْبِيرِهِ وَتَعْقُلِهِ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِإِنزَالِهِ، لَا مُجَرَّدُ تِلَاوَتِهِ بِلَا فَهْمٍ وَلَا تَدْبِيرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ٢.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٣.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ ٤.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٥.

وَقَالَ الْحَسَنُ: نَزَلَ الْقُرْآنُ لِيُتَدَبَّرَ وَيُعْمَلَ بِهِ. فَاتَّخِذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا.

١ - سورة القلم: الآية/ ٤، رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٦٠١، بسند صحيح

٢ - سورة ص: الآية/ ٢٩

٣ - سورة محمد: الآية/ ٢٤

٤ - سورة المؤمنون: الآية/ ٦٨

٥ - سورة الزخرف: الآية/ ٣



وقال ابن القيم رحمه الله: فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلَعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَدْفِ بِيْرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَالَ أَهْلِهِمَا، وَتَتَلُّ فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُنَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشِيدُ بُنْيَانَهُ وَتُوطِدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُخَضِّرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعَبْرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدَلَ اللَّهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعْرِفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُجِبُّهُ وَمَا يُنْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوَصِّلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاعِطَ الطَّرِيقِ وَأَفَاتِحَهَا، وَتُعْرِفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتَهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعْرِفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَأَفْتِرَاقَهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ.^١

وعن أبي الحسين بن حبيش وذكر أبا العباس بن عطاء فقال: كان له في كل يوم ختمة وفي شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات وبقي في ختمة يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة فمات قبل ان يختمها.

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الله الفرغاني: قال أبو العباس بن عطاء: يا أبا جعفر لي من سنين كثيرة ذكرها كل يوم ختمة لا تفوتني ولي في شهر رمضان كل يوم وليلة ثلاث ختمات ولي ختمة منذ أربع عشرة سنة ما بلغت النصف منها يريد الفهم منها.^٢

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠)

٢ - صفة الصفوة (١/ ٥٣٣)



مِنْ فَوَائِدِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ فَهْمُ مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْآيَاتِ

مِنْ فَوَائِدِ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ فَهْمُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مَقْصَدٌ عَظِيمٌ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^١.
قال ابن كثير رحمه الله: أَي: نُبَيِّنُهَا وَنُوضِّحُهَا وَنُفَرِّغُهَا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أَي: يَفْهَمُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ عَنِ اللَّهِ آيَاتِهِ وَحُجَجَهُ وَبَرَاهِينَهُ.^٢

فإن الذي لا يفهم القرآن لا ينتفع بما فيه، من حُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ، وَحِكْمٍ وَأَمْثَالٍ، وَقِصَصٍ وَأَحْكَامٍ.

ومما يدل على أن تدبر القرآن وفهم معانيه من مقاصد الشرع ما ثبت عن عبد الله بن عمرو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ»^٣.

والفهم لكتاب الله تعالى هو الذي قدم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حتى كان يجالس الأشياخ من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس عمر رضي الله عنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيْتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِثِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا...﴾ حَتَّى حَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي، أَوْ لِمَ يَقُلُ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَّاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٦٥

٢ - تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٧)

٣ - رواه أبو داود- كِتَابُ الصَّلَاةِ، أَبْوَابُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْرِيبِهِ وَتَرْتِيلِهِ، بَابُ تَحْرِيبِ الْقُرْآنِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٣٩٤، وَالتِّرْمِذِيُّ- أَبْوَابُ الْقِرَاءَاتِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٩٤٩، بِسْنَدٍ صَحِيحٍ



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَاب

وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتُح مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلامَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»^١.

قال ابن القيم رحمه الله:

فتدبر القرآن إن رمت الهدى **** فالعلم تحت تدبير القرآن

لذلك أشدُّ عقوبةً يمكن أن يُعاقبَ بها إنسانٌ في الدنيا أن يصرفه الله تعالى عن فهم كتاب
الله تعالى؛ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي
الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ﴾. [الأعراف: ١٤٦]، قَالَ: "أَنْزَعُ عَنْهُمْ فَهَمَ الْقُرْآنِ، فَأَصْرِفُهُمْ عَنْ آيَاتِي"^٢.

لذلك أشد الناس بِلَادَةً وَقَلَّةً فَهَمُّ هُمُ الْمُنَافِقُونَ لِأَنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ وَعَنِ تَدْبِيرِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا
لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^٣.

وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: "ثَلَاثٌ أَحْبَبُهُنَّ لِنَفْسِي وَإِلْحَوَائِي: هَذِهِ السُّنَّةُ أَنْ يَتَعَلَّمُوها وَيَسْأَلُوا عَنْهَا،
وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوها وَيَسْأَلُوا عَنْهُ، وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ"^٤.

قال ابن القيم رحمه الله: فما أشدها من حسرة وأعظمها من غيبة على من أفنى أوقاته في
طلب العلم ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن ولا باشر قلبه أسراره ومعانيه.^٥

١ - رواه البخاري - كتاب المعازي، باب، حديث رقم: ٤٢٩٤

٢ - رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة - ما دُكِرَ مِنَ الْفَضْلِ فِي الْمُتَفَكَّرِ فِي ذَلِكَ، حديث رقم: ٥٨

٣ - سورة محمد: الآية/ ١٦

٤ - صحيح البخاري - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩/ ٩٢)

٥ - بدائع الفوائد (١/ ١٩٤)



تحقيق الخشية من الله تعالى:

ومن فوائد تدبر القرآن استحضار عظمة الله تعالى، واستشعار خشيته من جلال كلامه، وعظيم خطابه، ووقع ألفاظه، التي تكاد تنخلع لها قلوب المؤمنين حال الترهيب، وتطرب لها غاية الطرب حال الترغيب، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُقُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^١.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٢.

ومن كان بالله تعالى أعلم كان له أشد خشية، لذلك أعظم الناس خشية لله تعالى هو النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أعلم الناس بالله تعالى وبكلامه.

ولا يتحقق ذلك أعني تأثر القلب بكلام الله تعالى وهو غافلٌ ساهٍ لاهٍ معرضٌ عنه منشغلٌ بغيره، وهذه هي العلة في أن عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وَرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتُخِيفُهُ، فَيَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا يُعَادُ، يَحْسَبُونَهُ مَرِيضًا، وليس به مرضٌ.

وَقَرَأَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سُورَةَ الطُّورِ إِلَى أَنْ بَلَغَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾^٣.

فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاءُهُ حَتَّى مَرَضَ وَعَادُوهُ.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمَسْيطِرُونَ﴾" قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.^٤

١ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَةُ/ ٢٣

٢ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الْآيَةُ/ ٢٨

٣ - سُورَةُ الطُّورِ: الْآيَةُ/ ٧٧

٤ - رواه البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. سورة ق:

الآية/ ٣٩، حديث رقم: ٤٨٥٤



وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِإِكْبَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِحُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِئًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سَكِينًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً، لَا صَحَابًا وَلَا صِيَّاحًا وَلَا حَدِيدًا.^١

وقال ذو النون المصري:^٢

منع القرآن بوعدده ووعيده ***** مقل العيون بليها لا تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ***** فهمًا تذل له الرقاب وتخضع

تيسيرُ العملِ بالقرآنِ:

ومن فوائد تدبر القرآن تيسير العمل به، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يُعْرَتُكُمْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ يُتَكَلَّمُ بِهِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ».^٣

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ضَمِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ، وتلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي فَانْصُرْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.^٤

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رِسَالًا مِنْ رَبِّهِمْ؛ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَدُونَهَا فِي النَّهَارِ.^٥

١ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٣٥٥٨٤

٢ - لطائف المعارف (ص: ١٧٣)

٣ - رواه سعيد بن منصور في التفسير - فضائل القرآن، حديث رقم: ١٢٧

٤ - سورة طه: الآية / ١٢٤

٥ - التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٥٤)



وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، ثم تلا الآية. ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^١.

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته:

قال ابن القيم رحمه الله: وبالجملة تُعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه.

وتُعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.

فهذه سنة أمور ضروري للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطاعتها، فتشاهده الآخرة حتى كأنه فيها، وتغيبه عن الدنيا حتى كأنه ليس فيها، وتميز له بين الحق والباطل في كل ما اختلف فيه العالم. فترى الحق حقا، والباطل باطلا، وتُعطيه فرقا وتورا يفرق به بين الهدى والضلال، والعي والرشاد، وتُعطيه قوة في قلبه، وحياة، وسعة وانشراحا وبهجة وسورا، فيصير في شأن الناس في شأن آخر.^٢

قال ابن القيم رحمه الله: فلا تزال معانيه تنهض العبد إلى ربه بالوعد الجميل، وتُخدره وتُخوفه بوعيده من العذاب الويل، وتُحثه على التضرر والتخفف للقاء اليوم الثقيل، وتهديه في ظلم الآراء والمذاهب إلى سواء السبيل، وتصدده عن افتتاح طرق البدع والأضاليل وتبعثه على الإزدياد من النعم بشكر ربه الجليل، وتبصره بمحدود الحلال والحرام، وتوقفه عليها لئلا يتعداها فيقع في العناء الطويل، وتثبت قلبه عن الزرع والميل عن الحق والتحويل، وتسهل عليه الأمور الصعبة

١ - سورة طه: الآية / ١٢٤

٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠)



وَالْعَقَبَاتِ الشَّاقَّةَ غَايَةَ التَّسْهِيلِ، وَتُنَادِيهِ كُلَّمَا فَتَرَتْ عَزَمَاتُهُ وَوَنَى فِي سَيْرِهِ تَقَدَّمَ الرَّكْبُ وَفَاتَكَ الدَّلِيلُ، فَاللِّحَاقَ اللَّحَاقَ، وَالرَّحِيلَ الرَّحِيلَ، وَتَحْدُو بِهِ وَتَسِيرُ أَمَامَهُ سَيْرَ الدَّلِيلِ.^١

التدبرُ سببُ انشراحِ الصِّدْرِ ومفتاحِ حياةِ القلبِ:

والتدبر من أعظم أسباب انشراح الصدر، وبقدر وقوف العبد على دقائق معاني كلام الله تعالى، يكون انشراح صدره، وبقدر تدبره لكلام الله تعالى تكون استنارة بصيرته، وتكون هدايته، وحياة قلبه؛ قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللهُ: ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب.^٢

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١ / ٤٥١)

٢ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٦٩)



الفرقُ بينَ التفسيرِ والتدبرِ

التفسيرُ لغة: "تفعيل" من الفسر، وهو البيانُ والكشفُ.

واصطلاحًا: علمٌ يفهمُ به كتابُ الله المُنزَلُ على نبيهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيَانُ
معانيه، واستخراجُ أحكامِهِ وحكمِهِ.^١

وأكثرُ استعمالِهِ في الألفاظِ ومفرداتها.

والتدبرُ لغة: النظرُ في عواقبِ الأمورِ وأدبارها، مشتقٌّ من الدبرِ وقيل:

لا يعرفونَ الأمرَ إلاَّ تدبرًا

أي: لا يعرفونَ الأمرَ إلاَّ بعدَ ما مضى.

واصطلاحًا:

تأملُ دلالاتِ معاني الآيات، بإجالةِ الفكرِ وإمعانِ النظرِ فيها، وربطها بغيرها من الآيات،
لاستنباطِ المعنى المراد، وتنزيله على الواقع.

قال ابن عاشور: التدبرُ مشتقٌّ من الدبرِ، أي الظَّهرِ، اشتقوا من الدبرِ فعلًا، فقالوا: تدبرَ
إذا نظرَ في دبرِ الأمرِ، أي في غائبه أو في عاقبته، فمعنى: ﴿يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: يتأملونَ دلالاته،
على مقاصده التي أرشدَ إليها المسلمون.^٢

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٣)

٢ - التحرير والتنوير (٥/ ١٣٧، ١٣٨)



شُرُوطُ التَّدَبُّرِ:

حتى يكون التدبرُ صحيحًا لابد من توفرِ شُرُوطٍ أربعةٍ:

الأول: ألا يناقض هذا المعنى المستنبط المعنى الحقيقي للآية.

الثاني: أن يكون هذا المعنى المستنبط صحيحًا في نفسه.

الثالث: أن يكون في الآية ما يدل عليه.

الرابع: أن يكون بين المعنى المستنبط وبين معنى الآية الظاهر ارتباط وتلازم.



القاعدةُ الأولى (أنتَ المُخاطَبُ بالقرآنِ)

أنتَ المُخاطَبُ بالقرآنِ الكريمِ بوعده ووعيد، بأمره ونهي، بما فيه من حكم وأمثال، بما فيه من ترغيب وترهيب، فالواجب عليك أن تحسن استقبال ما يأتيك من الله تعالى، فتستبشر بوعده، وتفرح بترغيه، وتهفو نفسك للجنة إذا ذكرت، وتشتاق لما فيها من نعيم، وتكون أسرع الناس امتثالاً للأمر إذا أمرت.

وترتعد فرائصك لوعيده، ويرتجف فؤادك لترهيبه، وتسيل عبراتك خوفاً من عذاب الله إذا ذكر، ويلهج لسانك بدعاء الله أن ينجيك منه: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^١.

وتكون أسرع الناس اجتناباً للنهي إذا نهيت، لسان حالك: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^٢.

إذا ذكّر الصالحون كنت أحرص الناس على أن تتحقق فيك صفاتهم، وإذا ذكّر المنافقون كنت أحرص الناس على ألا يكون فيك شيء من صفاتهم، إذا تحقق فيك ذلك كنت في رياض القرآن النضرة، تتفيء ظلاله الوارفة، وتشرب من ينابيعه الصافية، وتشتشق عيره العطر، حتى يخالط لحمك ودمك، فتستغني به عما سواه، ولا تجد لذتك إلا في حديثه ونجواه.

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ***** وَأَغْنَى عَنَاءٍ وَاهِباً مُتَقَضِّلاً

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يَمَلُّ حَدِيثُهُ ***** وَتَزْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجْمُلاً

أتى رجلٌ عبدَ الله بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه فقال: اعهدْ إليّ، فقال: "إذا سمعتَ اللهُ تعالى يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فأزعها سمعَكَ؛ فإنه خيرٌ يأمرُ به، أو شرٌّ ينهى عنه"^٣.

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٦٥، ٦٦

٢ - سورة طه: الآية/ ٨٤

٣ - رواه أحمد في الزهد- في فضل أبي هريرة رحمه الله تعالى، حديث رقم: ٨٦٦



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

فإن العبد إذا استشعر أنه المخاطب بكلام الله تعالى، سيتأثر به حتمًا، فتفيض له عينه، ويطمئن له قلبه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^١.

وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^٢.

فإذا قرأت مثلًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٣.

إذا كنت تعلم أنك مخاطب بهذه الآية، أفستغلق عليك بابك لتعصي الله عز وجل، هل ستستتر لتذنب؟

والجواب لا.

لأنك تعلم أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

لا شك أن المجاهرة بالذنب من أعظم أسباب الهلاك، ولكن المقصود من الكلام ألا تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك.

فإذا استحييت من الخلق فالله تعالى أولى أن تستحيي منه، والله عز وجل أحق بالمراقبة.

١ - سورة الرعد: الآية / ٢٨

٢ - سورة الزمر: الآية / ٢٣

٣ - سورة آل عمران: الآية / ٥



الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ (تَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ وَتَخَلَّى عَنِ الرِّذَائِلِ)

التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل له أثر عظيم جد عظيم في تدبر كلام الله تعالى، وفهم معانيه، والاتصاف بقبيح الصفات، ومساوئ الأخلاق له أثر عظيم جداً في طمس نور البصيرة، وتبليد الشعور، وجمود العين، وقسوة القلب، وأخطر هذه الصفات على العبد، وأقبحها أثراً على الإنسان صفة الكبر؛ كما قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^١.

قَالَ قَتَادَةُ: سَأَمْنَعُهُمْ فَهَمَّ كِتَابِي^٢.

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: أَنْزَعُ عَنْهُمْ فَهَمَ الْقُرْآنِ، وَأَصْرِفُهُمْ عَنْ آيَاتِي^٣.

والكبر سبب في حرمان العلم عموماً كما قال مجاهد: «لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحِيٌّ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ»^٤.

ومن شؤم الكبر على الإنسان أنه أعظم ما يحول بين العبد والإيمان، بل هو أول ذنب عصى الله تعالى به؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^٥.

ومن قبيح الصفات التي تحول بين المرء وفهم كتاب الله، وتدبر آياته، السخرية والاستهزاء بعباد الله المؤمنين، والتندر على الصالحين؛ كما قال تعالى: ﴿قَالَ احْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ

١ - سورة الأعراف: الآية/ ١٤٦

٢ - تفسير القرطبي (٧/ ٢٨٣)

٣ - تفسير الطبري (١٠/ ٤٤٣)

٤ - رواه البخاري تعليقاً- كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ الْحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ.

٥ - سورة البقرة: الآية/ ٣٤



كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِيَّيَّ جَزَيْتُهُمْ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١﴾.

والسخرية والاستهزاء بالمؤمنين من أخص صفات المنافقين، ومن علاماتهم التي يعرفون بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ٢.

ولما قالوا: (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْعَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجَبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ) ، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. ٣.

وهذا الصنف من الناس الذين دأبوا على السخرية والاستهزاء والتهمك من عباد الله لا يكادون يفقهون حديثًا، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. ٤.

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ...﴾ ﴿الآيَةَ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ.

وهؤلاء المنافقون لما قالوا للذين أُوتوا العلمَ ماذا قال آنفًا؟ ما كانوا يقصدون التعلم والانتفاع، وإنما كان مقصودهم السخرية والاستهزاء.

١ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآيَةُ/ ١٠٨ : ١١١

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ/ ٦١

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ/ ٦٥

٤ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآيَةُ/ ١٦



القاعدةُ الثالثةُ (احذرْ سُومَ المَعْصِيَةِ)

اجتنب الذنوب والمعاصي فإن اقتراف الذنوب ومعاقرة الآثام من أعظم الصوارف عن كتاب الله تعالى، فإذا كان الإنسان سَادِرًا فِي غَيْهِ، مستمرًا في معاصيه، مُسْرِفًا على نفسه في الذنوب والمعاصي، حالت بينه وبين الإنتفاع بكلام الله تبارك وتعالى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾.

والرَّانُ غِلافٌ يُعَلِّفُ الْقَلْبَ بِسَبَبِ الذَّنُوبِ وَالْمَعَاصِي فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِيمَانٌ وَلَا يَنْتَفِعُ بِمَوْعِظَةٍ. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلِيَهَا مِنَ الرِّينِ الَّذِي قَدْ لَبَسَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا. ٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءً فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾». ٣.

وعن حُذَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَصُرُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ

١ - سورة الْمُطَفِّفِينَ: الآية / ١٤

٢ - تفسير ابن كثير (٨ / ٣٥٠)

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٧٩٥٢، وأبْنُ مَاجَةَ - كِتَابُ الرُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ، حديث رقم: ٤٢٤٤، بسند حسن



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مصطفى دياب

وَالْأَرْضُ، وَالْأَحْرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»^١.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^٢.

ربما يتوهم كثير من الناس أن الرزق هو المال فقط، وهذا فهم خاطئ، فإن الرزق أعم من ذلك بكثير، فإن العلم رزق، وحفظك لكتاب الله تعالى رزق، وفهمك لكلام الله تعالى رزق، وتدبرك لمعاني القرآن رزق.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلْسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ وَالْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ^٣.

وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِيَ تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدْنَ، أَمَا وَهْنُهَا لِلْقَلْبِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ، بَلْ لَا تَزَالُ تُوهِنُهُ حَتَّى تُزِيلَ حَيَاتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

١ - رواه مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، حديث رقم:

١٤٤

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٣٨٦، وابن ماجه - افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر،

حديث رقم: ٩٠، وحسنه شعيب الأرنؤوط

٣ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ٥٤)



القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ (الْقُرْآنُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ إِلَّا إِذَا أُعْطِيَتْهُ كُلُّكَ)

بقدر ما تبذل من وقتك وجهدك للقرآن بقدر ما يفتح الله تعالى عليك لفهم كلامه، واستخراج حكمه، واستنباط أحكامه.

قال ابن القيم رحمه الله: لَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ مِنْ تَدْبُرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ.^١

وبعد فإن أولى ما بذلت فيه الأوقات، وأنفقت فيه الأعمار، مدرسة كتاب الله تبارك تعالى، وتدبر كلامه، ولم لا؟ وتدبر القرآن هو الغاية التي من أجلها أنزل الله تعالى كتابه، قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.^٢

فَعَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».^٣

ولا شك أن ترك التدبر نوعٌ من أنواع هجر القرآن، فقد ذم الله تعالى المعرضين عن تدبره فقال تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.^٤

قال ابن عاشور: وَالتَّدْبِيرُ مُشْتَقٌّ مِنَ الدُّبْرِ، أَي الظَّهْرِ، اسْتَقْبُوا مِنَ الدُّبْرِ فِعْلًا، فَقَالُوا: تَدَبَّرَ إِذَا نَظَرَ فِي دُبْرِ الْأَمْرِ، أَي فِي غَائِبِهِ أَوْ فِي عَاقِبَتِهِ، فَهُوَ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي اسْتَقْبَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْجَامِدَةِ.

والتَّدْبِيرُ يَتَعَدَّى إِلَى الْمُتَأَمِّلِ فِيهِ بِنَفْسِهِ، يُقَالُ: تَدَبَّرَ الْأَمْرَ. فَمَعْنَى يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ يَتَأَمَّلُونَ دَلَالَتَهُ، وَذَلِكَ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالََةَ تَفَاصِيلِ آيَاتِهِ عَلَى مَقَاصِدِهِ الَّتِي أُرْسِدَ

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠)

٢ - سورة ص: الآية/ ٢٩

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، حديث رقم: ٥٠٢٧

٤ - سورة التيساء: الآية/ ٨٢



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابِ

إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ، أَيْ تَدَبَّرُ تَفَاصِيلِهِ وَثَانِيَهُمَا أَنْ يَتَأَمَّلُوا دَلَالََةَ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ بِبَلَاغَتِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ صَادِقٌ. وَسِيَاقُ هَذِهِ الْآيَاتِ يُرَجِّحُ حَمَلَ التَّدَبُّرِ هُنَا عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، أَيْ لَوْ تَأَمَّلُوا وَتَدَبَّرُوا هَدَى الْقُرْآنِ لِحَصَلِ لَهُمْ خَيْرٌ عَظِيمٌ.^١

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.^٢

قال ابن جرير: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَفَلَا يَتَدَبَّرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا فِي آيِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ الَّتِي بَيَّنَّهَا لَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ فَيَعْلَمُوا بِهَا حَقًّا مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّدٍ: ٢٤]، يَقُولُ: أَمْ أَقْفَلَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَعْقِلُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ.^٣

قال القرطبي: دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ عَلَى وُجُوبِ التَّدَبُّرِ فِي الْقُرْآنِ لِيُعْرَفَ مَعْنَاهُ. فَكَانَ فِي هَذَا رَدٌّ عَلَى فَسَادِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: لَا يُؤْخَذُ مِنْ تَفْسِيرِهِ إِلَّا مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْعَ أَنْ يُتَأَوَّلَ عَلَى مَا يُسَوِّغُهُ لِسَانُ الْعَرَبِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَإِبْطَالِ التَّقْلِيدِ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْقِيَاسِ.^٤

والمخدولُ مَنْ صَرَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ كِتَابِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.^٥

أَي: يُصْرِفُ عَنِ هَذَا الْقُرْآنِ مَنْ صُرِفَ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَنْ يُدْفَعُ، فَيُحْرَمُ تِلَاوَتِهِ، وَيُحْرَمُ تَدَبُّرِهِ، وَيُحْرَمُ التَّلَدُّدُ بِسَمَاعِهِ، وَيُحْرَمُ الْعَمَلُ بِهِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ.

١ - التحرير والتنوير (١٣٧/٥، ١٣٨)

٢ - سورة مُحَمَّدٍ: الآية/ ٢٤

٣ - تفسير الطبري (٢١٥/٢١)

٤ - تفسير القرطبي (٢٩٠/٥)

٥ - سورة الدَّارِيَاتِ: الآية/ ٩



قال ابن القيم رحمه الله: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^١.

بل إن الأمر أخطر من ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (مَنْ هَجَرَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مِنْ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ)^٢.

وبيان ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، ثم قال بعدها: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾.

فلا يهجر القرآن إلا من كان عدواً للرَسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فالعداوة في الآية الثانية تعليل للهجر في الآية الأولى.

١ - سورة الفرقان: الآية/ ٣٠، الفوائد لابن القيم (ص: ٨٢)

٢ - مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٦)



القاعدةُ الخامسةُ (رعايةُ الوقفِ والابتداءِ مِنْ أسبابِ التدبُّرِ)

معرفةُ الوقفِ والابتداءِ مما يعين على فهم كلام الله تعالى فهماً صحيحاً، وتدبره تدبراً سليماً، فإذا انحرف القاريء عن الجادة، فلم يدر متى يقف، ومتى يتبدأ، ولم يميز بين تام الوقف وقبيحه، جعله ذلك بمنأى عن فهم القرآن، وتدبر كلام الرحمن، لأنه سيترتب على اختلال الوقف والابتداء من فساد المعنى ما يجعل التدبر محالاً أو شبه محال كما سنبين.

و(إذا قرأ القارئُ وابتدأ بما لا يحسن الابتداء به، أو وقف عند كلام لا يفهم إلا بأن يوصل بما بعده، فقد خالف أمر الله تعالى بتدبر القرآن.

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١.

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^٢.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا يُؤتى الإيمانَ قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن»، ثم قال: «لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل»^٣.

وعن عليّ في قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^٤، قال: الترتيلُ تجويدُ الحروفِ ومعرفةُ

الوقوفِ.^٤

١ - سورة النساء: الآية/ ٨٢

٢ - سورة ص: الآية/ ٢٩، فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات (ص: ٤)

٣ - رواه الحاكم- كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٠١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علّة ولم يُخرجاه، ورواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٣٨٨١، ومحمد بن نصر بن الحجاج الموزني في مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ١٧٩)

٤ - منار الهدى في بيان الوقف والابتداء (١/ ١٣)



قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء؛ إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل، فهذا أدل دليل على وجوب تعلمه وتعليمه).^١

وَقَالَ السَّكْرَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ الْوَقْفِ عَظِيمُ الْقَدْرِ جَلِيلُ الْخَطَرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَأْتِي لِأَحَدٍ مَعْرِفَةَ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَلَا اسْتِنْبَاطَ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْفَوَاصِلِ).^٢

أنواع الوقف:

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: (الْوَقْفُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: تَامٌّ، وَحَسَنٌ، وَقَبِيحٌ.

فَالتَّامُّ: الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ وَالْإِبْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ، وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وَالْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْسُنُ الْإِبْتِدَاءُ بِمَا بَعْدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا يَحْسُنُ لِكَوْنِهِ صِفَةً لِمَا قَبْلَهُ.

وَالْوَقْفُ الْقَبِيحُ: الَّذِي لَيْسَ بِتَامٍّ وَلَا حَسَنٍ، قَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، الْوَقْفُ عَلَى ﴿بِسْمِ﴾ قَبِيحٌ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَضْفَتْهُ).^٣

وقيل الوقف: (يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: تَامٌّ مُخْتَارٌ، وَكَافٍ جَائِزٌ، وَحَسَنٌ مَفْهُومٌ، وَقَبِيحٌ مَثْرُوكٌ).^٤

(وَالْكَافِي مُنْقَطِعٌ فِي اللَّفْظِ مُتَعَلِّقٌ فِي الْمَعْنَى، فَيَحْسُنُ الْوَقْفُ عَلَيْهِ، وَالْإِبْتِدَاءُ أَيْضًا بِمَا بَعْدَهُ، نَحْوُ: ﴿حَرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ﴾، هُنَا الْوَقْفُ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ بِمَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَكَذَا بَاقِي الْمَعْطُوفَاتِ، وَكُلُّ رَأْسِ آيَةٍ بَعْدَهَا لَامٌ كِي، وَإِلَّا بِمَعْنَى لَكِنْ، وَإِنَّ الْمَكْسُورَةَ الْمَشْدُودَةَ، وَالِاسْتِفْهَامَ،

١ - منار الهدى في بيان الوقف والابتداء (١٣ / ١)

٢ - الإتيان في علوم القرآن (٢٨٣ / ١)

٣ - إيضاح الوقف والابتداء (١٥٠ / ١)

٤ - المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني (ص: ٧)، البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٥٠)



وبل، وألا المخففة، والسين وسوف على التهدد، ونعم وبئس، وكيلا، وَعَالِيَهُنَّ كَافٍ مَا لَمْ يَتَقَدَّمَهُنَّ قَوْلٌ أَوْ قَسَمٌ^١.

ومما يحيلُ المعنى بسببِ الوقفِ، الوَقْفُ عَلَى الْمُضَافِ دُونَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ دُونَ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمَوْصُولِ دُونَ صَلْتِهِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمَعْطُوفِ دُونَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمَبْدَلِ مِنْهُ دُونَ الْبَدَلِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمُؤَكَّدِ دُونَ تَوْكِيدِهِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْمَنْعُوتِ دُونَ نَعْتِهِ، وَالْوَقْفُ عَلَى الشَّرْطِ دُونَ جَزَائِهِ.

أمثلة للوقف القبيح الذي يحيل المعنى:

مِثَالُهُ الْوَقْفُ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَبِهُتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ﴾^٢.

لأنه يوهم معنى قبيحاً في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَأَبْوَيْهِ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَلَمَا نِصْفُ

وَلَأَبْوَيْهِ﴾^٣.

لأنه يوهم أَنَّ الْأَبْوَيْنِ شُرَكَاءُ فِي فَرَضِ النِّصْفِ مَعَ الْبِنْتِ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْتَحْيِي﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَسْتَحْيِي﴾^٤.

لأنه يوهم معنى قبيحاً في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥٢)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٥٨

٣ - سورة النساء: الآية/ ١١

٤ - سورة البقرة: الآية/ ١٧



وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ^١.

لأنَّه يُوهِمُ معنَى قَبِيحًا وهو الوعيدُ لِلْمُصَلِّينَ، بغيرِ جريرة.

ومن الأمثلة على الوقف القبيح الذي يحيل المعنى أيضًا: الوقف على قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^٢.

لأنَّه يُوهِمُ معنَى قَبِيحًا وهو النهي عن قربانِ الصَّلَاةِ مُطْلَقًا.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ﴾^٣.

لأنَّه يُوهِمُ معنَى قَبِيحًا غيرِ مرادٍ، ولو تعمدته القارئ لكان استهزاءً منه بكلام الله تعالى.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^٤.

لأنَّه يُوهِمُ معنَى قَبِيحًا غيرِ مرادٍ وهو نفْيُ الألوهيةِ مُطْلَقًا.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^٥.

لأنَّه يُوهِمُ معنَى قَبِيحًا غيرِ مرادٍ وهو نفْيُ الرسالةِ عن الرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ - سُورَةُ الْمَاعُونِ: الآية/ ٤، ٥

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآية/ ٤٣

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ١٧

٤ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ١٩

٥ - سُورَةُ الْإِنشَاءِ: الآية/ ١٠٥



فَإِنْ اضْطَرَّ الْقَارِئُ لِلْوُقُوفِ لِأَجْلِ النَّفْسِ لَمْ يَأْتُمْ، وَلَكِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا قَبْلَهُ حَتَّى يَصِلَهُ بِمَا بَعْدَهُ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُقُوفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، وَوَصَلَهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ * لِلْفُقَرَاءِ^١.

لَأَنَّهُ يُوْهَمُ مَعْنَى قَبِيحًا غَيْرَ مُرَادٍ، وَهُوَ أَنَّ الْعِقَابَ لِلْفُقَرَاءِ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُقُوفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿آمَنُوا﴾ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَوَصَلَهُ بِمَا قَبْلَهُ: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا^٢.

لَأَنَّهُ يُوْهَمُ مَعْنَى قَبِيحًا غَيْرَ مُرَادٍ، وَهُوَ أَنَّ حُكْمَ الَّذِينَ آمَنُوا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ حُكْمِ الظَّالِمِينَ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُقُوفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿وظَاهِرُهُ﴾، وَوَصَلَهُ بِمَا قَبْلَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُبُورًا لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^٣.

لَأَنَّهُ يُوْهَمُ مَعْنَى قَبِيحًا غَيْرَ مُرَادٍ، وَهُوَ أَنَّ الْبَابَ الَّذِي ضَرِبَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ كَذَلِكَ فِيهِ الرَّحْمَةُ.

تَنْبِيْهُ:

الْوُقُوفُ يَكُونُ اخْتِيَارِيًّا وَاضْطِرَارِيًّا، (وَأَمَّا الْإِبْتِدَاءُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا اخْتِيَارِيًّا لِأَنَّهُ لَيْسَ كَالْوُقُوفِ تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا بِمُسْتَقِيلٍ بِالْمَعْنَى مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ وَهُوَ فِي أَقْسَامِهِ كَأَقْسَامِ الْوُقُوفِ الْأَرْبَعَةِ وَتَتَفَاوَتْ تَمَامًا وَكِفَايَةً وَحُسْنًا وَقُبْحًا بِحَسَبِ التَّمَامِ وَعَدَمِهِ وَفَسَادِ الْمَعْنَى وَإِحَالَتِهِ).^٤

١ - سُورَةُ الْحُشْرِ: الْآيَةُ/٧، ٨

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ/١٩، ٢٠

٣ - سُورَةُ الْحَدِيدِ: الْآيَةُ/١٣

٤ - انظر النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٠)



أمثلةٌ للإبتداءِ القبيحِ الذي يُحيلُ المعنى:

مثالُهُ الوُفُفُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾؛ لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهَذَا يَحِيلُ الْمَعْنَى، وَمَنْ تَعَمَّدَهُ وَقَصَدَ مَعْنَاهُ فَقَدْ كَفَرَ.

مِثَالُهُ أَيْضًا الْوُفُفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿مَرَضٌ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^١.

لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهَذَا يَحِيلُ الْمَعْنَى، وَيُوهِمُ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا كَانَ غُرُورًا تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُفُفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿الرَّسُولَ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾^٢.

لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهَذَا يَحِيلُ الْمَعْنَى، وَيَصِيرُ تَحْذِيرًا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى عِيَادًا بِاللَّهِ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُفُفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿الْيَهُودُ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ ب: ﴿عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ﴾، وَالْوُفُفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿النَّصَارَى﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ ب: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾^٣.

لِأَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِهَذَا يَحِيلُ الْمَعْنَى، وَيُوهِمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْنًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا الْوُفُفُ عَلَى لَفْظِ: ﴿ذُلُولٌ﴾، وَالْإِبْتِدَاءُ ب: ﴿تُنْبِئُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولَ تُنْبِئُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شَيْءَ

١ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ١٢

٢ - سُورَةُ الْمُؤْتِحَةِ: الْآيَةُ / ١

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٣٠



فيها ﴿. [البقرة: ٧١]؛ لأنَّ الإبتداءَ بهذا يحيلُ المعنى، فيوهم أنها تُثيرُ الأرضَ ولكن لا تسقي الحرتَ.

القَاعِدَةُ السَّادِسَةُ (لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ تَرَادُفٌ)

مما ينبغي على المسلم معرفته أنه ليس في كلام الله تعالى تَرَادُفٌ، على الصحيح من أقوال العلماء، ولا تغني كلمة عن كلمة فيه، فلو جَمَعَتْ كل المترادفات على أن تأتي بكلمة تظن أنها أصلح من كلمة في كتاب الله تعالى فلن تجد إلى ذلك سبيلاً، بل ذلك محالٌ، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال، وذلك لأنه ليس أي كلام بل هو كلام الملك العلام سبحانه وتعالى، قَالَ عَنْهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرَّكِيبُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ﴾^١.

أَحْكَمْتُ أَلْفَاطُهُ، وَفُصِّلْتُ مَعَانِيهِ، فَكُلُّ لَفْظَةٍ مِنْ أَلْفَاطِهِ، وَكُلُّ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيهِ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْفَصَاحَةِ، وَأَرْفَعِ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ، لَا يُجَارَى وَلَا يُدَانَى.

يحوي اللفظُ اليسيرُ الكَمَ الهائلَ من المعاني، واقرأ قولَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^٢.

ففي هذه الآية أمران، ﴿أَرْضِعِيهِ﴾، و﴿أَلْقِيهِ﴾، وَهَيَانٍ، ﴿لَا تَحْزَنِي﴾ وَ ﴿لَا تَحْزَنِي﴾، وَخَبْرانٍ، ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾، وَ﴿خِفْتِ﴾، وَبَشَارَتانٍ، ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾، وَ﴿جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقال البجيرمي: في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾. [المائدة: ٦] قَالَ بَعْضُهُمْ: دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى سَبْعَةِ أَصُولٍ كُلُّهَا مَثْنَى طَهَارَتَانِ: الْوُضُوءُ وَالْعُسْلُ، وَمُطَهَّرَانِ: الْمَاءُ وَالتُّرَابُ، وَحُكْمَانِ: الْمَسْحُ وَالْعُسْلُ، وَمَوْجِبَانِ: الْحَدَثُ

١ - سورة هُودٍ: الآية / ١

٢ - سورة الْقَصَصِ: الآية / ٧



وَالجَنَابَةُ، وَمُبيحان: المَرَضُ وَالسَّفَرُ، وَكِنَايَتَانِ: العَائِطُ وَالْمَلَامَسَةُ، وَكِرَامَتَانِ: تَطْهِيرُ الذُّنُوبِ
وَأَتْمَامُ النِّعْمَةِ اهـ.^١

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: الترادفُ في اللغة قليلٌ، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن. فإذا قال القائل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾. [الطور: ٩]، إن المورَ هو الحركةُ كان تقريبًا؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة.

وكذلك إذا قال: الوحي: الإعلام، أو قيل: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.^٢

أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.^٣

أي: أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالا إليهم وإيحاء إليهم.^٤

وقال الزركشي رحمه الله: فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإنَّ للتَّركيبِ معنًى عَبرَ معنَى الإفرادِ وَهَذَا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وَفُوعَ أَحَدِ الْمُتَرَادِفِينَ مَوْجِعَ الْآخِرِ فِي التَّرْكِيبِ وَإِنْ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ فِي الْإِفْرَادِ.

١ - حاشية البجيرمي على شرح الخطيب (١/ ١٤١)

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٦٣

٣ - سورة الإسراء: الآية/ ٤

٤ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ١٧، ١٨)



أمثلة لما يُظنُّ أَنَّهُ مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ

(الْحَوْفُ وَالْحَشِيَّةُ):

مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَا يَكَادُ اللَّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا
الْحَوْفُ وَالْحَشِيَّةُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ بَيْنَهُمَا بَوْنًا شَاسِعًا وَفَارَقًا عَظِيمًا، فَإِنَّ الْحَشِيَّةَ هِيَ الْحَوْفُ الشَّدِيدُ، فَهِيَ أَشَدُّ
مِنَ الْحَوْفِ، وَلَا تَكُونُ الْحَشِيَّةُ إِلَّا مِنْ عَظَمَةِ الْمُحْشِيِّ وَإِنْ كَانَ الْحَاشِي يَنْفَسُهُ قَوِيًّا.

وَالْحَوْفُ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْحَائِفِ وَإِنْ كَانَ الْمُحَوِّفُ أَمْرًا يَسِيرًا.

لِذَلِكَ وَرَدَتْ الْحَشِيَّةُ غَالِبًا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٢.

لِذَلِكَ فَفَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^٣.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْحَوْفَ مِنَ اللَّهِ لِعَظَمَتِهِ يَخْشَاهُ كُلُّ أَحَدٍ كَيْفَ كَانَتْ حَالُهُ وَسُوءُ
الْحِسَابِ رُبَّمَا لَا يَخَافُهُ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْحِسَابِ وَحَاسِبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَحَاسِبَ وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وَقَالَ لِمُوسَى ﴿لَا تَخَفْ﴾ أَي: لَا يَكُونُ عِنْدَكَ مِنْ ضَعْفِ نَفْسِكَ
مَا تَخَافُ مِنْهُ مِنْ فِرْعَوْنَ.

فَإِنْ قِيلَ: وَرَدَ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾؟ [النَّحْلِ: ٥٠] قِيلَ: الْحَاشِي مِنَ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَةِ
اللَّهِ ضَعِيفٌ فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ يَخْشَى رَبَّهُ لِعَظَمَتِهِ وَيَخَافُ رَبَّهُ أَي لِضَعْفِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفِيهِ
لَطِيفَةٌ وَهِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ أَقْوِيَاءُ ذَكَرَ صِفَتَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿يَخَافُونَ
رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فَبَيَّنَّ أَنََّّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ضِعْفَاءُ وَلَمَّا ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّاسِ

١ - سورة البقرة: الآية / ٧٤

٢ - سورة فاطر: الآية / ٢٨

٣ - سورة الرعد: الآية / ٢١



وَهُمْ ضُعَفَاءُ لَا حَاجَةَ إِلَى بَيَانِ ضَعْفِهِمْ ذَكَرَ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ ﴿يَخْشَوْنَ رَهْمَهُمْ﴾ وَلَمَّا ذَكَرَ ضَعْفَ الْمَلَائِكَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ ﴿رَهْمٌ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وَالْمُرَادُ فَوْقِيَّةً بِالْعَظَمَةِ.^١

(الشُّحُّ وَالْبُخْلُ):

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ، وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ: الْبُخْلُ وَالشُّحُّ.

الشُّحُّ: هُوَ الْبُخْلُ مَعَ حِرْصٍ.

وقيل: الشُّحُّ أَشَدُّ الْبُخْلِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْمَنْعِ مِنَ الْبُخْلِ؛ وَقِيلَ: الْبُخْلُ فِي أَفْرَادِ الْأُمُورِ وَأَحَادِهَا، وَالشُّحُّ عَامٌّ؛ وَقِيلَ: الْبُخْلُ بِالْمَالِ، وَالشُّحُّ بِالْمَالِ وَالْمَعْرُوفِ.

قَالَ الرَّاعِبُ: الشُّحُّ بُخْلٌ مَعَ حِرْصٍ، وَذَلِكَ فِيمَا كَانَ عَادَةً. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾.^٢

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾.^٣

يقال: رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَقَوْمٌ أَشِحَّةٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾. [الأحزاب: ١٩]، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.^٤

١ - البرهان في علوم القرآن (٤ / ٧٨)

٢ - سورة النساء: الآية / ١٢٨

٣ - سورة الحشر: الآية / ٩

٤ - سورة الأحزاب: الآية / ١٩، المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٤٦)



ومما بينهما من الفروق أن الشح الحرص على منع الخير، ولو كان من الغير، والبخل منع الحق، فلا يؤدي البخيل حق غيره عليه، فالبخيل يبخل بما في يده، والشحيح يشح بما في أيدي الناس.

قال أبو هلال العسكري: الشح الحرص على منع الخير، والبخل منع الحق.^١

(البخل والضن):

ومن تلك الألفاظ التي يظن كثير من الناس أنها من المترادف وليست كذلك: البخل والضن، فإن الضن أصله أن يكون بالعواري، والبخل بالهبات؛ ولهذا يقال هو ضنين بعلمه، ولا يقال بخيل؛ لأن العلم بالعارية أشبه منه بالهبة؛ لأن الواهب إذا وهب شيئاً خرج عن ملكه، بخلاف العارية؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾. ولم يقل: ببخيل.^٢

(العام والسنة):

ومن تلك الألفاظ التي يظن كثير من الناس أنها من المترادف وليست كذلك: العام والسنة، فإن العام يطلق على الدعة والرخاء، والسنة تطلق على الشدة والكره والضيق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.^٣

فمدة دعوة نوح عليه السلام اشتملت على مشقة في الدعوة وشدة بسبب عناد قوم نوح وسخرتهم واستهزائهم بنوح عليه السلام، وما استراح نوح عليه السلام إلا بعد أن طهر الله تعالى الأرض من رجزهم.

١ - الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٧٦)

٢ - البرهان في علوم القرآن (٤ / ٧٨)

٣ - سورة العنكبوت: الآية / ١٤



لذلك لما دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قُرَيْشٍ لما ضيقوا على المسلمين وآذوا المستضعفين قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ»^١.
وقال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾^٢.

فوصف السنن بأهن شداد، ووصف العام بالرخاء وأنه: فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ أَي يَأْتِيهِم الغوث وَفِيهِ يَعْرِضُونَ من الرخاء والخير والبركة.

(مَدَّ وَأَمَدًا):

وَمَنْ تَلَكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ: (مَدَّ وَأَمَدًا) فَإِنَّ لَفْظَ أَمَدٍ ذَكَرَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ غَالِبًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾^٣.

وذكر لفظ: مَدَّ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾^٤.

قَالَ الرَّاعِبُ: أَكْثَرُ مَا جَاءَ الْإِمْدَادُ فِي الْمَحْبُوبِ نَحْوُ: ﴿وَأَمَدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهَةٍ﴾ وَالْمَدُّ فِي الْمَكْرُوهِ نَحْوُ: ﴿وَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (مَدَّ) فِي الشَّرِّ، وَ(أَمَدًا) فِي الْخَيْرِ^٥.

١ - رواه البخاري- كتاب الأذان، باب: يَهْوِي بِالْكَبِيرِ حِينَ يَسْجُدُ، حديث رقم: ٨٠٤، ومسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، حديث رقم: ٦٧٥

٢ - سورة يوسف: الآية/ ٤٧ : ٤٩

٣ - سورة الطور: الآية/ ٢٢

٤ - سورة مريم: الآية/ ٧٩

٥ - تفسير القرطبي (٤/ ١٩٥)



(السَّقْيُ وَالْإِسْقَاءُ):

وَمَنْ تَلَكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ: (سَقَى
وَأَسْقَى)، فَإِنَّ سَقَى تَفِيدُ السَّلَاسَةَ وَالسَّهُولَةَ وَالْيَسَرَ، وَأَسْقَى تَدُلُّ عَلَى التَّكْلِيفِ، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ:
فَالْأَوَّلُ لِمَا لَا كُلْفَةَ فِيهِ وَهَذَا ذُكِرَ فِي شَرَابِ الْجَنَّةِ نَحْوُ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾^١.
وَالثَّانِي لِمَا فِيهِ كُلْفَةٌ وَهَذَا ذُكِرَ فِي مَاءِ الدُّنْيَا نَحْوُ: ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾^٢.
وَقَالَ الرَّاعِبُ: الْإِسْقَاءُ أَبْلَغُ مِنَ السَّقْيِ لِأَنَّ الْإِسْقَاءَ أَنْ يُجْعَلَ لَهُ مَا يَسْقِي مِنْهُ وَيَشْرَبُ
وَالسَّقْيُ أَنْ يُعْطِيَهُ مَا يَشْرَبُ.

(انْفَجَرَ وَأَنْبَجَسَ):

وَمَنْ تَلَكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ: (انْفَجَرَ
وَأَنْبَجَسَ).
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
عَشْرَةَ﴾^٣.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾^٤.
وبينهما عدة فروقٍ منها: أَنَّ الْإِنْبَجَاسَ وَهُوَ أَوَّلُ خُرُوجِ الْمَاءِ، وَالْإِنْفِجَارُ خُرُوجُ الْمَاءِ بَعْدَ
ذَلِكَ.
ومنها: أَنَّ الْإِنْبَجَاسَ خُرُوجُ الْمَاءِ قَلِيلًا لَصَيِّقِ السَّقْيِ فِي الْحَجَرِ، وَالْإِنْفِجَارُ خُرُوجُ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ
لِاتْسَاعِهِ.

١ - سُورَةُ الْإِنْسَانِ: الْآيَةُ / ٢١

٢ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ١٦

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٦٠

٤ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ١٦٠



ويُجمَعُ بينَ الآيتينِ بأنَّهُ انبَجَسَ أَوَّلًا، ثُمَّ انفَجَرَ بعد ذلك.

قال الفخر الرازي: ذَكَرَ هَاهُنَا: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾. وَفِي الْأَعْرَافِ: ﴿فَانبَجَسَتْ﴾. وَبَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ لِأَنَّ الْإِنْفِجَارَ خُرُوجَ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ وَالْإِنْبِجَاسُ خُرُوجُهُ قَلِيلًا. الْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: الْفَجْرُ الشَّقُّ فِي الْأَصْلِ، وَالْإِنْفِجَارُ الْإِنْشِقَاقُ، وَمِنْهُ الْفَاجِرُ لِأَنَّهُ يَشَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ بِخُرُوجِهِ إِلَى الْفِسْقِ، وَالْإِنْبِجَاسُ اسْمٌ لِلشَّقِّ الضَّيِّقِ الْقَلِيلِ، فَهُمَا مُخْتَلِفَانِ اخْتِلَافَ الْعَامِّ وَالْحَاصِّ، فَلَا يَتَنَاقَضَانِ.

وَتَانِيهَا: لَعَلَّهُ انبَجَسَ أَوَّلًا، ثُمَّ انفَجَرَ ثَانِيًا، وَكَذَا الْعُيُونُ: يَطْهَرُ الْمَاءُ مِنْهَا قَلِيلًا ثُمَّ يَكْثُرُ لِدَوَامِ خُرُوجِهِ.

وَتَالِثُهَا: لَا يَمْتَنِعُ أَنَّ حَاجَتَهُمْ كَانَتْ تَشْتَدُّ إِلَى الْمَاءِ فَيَنْفَجِرُ، أَيْ يَخْرُجُ الْمَاءُ كَثِيرًا ثُمَّ كَانَتْ تَقِلُّ فَكَانَ الْمَاءُ يَنْبَجِسُ أَيْ يَخْرُجُ قَلِيلًا.^١

١ - مفاتيح الغيب (٣ / ٥٢٩)



(الْعَمَلُ وَالْفِعْلُ):

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ: (عَمِلَ وَفَعَلَ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^٢.

فَالْعَمَلُ يَدُلُّ عَلَى التَّرِيثِ وَالتَّمَهْلِ فِي الشَّيْءِ.

وَالْفِعْلُ يَدُلُّ عَلَى السَّرْعَةِ.

وَأَيْضًا الْعَمَلُ يَشْتَمِلُ عَلَى الْقَوْلِ وَالْفِعْلُ مَعًا.

قال الزركشي: والفرق بينهما أَنَّ الْعَمَلَ أَحْصَى مِنَ الْفِعْلِ؛ كُلُّ عَمَلٍ فِعْلٌ وَلَا يَنْعَكْسُ، وَهَذَا جَعَلَ النُّحَاهُ الْفِعْلَ فِي مُقَابَلَةِ الْإِسْمِ؛ لِأَنَّهُ أَعْمٌ، وَالْعَمَلُ مِنَ الْفِعْلِ مَا كَانَ مَعَ امْتِدَادٍ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ وَبَابُ فِعْلٍ لِمَا تَكَرَّرَ.

وَقَدْ اعْتَبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ حَيْثُ كَانَ فِعْلُهُمْ بِزَمَانٍ.

وَقَالَ: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. [التَّحْلِ: ٤٨]، حَيْثُ يَأْتُونَ بِمَا يُؤْمَرُونَ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ

فَيَنْفَعُونَ الْمُدْنَ بِأَسْرَعٍ مِنْ أَنْ يَفُومَ الْقَائِمُ مِنْ مَكَانِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ أَيَّدِينَا﴾ [يس: ٧١]، ﴿وَمَا عَمِلْتُهُ أَيَّدِيهِمْ﴾. [يس: ٣٥]؛ فَإِنَّ

حَلْقَ الْأَنْعَامِ وَالتَّمَارِ وَالتَّرُوعِ بِامْتِدَادٍ، وَقَالَ: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ

كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ فَإِنَّهَا إِهْلَاكَاتٌ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ بُطْءٍ.

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٩

٢ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ٧٧



وَقَالَ: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حَيْثُ كَانَ الْمَقْصُودُ الْمُتَابِرَةَ عَلَيْهَا لَا الْإِتْيَانَ بِهَا مَرَّةً وَقَالَ: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾، بِمَعْنَى سَارَعُوا كَمَا قَالَ: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، أَي يَأْتُونَ بِهَا عَلَى سُرْعَةٍ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ فِي دَفْعِ حَاجَةِ الْفَقِيرِ فَهَذَا هُوَ الْفَصَاحَةُ فِي اخْتِيَارِ الْأَحْسَنِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ.^١

(الْفُعُودُ وَالْجُلُوسُ):

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُرَادِفِ وَليست كذلك، الْفُعُودُ وَالْجُلُوسُ، قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: فَالْأَوَّلُ لِمَا فِيهِ لُبٌّ بِخِلَافِ الثَّانِي وَهَذَا يُقَالُ: قَوَاعِدُ الْبَيْتِ وَلَا يُقَالُ: جَوَالِسُهُ لِزُرُومِهَا وَثَبْتِهَا وَيُقَالُ: جَلِيسُ الْمَلِكِ وَلَا يُقَالُ: فَعِيدُهُ لِأَنَّ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ يُسْتَحَبُّ فِيهَا التَّخْفِيفُ وَهَذَا اسْتُعْمِلَ الْأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَقْعَدٌ صِدْقٍ﴾ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا زَوَالَ لَهُ بِخِلَافِ ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ لِأَنَّهُ يُجْلَسُ فِيهِ زَمَانًا يَسِيرًا.^٢

وَمِنَ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْفُعُودِ وَالْجُلُوسِ أَنَّ الْفُعُودَ لَا يَكُونُ إِلا مِنْ قِيَامٍ، وَالْجُلُوسَ يَكُونُ مِنْ اضْطِجَاعٍ.

قَالَ الْفِيومِيُّ: وَالْجُلُوسُ غَيْرُ الْفُعُودِ فَإِنَّ الْجُلُوسَ هُوَ الْإِتِّقَالُ مِنْ سُئُلٍ إِلَى عُلُوٍّ وَالْفُعُودُ هُوَ الْإِتِّقَالُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُئُلٍ فَعَلَى الْأَوَّلِ يُقَالُ لِمَنْ هُوَ نَائِمٌ أَوْ سَاجِدٌ اجْلِسْ وَعَلَى الثَّانِي يُقَالُ لِمَنْ هُوَ قَائِمٌ أَوْ قَاعِدٌ.^٣

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: حَكَى لَنَا النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ عِنْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ مَرُورٍ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْلَمَ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ اجْلِسْ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنَا بِمَضْطَجِعٍ فَأَجْلِسْ، قَالَ: فَكَيْفَ تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ اقْعُدْ. فَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ.^٤

١ - البرهان في علوم القرآن (٤/ ٨٢، ٨٣)

٢ - الإتيان في علوم القرآن (٢/ ٣٦٦)

٣ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٠٥)

٤ - بيان إعجاز القرآن (ص: ٣١)



(بَلَى وَنَعَمْ):

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَليست كذلك، بَلَى وَنَعَمْ، فَإِنَّ بَلَى تَأْتِي جَوَابًا لِاسْتِفْهَامٍ مُفْتَرِنٍ بِنَفْيٍ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِغَيْرِهِ: أَلَمْ أَحْسِنِ إِلَيْكَ؟ فيقول صاحبه: بلى. فيكون إقرارًا بإحسانه، ولو قال: نعم. كان إنكارًا لقوله.

ومثال ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^١.

يروى عن ابن عباسٍ في هذه الآية أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ قَالُوا نَعَمْ لَكَفَرُوا»^٢.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾^٣.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾^٤.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ

وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾^٥.

قال الرَّاعِبُ: بَلَى رَدٌّ لِلنَّفْيِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ...﴾ الآية، ﴿بَلَى

مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ...﴾؛ وجوابٌ لِاسْتِفْهَامٍ مُفْتَرِنٍ بِنَفْيٍ نَحْوُ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى﴾؛

وَنَعَمْ يُقَالُ فِي الِاسْتِفْهَامِ نَحْوُ: ﴿هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبِّكُمْ حَقًّا؟ قَالُوا: نَعَمْ﴾، وَلَا يُقَالُ هُنَا بَلَى،

فَإِذَا قِيلَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، فَقُلْتُ بَلَى، فَهُوَ رَدٌّ لِكَلَامِهِ، فَإِذَا قُلْتُ نَعَمْ فإِقرارٌ مِنْكَ، انْتَهَى^٦.

وقال الأزهري: إنما صارت بلى تتصل بالجدح لأنها رجوع عن الجدح إلى التحقيق، فهو

بمنزلة بل، وبل سبيلها أن تأتي بعد الجدح كقولك: ما قام أخوك بل أبوك، وإذا قال الرجل

١ - سورة الأعراف: الآية/ ١٧٢

٢ - التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٣١٢)

٣ - سورة الأحقاف: الآية/ ٣٤

٤ - سورة التغابن: الآية/ ٧

٥ - سورة الأعراف: الآية/ ٤٤

٦ - المفردات في غريب القرآن (ص: ١٤٦)



للرَّجُلِ أَلَا تَقُومُ؟ فَقَالَ لَهُ: بَلَى، أَرَادَ: بَلْ أَقُومُ، فزادوا الألفَ على بَلْ ليحسن السُّكُوتَ عَلَيَّهَا،
لأنَّه لو قال بَلْ كانَ يتوقَّعُ كلاماً بعدَ بَلْ، فزادوا الألفَ ليزولَ عَن المخاطبِ هَذَا التَّوهُمُ.^١

١ - تاج العروس (٣٧ / ٢١٣)



القاعدةُ السابعةُ (التأسيسُ أُولَى مِنَ التأكيدِ)

التأسيسُ معناه: أن يكون في الكلام تشابه، أو ما يوهم التشابه، يفتضي اللفظُ الثاني غيرَ ما اقتضاه الأولُ، والتأكيدُ أن يكونَ الثاني مُقتضياً عينَ ما اقتضاه الأولُ.

(والتأسيسُ أصلٌ، والتأكيدُ فرعٌ، وحملُ اللفظِ على الفائدةِ الأصليةِ أُولَى).^١

قال الجرجاني: (التأكيدُ: تابعٌ يقررُ أمرَ المتبوعِ في النسبةِ أو الشمولِ، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله).^٢

وقال: (التأسيسُ عبارة عن إفادةٍ معنى آخر لم يكن أصلاً قبله، فالتأسيسُ خيرٌ من التأكيدِ؛ لأن حملَ الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة).^٣

من ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.^٤

فعلى القول بأن ضمير الفاعل المحذوف في قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ يرجع إلى المصلي والمسبح، كان الكلام تأسيساً، وعلى القول بأنه يرجع إلى الله تعالى يكون في الكلام تكراراً، وتأكيذاً بما بعده وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، وحملُ الكلام على التأسيسِ أُولَى مِنْ حمله على التأكيدِ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾.^٥

١ - الإحكام في أصول الأحكام للآمدني (٢ / ١٨٥)

٢ - التعريفات (ص: ٥٠)

٣ - التعريفات (ص: ٥٠)

٤ - سورة النور: الآية / ٤١

٥ - سورة البقرة: الآية / ١٧٧



فإن المراد بقوله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، مطلق الصدقة وليس الزكاة المفروضة، لأن الزكاة ورد ذكرها بعد ذلك بقوله: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾، فليس ذكر الزكاة تأكيداً لقوله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾، لأن حمل الكلام على التأسيس أولى من حمله على التأكيد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

للعلماء في هذه الآية عدة أقوال منها: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، أي: غير خارج على الأئمة بسيفه باغياً عليهم بغير جورٍ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾، أي: ولا عادياً عليهم بحربٍ وعدوانٍ فمفسدٍ عليهم السبيل.

والأولى أن يفسر قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، بأنه غير راعٍ فيه لذاته، وغير طالٍ له، من الابتغاء، مثله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^٢.

﴿وَلَا عَادٍ﴾، أي: غير متجاوزٍ قدر الضرورة.

قال السدي: (غير باغٍ يبتغي فيه شهوته).

وقال عطاء الخراساني في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾، قال: (لا يشوي من الميتة ليشتها ولا يطبخها، ولا يأكل إلا العلقمة، ويحمل معه ما يبلغه الحلال، فإذا بلغه ألقاه وهو قوله: ﴿وَلَا عَادٍ﴾، يقول: لا يعدو به الحلال)^٣.

وهذا القول الثاني أولى لأن فيه زيادة معنى عن مجرد التأكيد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾، فقد فسر بعضهم قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾، بأنهم لا يسكرون، وقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾، أي: لا تعتال

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٧٣

٢ - سورة المؤمنون: الآية/ ٧

٣ - تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٢)



عُقُوبَهُمْ وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ يَكُونُ فِي الكَلَامِ تَكَرَّرًا يَنْزِعُهُ عَنِ القُرْآنِ، وَالأوَّلَى تَفْسِيرٌ ذَلِكَ لَا يَسْكُرُونَ وَلَا يَنْفَعُ شِرَائِهِمْ، يُقَالُ: أَنْزَفَ الرَّجُلُ إِذَا نَفَدَ شِرَائِهِ.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^١.

للمفسرين في هذه الآية قولان:

الأول: أَنَّ الطَّيِّبَ هُنَا هُوَ الحَلَالُ، فَهُوَ تَأْكِيدٌ لَهُ؛ لِإِخْتِلَافِ اللَّفْظِ.

والثاني: أَنَّ الحَلَالَ هُوَ المَبَاحُ، فَإِنَّ الطَّيِّبَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنِ المُسْتَلَدِّ المُسْتَطَابِ؛ وَلِذَلِكَ يَجْرُمُ أَكْلُ الحَيَوَانِ القَدِيرِ كَالجَلَّالَةِ.

والقول الثاني أولى؛ لأن فيه معنى زائداً عن مجرد التأكيد.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^٢.

قيل المراد بالاستجابة ما يشمل استجابة دعوة الإيمان، فذكر ولْيُؤْمِنُوا عطف خاص على عام للاهتمام به^٣.

والأولى تفسير: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، بِالإِنْقِيَادِ وَالإِسْتِسْلَامِ لِهَذَا تَعَالَى بِفَعْلِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَتَفْسِيرٌ: ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، بِالتَّصْدِيقِ القَلْبِيِّ، لِجَمْعِ العِبَادِ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ.

قال فخر الدين الرازي: (إجابة العبد لله إن كانت إجابةً بالقلب واللسان، فذاك هو الإيمان، وعلى هذا التقدير يكون قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ تكررًا محضًا، وإن كانت إجابةً

١ - سورة البقرة: الآية / ١٦٨

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٨٦

٣ - التحرير والتنوير (٢ / ١٨٠)



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفى دياب

العبد لله عبارة عن الطاعاتِ كان الإيمانُ مُقدِّمًا على الطاعاتِ، وكان حقُّ النَّظْمِ أن يقولَ:
فليؤمنوا بي وليستجيبوا لي، فلم جاء على العكسِ منه؟

وجوابه: أن الاستجابة عبارة عن الإنقياد والاستسلام، والإيمان عبارة عن صفة القلب، وهذا
يدلُّ على أن العبد لا يصل إلى نور الإيمان وقوته إلا بتقدم الطاعات والعبادات).^١

١ - تفسير الرازي (٥ / ٢٦٦)



القاعدةُ الثامنةُ: (من لا يعرفُ تصاريفَ الكلامِ لا يفهمُ القرآنَ)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١.

من لا يعرف تصاريف الكلام لا يفهم القرآن، ولا يعرف مراد الله تعالى، فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ومن لا يعرف تراكيب الكلام، ولا يعرف أصل الكلمة كيف يتأتى له الفهم، وأتى له أن يتدبر القرآن، ومثل هذا إذا تكلم أتى بالعجب العجاب، وأثار الدهشة والاستغراب، وصار محلاً للسخرية والاستهجان، لأنه يتكلم بما لا يعلم، ويهرف بما لا يعرف.

ومثال ذلك ما قاله بعضهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^٢.

فسر بعضهم الإمام بأنه جمع أم، ولا يعرف في اللغة أن أم تجمع على إمام، بل جمع أم

أمهات، كما قال تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾^٣.

قال صاحب «الكشاف»: «وَمِنْ بَدَعِ التَّفَاسِيرِ أَنَّ الْإِمَامَ جَمْعُ أُمٍّ، وَأَنَّ النَّاسَ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأُمَّهَاتِهِمْ وَأَنَّ الْحِكْمَةَ فِي الدُّعَاءِ بِالْأُمَّهَاتِ دُونَ الْأَبَاءِ رِعَايَةٌ حَقِّ عَيْسَى وَإِظْهَارُ شَرَفِ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَنَّ لَا يَفْتَضِحُ أَوْلَادُ الرِّبَا ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ «الْكَشَافِ»: وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّهُمَا أَبْدَعُ أَصِحَّةً لَفْظِهِ أَمْ بَيَانُ حِكْمَتِهِ»^٤.

١ - سورة الرُّحْرِفِ: الآية/ ٣

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٧١

٣ - سورة النساء: الآية/ ٢٣

٤ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٨٢)



والصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾. [الإسراء: ٧١]، أنّ المراد بالإمام هنا كتاب أعمال العباد الشاهد عليهم بما عملوه من خيرٍ وشر، كما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^١.

وكما قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رُبُّكَ أَحَدًا﴾^٢.

ومن ذلك ما رواه الطبري عن قتادة، قال: "لَمَّا أَخَذَ مُوسَى الْأَلْوَحَ، قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَحَدٌ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةٌ هُمْ خَيْرُ الْأُمَّمِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَحَدٌ فِي الْأَلْوَحِ أُمَّةٌ هُمْ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ، فَأَلْفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَلْوَحَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^٣.

وهو كلامٌ باطلٌ لا يصح بوجه من الوجوه، والصواب أنّ سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾^٤.

١ - سورة الزمر: الآية / ٦٩

٢ - سورة الكهف: الآية / ٤٩

٣ - تفسير الطبري (١٠ / ٤٥٤)

٤ - سورة الأعراف: الآية / ١٥٠



ومما يدل على بطلانه ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أحبر موسى بما صنع قومُه في العجل، فلم يُلقي الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى الألواح فأنكسرت»^١.

وقال ابن كثير عن أثر قتادة: وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً، لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة^٢.

ومن ذلك أيضاً ما سمعته من أحدهم يتكلم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^٣.

قال إذا سافر المسلم إلى بلاد الغرب يجب عليه أن يلبس لباسهم، وأن يجاريهم في حياتهم، قال: ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^٤.

فقلت له من أين أتيت بهذا الكلام فأرّم ولم ينطق بكلمة، فقلت له: ليس في الآية دليلاً على ما ذكرت، وإنما معنى الآية: لو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء المشركين ملكاً ينزل عليهم من السماء كما أرادوا، لجعلناه في صورة رجل من البشر، ولخلطنا عليهم أمره فلم يدروا أملك هو أم إنسي، لأنهم لا يطيعون رؤية الملك بصورته التي خلقه الله عليها.

ولم يدر أن ليس تختلف عن لبس، فإنه يقال: لبست عليهم الأمر ألبس لبساً: إذا خلطته عليهم، وجعلته مشكلاً.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨٤٢، وابن حبان - كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ذكر السبب الذي من أجله ألقى موسى الألواح، حديث رقم: ٦٢٣١، والحاكم - كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف، حديث رقم: ٣٢٥٠، بسند صحيح

٢ - تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٧)

٣ - سورة الأنعام: الآية/ ٩

٤ - سورة الأنعام: الآية/ ٩



وَلَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ لُبَسًا، وَأَنْ اللَّبْسُ هُوَ الْخَلْطُ، وَاللَّبُّوسُ: اسْمُ الثِّيَابِ.
 قال ابن فارس: (لَبَسَ) اللَّامُ وَالْبَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى مُخَالَطَةِ وَمُدَاخَلَةٍ.
 مِنْ ذَلِكَ لَبِسْتُ الثَّوْبَ أَلْبَسُهُ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَمِنْهُ تَتَفَرَّغُ الْفُرُوعُ. وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الْأَمْرِ؛ يُقَالُ
 لَبِسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ أَلْبَسُهُ بِكَسْرِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾^١.
 وَفِي الْأَمْرِ لَبَسَةٌ، أَي لَيْسَ بِوَاضِحٍ وَاللَّبْسُ: اخْتِلَاطُ الظَّلَامِ.^٢

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٩

٢ - مقاييس اللغة (٥/ ٢٣٠)



القاعدةُ التاسعةُ (القرآنُ ليسَ له ظاهرٌ وباطنٌ)

ليسَ للقرآنِ ظاهرٌ وباطنٌ كما يزعم الباطنية الملاحدة، والروافض المجوس، والصوفية الضلال، وإنما هو ظاهر ظهور الشمس، وواضح وضوح النهار، ولا شك أن التفسيرَ الباطني للقرآن تلاعب بكتاب الله تعالى، وقول على الله تعالى بغير علم، وافتراء عليه سبحانه، ويصل أحيانا إلى الضلال المبين، والكفر الصريح، كما سنبين مما نسوقه من أمثلة على ذلك.

التفسير الباطني:

معنى التفسير الباطني:

هو تفسير القرآن الكريم على معان مخالفة لظاهر القرآن الكريم، دون دليل أو شبهة من دليل.

ومن ذلك: تفسير الروافض لقول الله تعالى: ﴿لَعْنُ أَشْرَكَتْ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^١.

قالوا: أي: ﴿لَعْنُ أَشْرَكَتْ﴾ بين أبي بكر وعمر، وعلي في الخلافة.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةَ﴾^٢.

قالوا: المراد عائشة، وقالوا في قوله: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾^٣.

قالوا: هم طلحة والزبير.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^٤.

١ - سورة الزمر: الآية/ ٦٥

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٦٧

٣ - سورة التوبة: الآية/ ١٢

٤ - سورة الرحمن: الآية/ ١٩



وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^١.

قالوا: ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ﴾، هما علي وفاطمة، و ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾، هما الحسن والحسين.

وقالوا: إنما وليكم في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^٢.

قالوا: هو علي.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ﴾^٣.

قالوا: المراد أبو بكر وعمر.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾^٤.

حيث يفسرون ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بمعنى أو بدل علياً. ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر، ولم يكن الكلام مسوقاً في شأن خلافته وولايته.

ومن التفسير الباطني تفسير بعضهم لقول الله تعالى: ﴿هَذَا بَيِّنٌ لِلنَّاسِ﴾^٥.

أن المراد بذلك بيان بن سمعان وأنه مذكور في القرآن، وبيان بن سمعان هذا من بني تميم، ظهر بالعراق وكان يقول بألوهية علي بن أبي طالب، وقتله خالد بن عبد الله القسري، وأحرقه بالنار.

١ - سورة الرحمن: الآية/ ٢٢

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٥٥

٣ - سورة المسد: الآية/ ١

٤ - سورة يونس: الآية/ ١٥

٥ - سورة آل عمران: ١٣٨



وقالوا في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾^١.
 أن المراد بهذه الآية هو: أبو منصور الكسف الذي تنسب إليه فرقة المنصورية.
 وليس هناك ضلال أبين من هذا، ولا انحراف عن الدين أوضح منه.



التفسير الإشاري:

ومن التفسير الباطني التفسير الإشاري، أو هو قريب منه جداً، تفسيرُ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التستري فَقَدْ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾^١.

أَي: أَضْدَادًا، قَالَ: "وَأَكْبَرُ الْأَنْدَادِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، الْمُتَطَلِّعَةُ إِلَى حُطُوطِهَا وَمُنَاهَا بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ."^٢

وهذا مخالف للظاهر من الآية فإن المراد بالأنداد في الآية الأصنام، والمعبودات التي كان يعبدها المشركون.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^٣.

"لَمْ يُرِدِ اللَّهُ مَعَى الْأَكْلِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ مَعْنَى مُسَاكِنَةِ الْهِمَّةِ لِشَيْءٍ هُوَ غَيْرُهُ، أَي: لَا تَهْتَمُّ بِشَيْءٍ هُوَ غَيْرِي، فَأَدَمُ لَمْ يُعْصَمَ مِنَ الْهِمَّةِ وَالتَّدْبِيرِ فَلَحِقَهُ مَا لَحِقَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ."^٤
وهذا الكلام مخالف لما أجمع عليه المفسرون من أن المراد بالآية النهي عن الأكل من هذه الشجرة في الحقيقة.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾^٥.

قَالَ: "رَأْسُ الطَّوَاغِيَتِ كُلِّهَا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ هَوَى النَّفْسِ، فَإِنْ أَحْسَسَ مِنْهَا بِمَا تَهَمُّ بِهِ أَلْقَى إِلَيْهَا الْوَسْوَسَةَ."^٦

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢

٢ - تفسير التستري (ص: ٢٧)

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٣٥

٤ - تفسير التستري (ص: ٢٩)

٥ - سورة البقرة: الآية/ ٢٥٧

٦ - تفسير التستري (ص: ٣٧)



وهذا كلام مخالف لظاهر القرآن، وهو من شطحات الصوفية، لأنه قول بغير علم، بل هو ضرب من الهديان، لا يجوز أن يفسر به كلام الله تعالى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^١.

قال: أي أول بيت وضع للناس بيت الله عزَّ وجلَّ بمكة هذا هو الظاهر، وباطنها الرسول يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس.^٢

ولا شك أن هذا الكلام مخالف لما هو معلوم عند المفسرين بل عند عموم المسلمين، وليس عليه أثارة من علم، وإنما قاله لأنه يعتقد أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر غير مراد، وأن الباطن هو علم الخواص، وهذا اعتقاد أقل ما يقال فيه أنه أبعد ما يكون عن هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهدي أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^٣.

قال: ظاهرها مكة، وباطنها القلب، ومن حوله الجوارح. فأنذرهم لكي يحفظوا قلوبهم وجوارحهم عن لذة المعاصي واتباع الشهوات.^٤

وهو قول ظاهر البطلان، متهدم البنيان، متهالك لا ينبغي التعويل عليه، وليس فيه ما يستحسن، بل هو قول على الله تعالى بغير علم، وقد حرم الله القول بغير علم؛ قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٥.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٩٦

٢ - تفسير التستري (ص: ٥٠)

٣ - سورة الشورى: الآية/ ٧

٤ - تفسير التستري (ص: ١٣٨)

٥ - سورة الأعراف: الآية/ ٣٣



وقد سردت هذه الأمثلة حتى لا تعتر بقولٍ لقائلٍ في كتابِ الله تعالى حتى تعلم هل عليه دليل؟ أو أن صاحبه ألقى به على عواهنه، وقاله بغير مسند.

ولتعلم بطلان القول بأن لكل آية من القرآن ظاهرًا وباطنًا.

ولتعلم أن هذا القول فتح باب شرٍ على المسلمين، وضلَّ به فئامٌ، وزلت فيه أقدامٌ.



القَاعِدَةُ العَاشِرَةُ (لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ زَائِدٌ)

من الخطأ الكبير الاعتقاد أن في القرآن شيءٌ زائد، أو أن فيه ألفاظاً يمكن الاستغناء عنها، ولا يشفع أبداً لمن قال ذلك أنه يقصد أنها زائدة من حيث الإعراب، بل كل كلمة في مكانها تماماً، ولا يغني عنها غيرها، وليس في القرآن شيءٌ زائد، وليس فيه شيءٌ ناقصٌ، وسنعرف الآن كم بين التعبيرين من تفوات، وكم بينهما من البون الشاسع، التعبير القرآني، وما يقوله بعض المفسرين والنحاة من أنه أصل الكلام بعد الاستغناء عن حرف أو لفظ، وسأذكر خمس آياتٍ نتاولها بالدراسة لبيان فساد القول بأن القرآن فيه شيءٌ زائد.

قال الطبري: زيادة ما لا تُفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائزٍ إضافته إلى الله جل ثناؤه.^١

وقال الرازي: (القول بثبوت الزيادة في كلام الله خلاف الأصل).^٢

وقال الرازي: قال أبو مسلمٍ معاذَ الله أن يكون في القرآن زيادةٌ ولغوٌ والأصح قول أبي مسلمٍ لأن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدىً وبياناً وكونه لغواً يُنافي ذلك.^٣

وقال الزركشي: وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسرارهِ النَّظْرُ فِي هَيْئَةِ الْكَلِمَةِ وَصِيغَتِهَا وَمَحَلِّهَا كَكَوْنِهَا مُبْتَدَأً أَوْ حَبْرًا أَوْ فَاعِلَةً أَوْ مَفْعُولَةً أَوْ فِي مَبَادِي الْكَلَامِ أَوْ فِي جَوَابٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَعْرِيفٍ أَوْ تَنْكِيرٍ أَوْ جَمْعٍ قَلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

١ - تفسير الطبري (٢/ ٢٣٥)

٢ - تفسير الرازي (٦/ ٥٠٣)

٣ - تفسير الرازي (٢/ ٣٦٣)



وَيَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاةُ أُمُورٍ:

ثم قال: الثالثُ: بَحْنُ لَفْظِ الزَّائِدِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ التَّكْرَارِ، وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ؛ كَقَوْلِهِمُ الْبَاءُ زَائِدَةٌ وَنَحْوِهِ، مُرَادُهُمْ أَنَّ الْكَلَامَ لَا يَحْتَلُّ مَعْنَاهُ بِحَذْفِهَا، لَا أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ أَصْلًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُحْتَمَلُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ فَضْلًا عَنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ^١.

وقال ابن كثير: (لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ زَائِدٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ وَهَذَا مُمْتَنِعٌ)^٢.

الآيةُ الأولى:

ومن تلك الآيات التي قال عنها بعضهم إنَّ فيها لفظًا زائدًا، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^٣.

في هذه الآية لفظ: ﴿أَلَّا﴾، وهي مكونة من (أَنَّ) و (لَا) وادغمت النون في لا فصارت ﴿أَلَّا﴾، وقد زعم بعضهم أَنَّ لفظة: (أَنَّ) زائدة.

قَالَ الْأَخْفَشُ: (ف) ﴿أَنَّ﴾ هَاهُنَا زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ بَعْدَ «فَلَمَّا» وَ«لَمَّا» وَ«لَوْ»، فَهِيَ تُزَادُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرًا، وَمَعْنَاهُ: (وَمَا لَنَا لَا نُقَاتِلُ) فَأَعْمَلُ «أَنَّ» وَهِيَ زَائِدَةٌ، كَمَا قَالَ: "مَا أَتَانِي مِنْ أَحَدٍ فَأَعْمَلُ مِنْ" وَهِيَ زَائِدَةٌ وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ عَطْفَانُ لَا دُنُوبَ لَهَا ***** إِذَنْ لَلَّامَ دُؤُورَ أَحْسَابِهَا عَمْرًا

وَالْمَعْنَى: لَوْ لَمْ تَكُنْ عَطْفَانُ لَهَا دُنُوبٌ. «وَلَا» زَائِدَةٌ وَأَعْمَلَهَا^٤.

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٠٢ - ٣٠٥)

٢ - تفسير ابن كثير ت سلامة (٢/ ٢٢٦)

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٢٤٦

٤ - معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٤)



قال الرازي: (وهذا ضعيفٌ، لأنَّ القولَ بثبوتِ الزيادةِ في كلامِ اللهِ خلافُ الأصلِ).^١
وقال الإمام الطبري رحمه الله: (وأنكرَ ما قالَ هذا القائلُ من قولهِ الذي حكينا عنه آخرونَ،
وقالوا: غيرُ جائزٍ أنْ تجعَلَ «أنْ» زائدةً في الكلامِ وهو صحيحٌ في المعنى وبالكلامِ إليه الحاجةُ،
قالوا: والمعنى: ما يمنعنا ألا نقاتلَ؟ فلا وجهَ لدعوى مُدعٍ أنْ «أنْ» زائدةٌ، وله معنى مفهوماً
صحيحاً.

قالوا: وأما قوله: «لو لم تكن عطفان لا ذنوب لها» فإنَّ «لا» غيرُ زائدةٍ في هذا الموضعِ،
لأنَّه جحدٌ، والجحدُ إذا جحدَ صارَ إثباتاً. قالوا: فقوله: «لو لم تكن عطفان لا ذنوب لها»
إثباتُ الذنوبِ لها، كما يُقالُ: ما أخوك ليس يقومُ، بمعنى: هو يقومُ).^٢

وقال صاحب الدر المصون: (وهذا المذهبُ ضعيفٌ لأنَّ الأصلَ عدمُ الزيادة، فلا يُصارُ
إليها دون ضرورة).^٣

ومعنى الآية: وما يمنعنا أنْ لا نقاتلَ في سبيلِ اللهِ وقد أُخرجنا من ديارنا؟ أو يكون المعنى
وأى فائدةٍ وأى غرضٍ لنا في تركِ القتالِ في سبيلِ اللهِ وقد أُخرجنا من ديارنا؟
وهذا المعنى - وهو المنع على التقدير الأول، والفائدة والغرض على التقدير الثاني - لا
يتحقق مع الزعم بأنَّ "أنْ" زائدة.

قال النيسابوري: (وعن الفراء أن الكلامَ محمول على المعنى لأن قولك «ما لك لا تقاتل»
معناه ما منعك أن تقاتل، فلما ذهب إلى معنى المنع حسن إدخال «أن» فيه.

١ - تفسير الرازي (٦/ ٥٠٣)

٢ - تفسير الطبري (٤/ ٤٤٥)

٣ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٢/ ٥١٨)



وعن الكسائي: واستحسنه الفارسي أن التقدير أي شيء لنا؟ وأي داع أو غرض في ترك القتال؟^١.

الآيةُ الثَّانِيَةُ:

ومن تلك الآيات التي قال عنها بعضهم: إِنَّ فِيهَا لَفِظًا زَائِدًا؛ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^٢.

قال الأخفش: (وتفسيره: (فَقَلِيلًا يُؤْمِنُونَ) و"ما" زائدة كما قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ يقول: "فَبِرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ" وقال ﴿إِنَّهُ لِحَقُّ مَثَلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ﴾ أي: لِحَقِّ مَثَلِ أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ وزيادة "ما" في القرآن والكلام نحو ذا كثير. قال:

لَوْ بَابَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا **** خُضِبَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ

أي: خُضِبَ بِدَمِ أَنْفِ خَاطِبٍ^٣.

وقوله: «بَابَانَيْنِ» مثنى «أَبَانُ» وهما جبلان الأول: أَبَانُ الأبيض، والثاني أَبَانُ الأسود.

وقيل: هما أَبَانُ ومتالع، غلب أحدهما، كما قالوا العمران والقمران.

وقال السيوطي: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، مَا زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ الْقَلَّةِ أَيَّ إِيمَانِهِمْ قَلِيلٌ جِدًّا^٤.

ونقول (ما) من ألفاظ العموم وهي هنا مبتدأ تفيد أن ما يؤمنون به قليل، وعلى هذا يكون معنى الكلام: فإيماناً قليلاً ذلك الذي يؤمنون به، ويحتمل أن يكون المراد بالقليل هنا نفي الجميع.

١ - غرائب القرآن ورجائب الفرقان (١ / ٦٦٥)

٢ - سورة البقرة: الآية / ٨٨

٣ - معاني القرآن للأخفش (١ / ١٤٢)

٤ - تفسير الجلالين (ص: ١٨)



قال الطبري: (وقالوا: إنما ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء، إذ كانت ما كلمةً تجتمع كل الأشياء ثم تخص وتعم ما عمته بما تذكره بعدها. وهذا القول عندنا أولى بالصواب؛ لأن زيادة ما لا يُفيد من الكلام معنى في الكلام غير جائزٍ إضافته إلى الله جل ثناؤه. ولعل قائلًا أن يقول: هل كان للذين أخبر الله عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون من الإيمان قليلٌ أو كثيرٌ فيقال فيهم قليلًا ما يؤمنون؟ قيل: إن معنى الإيمان هو التصديق، وقد كانت اليهود التي أخبر الله عنها هذا الخبر تُصدق بوحدانية الله وبالبعث والثواب والعقاب، وتكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وكل ذلك كان فرضًا عليهم الإيمان به لأنه في كتبهم، ومما جاءهم به موسى؛ فصدقوا ببعض هو ذلك القليل من إيمانهم، وكذبوا ببعض فذلك هو الكثير الذي أخبر الله عنهم أنهم يكفرون به.

وقد قال بعضهم: إهم كانوا غير مؤمنين بشيء، وإنما قيل: ﴿فقليلًا ما يؤمنون﴾، وهم بالجميع كافرون، كما تقول العرب: قلما رأيت مثل هذا قط، وقد روي عنها سماعًا منها: مررت ببلادٍ قلما تُنبت إلا الكراث والبصل، يعني: ما تُنبت غير الكراث والبصل، وما أشبه ذلك من الكلام الذي يُنطق به بوصف الشيء بالقلّة، والمعنى فيه نفى جميعه

وقال صاحب المنار: (ومن مباحث اللفظ في الآية: أن كثيرًا من المفسرين يزعمون أن (ما) زائدة وما هي بزائدة وفاقًا لابن جرير الطبري، وجل القرآن أن يكون فيه كلم زائد، وإنما تأتي (ما) هذه لإفادة العموم تارةً ولتفخيم الشيء تارةً، ويقول ابن جرير: إنما يُؤتى بها في مثل هذا المقام كمبتدأ كلام جديد يُفيد العموم، كأنه قال: فإيمانًا قليلًا ذلك الذي يؤمنون به.^١

وأما التي لتفخيم الشيء فكقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾.^٢

١ - تفسير الطبري (٢/ ٢٣٤)

٢ - سورة ال عمران: الآية/ ١٥٩



أَيُّ فِسْبَبِ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ الشَّانِ حَصَّكَ اللهُ بِهَا لِنْتَ لَهُمْ عَلَى مَا لَقِيتَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى هَذِهِ الرَّحْمَةَ بِقَوْلِهِ فِي وَصْفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^١.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^٢.

الآيةُ الثالثةُ:

ومن تلك الآيات التي قال عنها بعضهم: إِنَّ فِيهَا لَفِظًا زَائِدًا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾^٣.

قال السمعاني في قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾. "لا" زائدة، والمراد: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ؟^٤.

والصحيح أن الفعل: "مَنَعَ" من قوله تعالى: ﴿مَنَعَكَ﴾ تَضَمَّنَ مَعْنَى فِعْلِ آخَرَ تَقْدِيرُهُ: مَا أَحْوَجَكَ وَالزَّمَكَ وَاضْطَرَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ، وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله.

قال ابن جريرٍ مَعْنَاهُ: (مَا مَنَعَكَ مِنَ السُّجُودِ فَأَحْوَجَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ؟ فَتَرَكَ ذِكْرَ أَحْوَجَكَ اسْتِعْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ).^٥

قال ابن كثير: (وَهَذَا الْقَوْلُ قَوِيٌّ حَسَنٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ).^٦

١ - سورة التَّوْبَةِ: الآية / ١٢٨

٢ - سورة الأنبياء: الآية / ١٠٧، تفسير المنار (١ / ٣١٤)

٣ - سورة الأعراف: الآية / ١٢

٤ - تفسير السمعاني (٢ / ١٦٨)

٥ - تفسير الطبري (١٠ / ٨٤)

٦ - تفسير ابن كثير (٣ / ٣٩٢)



الآيةُ الرَّابِعةُ:

ومن تلك الآيات التي قال عنها بعضهم: إِنَّ فِيهَا لَفْظًا زَائِدًا، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾^١.

زَعَمَ بَعْضُ نَحْوِيِّ البَصْرَةِ أَنَّ لَفْظَةَ: ﴿فَوْقَ﴾، زَائِدَةٌ، وَتَقْدِيرُ الكَلَامِ: (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ)، وَهَذَا القَوْلُ بَاطِلٌ بِدَلِيلِ ضَمِيرِ الجَمْعِ فِي لَفْظِ: ﴿كُنَّ﴾، وَضَمِيرِ الجَمْعِ بَعْدَهَا فِي لَفْظِ: ﴿فَلَهُنَّ﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (قَالَ بَعْضُ النَّاسِ: قَوْلُهُ: ﴿فَوْقَ﴾ زَائِدَةٌ وَتَقْدِيرُهُ: فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً اثْنَتَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾^٢.

وَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ لَّا هُنَا وَلَا هُنَاكَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي القُرْآنِ شَيْءٌ زَائِدٌ لَّا فَائِدَةَ فِيهِ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ، ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ لَوْ كَانَ المُرَادُ مَا قَالُوهُ لَقَالَ: (فَلَهُمَا ثُلُثَا مَا تَرَكَ). وَإِنَّمَا اسْتَفِيدَ كَوْنُ الثُّلُثَيْنِ لِلْبِنْتَيْنِ مِنْ حُكْمِ الأُخْتَيْنِ فِي الآيَةِ الأَخِيرَةِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى حَكَمَ فِيهَا لِلأُخْتَيْنِ بِالثُّلُثَيْنِ. وَإِذَا وَرَثَ الأُخْتَانِ الثُّلُثَيْنِ فَلَأَنَّ يَرِثَ البِنْتَانِ الثُّلُثَيْنِ بِطَرِيقِ الأُولَى وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَكَمَ لِابْنَتَيْ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ بِالثُّلُثَيْنِ، فَدَلَّ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، فَلَوْ كَانَ لِلْبِنْتَيْنِ النِّصْفُ أَيْضًا لَنَصَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا حَكَمَ بِهِ لِلوَاحِدَةِ عَلَى انْفِرَادِهَا دَلَّ عَلَى أَنَّ البِنْتَيْنِ فِي حُكْمِ الثَّلَاثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ^٣.

وَقَالَ القُرْطُبِيُّ: (وَرَدَّ هَذَا القَوْلَ النَّحَّاسُ وَابْنُ عَطِيَّةَ وَقَالَ: هُوَ حَطُّ، لِأَنَّ الظُّرُوفَ وَجَمِيعَ الأَسْمَاءِ لَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ العَرَبِ أَنْ تُزَادَ لِعَيْبٍ مَعْنَى).

١ - سورة النساء: الآية/ ١١

٢ - سورة الأنفال: الآية/ ١٢

٣ - تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٦)



وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَلَئِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) هُوَ الْفَصِيحُ، وَلَيْسَتْ فَوْقَ زَائِدَةً بَلْ هِيَ مُحْكَمَةٌ لِلْمَعْنَى، لِأَنَّ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ إِذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ الْعِظَامِ فِي الْمَفْصِلِ دُونَ الدِّمَاغِ. كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ: اخْفِضْ عَنِ الدِّمَاغِ وَاذْفَعْ عَنِ الْعِظْمِ، فَهَكَذَا كُنْتُ أَضْرِبُ أَعْنَاقَ الْأَبْطَالِ).^١

وقال أبو حيان: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾، اثْنَتَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا، وَأَنَّ قُوَّةَ الْكَلَامِ تَفْتَضِي ذَلِكَ كَابْنِ عَطِيَّةَ، أَوْ أَنَّ فَوْقَ زَائِدَةٌ مُسْتَدَلًّا بِأَنَّ فَوْقَ قَدْ زِيدَتْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾، فَلَا يُجْتَنَجُ فِي رَدِّ مَا زَعَمَ إِلَى حُجَّةٍ لَوْضُوحِ فَسَادِهِ).^٢

١ - تفسير القرطبي (٥ / ٦٣)

٢ - البحر المحيط في التفسير (٣ / ٥٣٧)



الآيةُ الخامسةُ:

ومن تلك الآيات التي قال عنها بعضُ العلماء: إِنَّ فِيهَا لَفِظًا زَائِدًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^١.

قَالَ جَلالُ الدين المحلي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الْكَافُ زَائِدَةٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا مِثْلَ لَهُ^٢.

قال الفخر الرازي: (مَعْنَاهُ لَيْسَ مِثْلَ مِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ عَيْنَ الشَّيْءِ مِثْلٌ لِمِثْلِ نَفْسِهِ. فَلَمَّا ثَبَتَ بِالْعَقْلِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فَهُوَ مِثْلٌ مِثْلِ نَفْسِهِ، وَدَلَّ الدَّلِيلُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى أَنَّ مِثْلَ مِثْلِ اللَّهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، كَانَ هَذَا تَصْرِيحًا بِأَنَّهُ تَعَالَى غَيْرُ مُسَمَّى بِاسْمِ الشَّيْءِ، وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ «الْكَافُ» فِي قَوْلِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ حَرْفٌ زَائِدٌ لَا فَائِدَةَ فِيهِ، لِأَنَّ حَمْلَ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى اللَّغْوِ وَالْعَبَثِ وَعَدَمِ الْفَائِدَةِ بَعِيدٌ).^٣

وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ كَدَاتِهِ ذَاتٌ، وَلَا كَاسْمِهِ اسْمٌ، وَلَا كَفِعْلِهِ فِعْلٌ، وَلَا كَصِفَتِهِ صِفَةٌ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مُوَافِقَةٍ اللَّفْظِ).^٤

١ - سورة الشورى: الآية/ ١١

٢ - تفسير الجلالين (ص: ٦٣٩)

٣ - تفسير الرازي (١٥ / ٤١٤)

٤ - تفسير القرطبي (٩ / ١٦)



الآيةُ السادسةُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

قال الشوكاني: (ومن في قوله: مِنْ بَشِيرٍ زَائِدَةٌ لِلْمُبَالَغَةِ فِي نَفْيِ الْمَجِيءِ)^٢.

وكذا قال الخطيب الشربيني، قال: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ﴾، أي: بَشِيرٌ ف (مِنْ) زائدة

للتأكد النفي)^٣.

والصواب كما قلنا القرآن ليس فيه شيءٌ زائدٌ، إنما وضعت كل لفظة في موضعها بدقة متناهية، ولم لا؟ وهو كلام الحكيم الخبير سبحانه وتعالى.

والفارق بين التعبير القرآني، وقولهم: (مَا جَاءَنَا بَشِيرٌ وَلَا نَذِيرٌ)، أن النفي في التعبير القرآني يدخل فيه كل مبشرٍ ومنذرٍ ولو لم يكن نبياً، أو رسولاً، فقد بالغوا جداً في النفي، حتى أنكروا أن يكون قد جاءهم أي داعٍ يدعوهم إلى الله.

والقول بأنَّ ﴿مِنْ﴾، زائدة يجعل النَّفْيَ قاصراً على الأنبياء والرسل فقط، ويحتمل أن يكون قد جاءهم من يبشرهم وينذرهم من غير الرسل، وهم إنما نفوا كل مَنْ يُطَلَّقُ عليه لفظُ بَشِيرٍ وَنَذِيرٍ.

ومثال ذلك قول القائل: (ما عندي مال) فهذا نفى أن يكون عنده مالٌ، وقد يكون عنده قدرًا يسيرًا من المال لكنه يرى أنه لا يستحق أن يُسَمَّى مَالًا.

فإذا قال: (ما عندي من مال) فمعنى كلامه أنه لا يملك شيئًا من المال على الإطلاق لا قليلاً ولا كثيراً.

١ - سورة المائدة: الآية / ١٩

٢ - فتح القدير للشوكاني (٢ / ٣٠)

٣ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (١ / ٣٦٥)



سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابِ

القواعدُ المُثَلَى لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

فانظر إلى التعبيرين، وإلى ما بينهما من التفاوت الكبير، والبون الشاسع.



الآيَةُ السَّابِعَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^١.

قال الأخفش: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾. يقول: "فَبِرَحْمَةٍ" و ﴿مَا﴾ زائدة.^٢

وقال الفخر الرازي: ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّ (مَا) فِي قَوْلِهِ: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ صِلَةٌ زَائِدَةٌ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾، و ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ﴾، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥، المائة: ١٣] ﴿بِمَا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] قَالُوا: وَالْعَرَبُ قَدْ تَزِيدُ فِي الْكَلَامِ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى مَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦] أَرَادَ فَلَمَّا جَاءَ، فَأَكَّدَ بَأْنَ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: دُخُولُ اللَّفْظِ الْمُهِمَلِ الضَّائِعِ فِي كَلَامِ الْحَاكِمِينَ غَيْرُ جَائِزٍ، وَهَاهُنَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (مَا) اسْتِفْهَامًا لِلتَّعَجُّبِ تَقْدِيرُهُ: فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ جِنَايَتَهُمْ لَمَّا كَانَتْ عَظِيمَةً ثُمَّ إِنَّهُ مَا أَظْهَرَ أَلْبَتَّةَ تَغْلِيظًا فِي الْقَوْلِ، وَلَا حُشُونَةً فِي الْكَلَامِ، عَلِمُوا أَنَّ هَذَا لَا يَتَأْتَى إِلَّا بِتَأْيِيدِ رَبِّيِّ وَتَسْدِيدِ إِهْيِي، فَكَانَ ذَلِكَ مَوْضِعَ التَّعَجُّبِ مِنْ كَمَالِ ذَلِكَ التَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ، فَقِيلَ: فَبِأَيِّ رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْأُصُوبُ عِنْدِي.^٣

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٥٩

٢ - معاني القرآن للأخفش (١/ ٢٣٨)

٣ - مفاتيح الغيب (٩/ ٤٠٧)



القاعدةُ الحاديةُ عشرةُ (القرآنُ نزلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)

نزلَ القرآنُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، على أساليبِ العربِ التي بها يتحدثون، وطرائقِ كلامهم التي بها يتخاطبون، والذي لا يعرفُ أساليبَ الكلامِ عند العربِ لا يفهمُ كلامَ الله تعالى، وإذا كان لا يفهمُ القرآنَ فكيف يتدبر معانيه، وكيف يستخلص دُررَهُ، ويدركُ مَرَامِيهِ؟

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^١.

وَمِنْ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةُ: الْكِنَايَةُ، وَالتَّضْمِينُ، وَالتَّلْفِيفُ، وَالْإِلْتِفَاتُ، وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ، وَالْإِحْتِرَاسُ، وَالْإِعْتِرَاضُ، وَالتَّعْلِيلُ، وَالتَّرْقِي، وَالتَّطْبَاقُ، وَالْمُدْرَجُ، وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ، وَالْإِطْنَابُ، وَالتَّقْسِيمُ، وَالتَّأَكِيدُ، وَالْإِيْجَازُ، وَالْإِسْتِعَارَةُ، وَخُرُوجُ اللَّفْظِ مَخْرَجَ الْعَالِبِ، وَغَيْرَهَا مِنْ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ، وَقَدْ تَوَسَّعَتْ فِي الْحَدِيثِ عَنْهَا فِي كِتَابِي: (مِنْ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ)، وَأَشْرَتْ هُنَا إِلَى بَعْضِهَا لِبَيَانِ مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بَيَانِهِ، وَأَنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَعَلَى أَسَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعْهُودَةِ عِنْدَ النَّاسِ.

وسنعرض باختصارٍ لشيءٍ من أساليبِ القرآنِ البلاغيةِ، حتى يظهرَ لنا منها روعةُ التعبيرِ القرآنيِّ، وندركُ من خلالها شيئاً من جماله الخلابِ، الذي يأخذُ بالألبابِ، ويدهشُ العقولَ، ويسجدُ لإعجازه كلُّ كلامٍ، وتنقطعُ في مضماره كلُّ بلاغةٍ، وتعي في مجارته كلُّ فصاحةٍ.

١ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: الْآيَةُ / ١٩٢ : ١٩٥



أَسَالِبُ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ

الْكِنَايَةُ:

وَمِنْ أَسَالِبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الْكِنَايَةُ، وَهِيَ أْبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ.

حَدُّ الْكِنَايَةِ:

الْكِنَايَةُ لُغَةٌ: أَصْلُهَا الْإِخْفَاءُ وَالسُّتْرُ؛ وَمِنْهُ الْكِنَى وَهُوَ أَبُو فُلَانٍ وَابْنُ فُلَانٍ وَأُمُّ فُلَانٍ وَبِنْتُ

فُلَانٍ سَمِيَتْ كِنَى لِمَا فِيهَا مِنْ إِخْفَاءٍ وَجِهَ التَّصْرِيحِ بِأَسْمَائِهِمُ الْأَعْلَامِ.^١

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ عِلْجًا يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ تَكَنَّى وَتَحَجَّى. أَي: تَسَتَّرَ.^٢

وَاصْطِلَاحًا هِيَ: ذِكْرُ الشَّيْءِ بِغَيْرِ لَفْظِهِ الْمَوْضُوعِ لَهُ.^٣

وَقَالَ: الطَّبِيُّ تَرُكُ التَّصْرِيحِ بِالشَّيْءِ إِلَى مَا يُسَاوِيهِ فِي اللُّزُومِ فَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَى الْمَلْزُومِ.^٤

أَسْبَابُ الْكِنَايَةِ:

لِلْكِنَايَةِ أَسْبَابٌ مِنْهَا:

أَنْ يَكُونَ التَّصْرِيحُ مِمَّا يُسْتَحْيَا مِنْ ذِكْرِهِ:

مِثَالُ ذَلِكَ الْكِنَايَةُ عَنِ الْجَمَاعِ بِالْمُلَامِسَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.^٥

١ - مفتاح العلوم (ص: ٤٠٢)

٢ - لسان العرب (١٥ / ٢٣٣)

٣ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: ١٥٦)

٤ - الإتيان في علوم القرآن (٣ / ١٥٩)

٥ - سورة المائدة: الآية / ٦



قال ابن عباس رضي الله عنهما: الملامسة: الجماع، ولكن الله كريمٌ يُكِنِّي بما يشاء.^١
ومن ذلك أيضا الكناية عن الجماع بالرفث، قال الله تعالى: ﴿أحلَّ لكم ليلة الصيام الرفثُ
إلى نسائكم﴾.^٢

فقوله تعالى: ﴿الرفثُ إلى نسائكم﴾، كناية عن الجماع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الله كريمٌ يُكِنِّي ما شاء وإن الرفث هو الجماع.^٣
ومن ذلك أيضا الكناية عن الجماع بالمباشرة قال الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿فالآن
باشروهنَّ وابتنعوا ما كتب الله لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهنَّ وأنتم عاكفون في
المساجد﴾.^٤

فقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهنَّ﴾، كناية عن الجماع، أي قد أحلَّ لكم ما حرم عليكم، وسمي
الوقاع مباشرة لتلاصق البشرتين فيه.

ومن ذلك أيضا الكناية عن الجماع بالعشيان، قال الله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفسٍ
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً﴾.^٥

فقوله تعالى: ﴿فلما تغشاها﴾، كناية عن الجماع.

ومن ذلك أيضا الكناية عن الجماع بالقيء، قال الله تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم
تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله عفورٌ رحيمٌ﴾.^٦

١ - تفسير الطبري (٣/ ٢٢٩)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٨٧

٣ - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٤٦)

٤ - سورة البقرة: الآية/ ١٨٧

٥ - سورة الأعراف: الآية/ ١٨٩

٦ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٦



فإن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾، كناية عن الجماع، قاله ابن عباس، ومسروق والشعبي، وسعيد بن جبير، وغير واحد، ومنهم ابن جرير.^١

ومن ذلك أيضًا الكناية عن الجماع بالذحول، والسير، والمس، والمرودة، واللباس.

ولا شك أن هذا من أجمل الآداب التي يعلمنا إياها القرآن وهي الكناية مما يستقبح ذكره أو مما يستحيا من ذكره.

أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره:

ومثال ذلك الكناية عن البول ونحوه بالغائط قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾.^٢

فقوله تعالى: ﴿مِّنَ الْغَائِطِ﴾، كناية عن البول، وأصل الغائط المكان المنخفض من الأرض.

ومثال ذلك الكناية عن قضاء الحاجة بأكل الطعام، قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾.^٣

فقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾. كناية عن قضاء الحاجة لأن أكل الطعام من لوازمه قضاء الحاجة.

ومثال ذلك أيضًا الكناية عن الاسته بالاذبار، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾.^٤

١ - تفسير ابن كثير (١/ ٦٠٤)

٢ - سورة المائدة: الآية/ ٦

٣ - سورة المائدة: الآية/ ٧٥

٤ - سورة الأنفال: الآية/ ٥٠



فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَدْبَارُهُمْ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ الْأُسْتَاهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: يَغْنِي أَسْتَاهَهُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُكَيِّ.

التَّنْبِيهُ عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى:

مثال ذلك الكِنَايَةُ عَنِ آدَمَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^٢.
فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ آدَمَ، تَنْبِيهًُا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

التَّنْبِيهُ عَلَى قَصْدِ الْمُبَالَغَةِ:

مثال ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٣.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، كِنَايَةٌ عَنِ
إِعْرَاضِهِمْ عَنِ التَّوْرَةِ الَّتِي فِيهَا الْبَشَارَةُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ؛ لِأَنَّ مَا يَجْعَلُ
وَرَاءَ الظَّهْرِ لَا يُنْظَرُ إِلَيْهِ، كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا، وَأَقْبَلُوا عَلَى تَعَلُّمِ السِّحْرِ وَاتِّبَاعِهِ.

وَفِي التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾، بَيَانُ الْمُبَالَغَةِ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، لِشِدَّةِ
عِدَائِهِمْ لِنَبِيِّ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ ذِكْرًا، وَلَا يَعْلَمُوا لَهُ
خَبْرًا، شَأْنِ الْمُبْغِضِ الَّذِي لَا يَرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ عَمَّنْ يَبْغِضُهُ شَيْئًا.

١ - سورة النساء: الآية/ ١

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١٨٩

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٠١



ومثال ذلك أيضاً: الكِنَايَةُ عَنْ سَعَةِ كَرَمِ اللَّهِ وَعَظِيمِ جُودِهِ بِبَسْطِ يَدَيْهِ سَبْحَانَهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾^١.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. كِنَايَةُ عَنْ سَعَةِ كَرَمِ اللَّهِ وَعَظِيمِ جُودِهِ، رداً على الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ»^٢.

ومن التَّنْبِيهِ عَلَى قَصْدِ الْمُبَالَغَةِ بِالتَّمثِيلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١٢]، قال ابن الأثير: فمن بديع التمثيل قوله تعالى: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾. فأما تمثيله الاغتياب بأكل لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الأخ ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالحب، وهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له مطابقة المعنى الذي وردت لأجله فشديد المناسبة جداً، وذلك لأن الاغتياب، إنما هو ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم، وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم فيه تمزيق لا محالة.

وأما قوله: ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾، فلما في الاغتياب من الكراهة، لأن العقل والشرع معاً قد أجمعا على استكراهه وأمرًا بتركه، والبعد عنه. ولما كان كذلك جعل بمنزلة لحم الأخ في كراهته. ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر مثله، إلا إنه لا يكون مثل كراهته ﴿لَحْمَ﴾، أخيه، فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة، لا أمد فوقها.

وأما قوله: ﴿مَيْتًا﴾؛ فلأجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته، ولا يحس.

١ - سورة المائدة: الآية / ٦٤

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم: ٧٤١٩، ومسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبَشِيرِ الْمُنفِقِ بِالْحَلْفِ، حديث رقم: ٩٩٣



وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولاً بالمحبة، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها. مع العلم بأنها من أذم الخلال، ومكروه الأفعال، عند الله تعالى والناس. فانظر أيها المتأمل لهذا التمثيل كيف مطابقته لما مثل به تجده من أبلغ التمثيلات وأندرهما مثالا، لأنك متى نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع، التي أوردناها رأيتها مناسبة لما قصدت له؛ فتمزيق العرض مثل أكل الإنسان لحم من يغباه؛ لأن ذلك تمزيق على الحقيقة، وجعل بمنزلة لحم الأخ لأجل المبالغة في الكراهة. والميت لامتناع الإحساس به. واتصال ما هو مستكره بالمحبة لما في طبع الأنفس من الشهوة للغيبة والميل إليها.^١

١ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: ١٥٧)



الطَّبَاقُ:

تَعْرِيفُ الطَّبَاقِ:

الطَّبَاقُ - ويقال له الْمُطَابَقَةُ، وَالتَّضَادُّ - لُغَةً: مَقَابِلَةُ الشَّيْءِ لِمِثْلِهِ الَّذِي هُوَ عَلَى قَدْرِهِ، يُقَالُ: طَابَقْتُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، إِذَا جَعَلْتَهُمَا عَلَى حَدِّهِ وَوَاحِدٍ.^١

قال ابن الأثير: ولا مناسبة بينه وبين مسماه، هذا الظاهر لنا من هذا القول، إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن.^٢

واصطلاحًا: هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ مَعَ مُرَاعَاةِ التَّقَابُلِ؛ كَالْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.^٣ قال ابن الأثير: وهذا النوع يسمى البديع أيضًا، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ؛ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضددين.^٤

قال أبو هلال العسكري: قد أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد. وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى.^٥

وَهُوَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَةِ اللَّفْظِ، يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

لَفْظِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ.

وباعتبار النفي والإثبات، ينقسم إلى قِسْمَيْنِ:

١ - تهذيب اللغة (٣٢ / ٩)

٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١٤٤ / ٣)

٣ - درر الفرائد المستحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة (ص: ٤٢٨)

٤ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢ / ٢٦٤)

٥ - الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٣٠٧)



طَبَاقٍ إِجَابٍ، وَطَبَاقٍ سَلْبٍ.

وباعتبار الظهور والخفاء ينقسم إلى قِسْمَيْنِ:

طَبَاقٍ ظَاهِرٍ، وَطَبَاقٍ خَفِيِّ.

ويكون الطباق في الأسماء، والأفعال.

أولا الطَّبَاقُ اللَّفْظِيُّ:

ومعناه الجَمْعُ بَيْنَ مُتَضَادَّيْنِ مَعَ مُرَاعَاةِ التَّقَابِلِ فِي اللَّفْظَيْنِ، مثل الضحك والبكاء، والفرح والحزن، والموت والحياة.

مثاله قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

في الآية طَبَاقٌ بَيْنَ الضَّحِكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ وَالْبُكَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَبْكُوا﴾، وَطَبَاقٌ بَيْنَ الْقَلِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَلِيلًا﴾ وَالْكَثِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَثِيرًا﴾.

ومثله قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ﴾^٢.

في الآية طَبَاقٌ بَيْنَ الْأَسَى وَهُوَ الْحُزْنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَأْسَوْا﴾ وَالْفَرَحِ فِي قَوْلِهِ: ﴿تَفْرَحُوا﴾، وَطَبَاقٌ بَيْنَ الْفَقْدِ وَالْفَوَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاتَكُمْ﴾ وَالْعَطَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿آتَاكُمْ﴾.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾^٣.

في الآية طَبَاقٌ بَيْنَ الضَّحِكِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَضْحَكَ﴾ وَالْبُكَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَبْكَى﴾، وَطَبَاقٌ بَيْنَ

الموت والحياة في قوله: ﴿أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾.

١ - سورة التوبة: الآية/ ٨٢

٢ - سورة الحديد: الآية/ ٢٣

٣ - سورة النجم: الآية/ ٤٣، ٤٤



وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^١.

في الآيةِ طِبَاقٌ بَيْنَ اليَقْظَةِ في قوله: ﴿آيِقَاطًا﴾، وَالرَّقَادِ في قوله: ﴿رُقُودٌ﴾

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ

وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾^٢.

في الآيةِ طِبَاقٌ بَيْنَ الإِسْرَارِ في قوله: ﴿أَسَرَ﴾ وَالجَهْرِ في قوله: ﴿جَهَرَ﴾، وَطِبَاقٌ بَيْنَ

الاسْتِخْفَاءِ في قوله: ﴿مُسْتَخْفٍ﴾ وَالظُّهُورِ في قوله: ﴿وَسَارِبٍ﴾، فَإِنَّ مَعْنَى سَارِبٍ أَيُّ: ظَاهِرٌ

مَا شِ فِي ضِيَاءِ النَّهَارِ وَطِبَاقٌ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ في قوله: ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِ

مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْتَضِي مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾^٣.

في الآيةِ طِبَاقٌ بَيْنَ الإِيْتَاءِ وَهُوَ الإِعْطَاءُ وَالتَّمْكِينِ في قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾، وَالنَّزْعِ وَهُوَ

السُّلْبُ بِقُوَّةٍ في قوله: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ﴾، وَطِبَاقٌ بَيْنَ العِزَّةِ في قوله: ﴿وَتُعْزِ﴾، وَالدَّلَّةِ في قوله:

﴿وَتُنْزِلُ﴾، وَطِبَاقٌ بَيْنَ اللَّيْلِ في قوله: ﴿بِاللَّيْلِ﴾، وَالنَّهَارِ في قوله: ﴿بِالنَّهَارِ﴾، وَطِبَاقٌ بَيْنَ

الحَيَاةِ في قوله: ﴿الْحَيِّ﴾، وَالمَوْتِ في قوله: ﴿الْمَيِّتِ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالبَصِيرُ * وَلَا الظُّلْمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحُرُورُ

* وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^٤.

١ - سورة الكهف: الآية/ ١٨

٢ - سورة الرعد: الآية/ ١٠

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ٢٦، ٢٧

٤ - سورة فَاطِمَةَ: الآيات/ ١٩ - ٢٢



في الآية طباقٌ بينَ الأعمى في قوله: ﴿الأعمى﴾ والبصيرُ في قوله: ﴿والبصيرُ﴾، وطباقٌ بين الظلامِ في قوله: ﴿الظلماتُ﴾ والنورِ في قوله: ﴿ولا الظلماتُ ولا النورُ﴾، وطباقٌ بين الظلِّ في قوله: ﴿الظلُّ﴾ والحَرِّ في قوله: ﴿الحَرُّ﴾، وطباقٌ بين الأحياءِ في قوله: ﴿الأحياءُ﴾، والموتى في قوله: ﴿الأمواتُ﴾.

قلنا إنَّ المطابفةَ أو الطباقَ ينقسمُ إلى قسمين: إلى طباقٍ لفظيٍّ وطباقٍ معنويٍّ وقد مثلنا على الطباقِ اللفظيِّ بما سبق من أمثلة أما الطباقُ المعنويُّ فمعناه: الجمعُ بينَ متضادَّين مع مُراعاةِ التَّقابلِ في المعنيين.

أمثلةُ الطباقِ المعنويِّ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾^١.

فقوهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾، يقابله من حيث الطباق معنى قولِ الرسلِ: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، أي: رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا لَصَادِقُونَ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾^٢.

قال: أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: لَمَّا كَانَ الْبِنَاءُ رَفْعًا لِلْمَبْنِيِّ قُوبِلَ بِالْفِرَاشِ الَّذِي هُوَ عَلَى خِلَافِ الْبِنَاءِ.

ومن الطباقِ المعنويِّ نَوْعٌ يُسَمَّى الطَّبَاقَ الحَفِيَّ، ولا يتوصل إليه إلا بطول التأمل وإعمال الفكر.

ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِمَا حَطِيبَاتِهِمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾^٣.

١ - سورة يس: الآية/ ١٥، ١٦

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢١

٣ - سورة نوح: الآية/ ٢٥



في الآية طابق بين قوله: ﴿أَعْرِفُوا﴾ وقوله: ﴿أَدْخِلُوا نَارًا﴾؛ لِأَنَّ الإِعْرَاقَ مِنْ صِفَاتِ الْمَاءِ فَكَأَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ قَالَ ابْنُ مُنْقِذٍ وَهِيَ أَحْفَى مُطَابَقَةً فِي الْقُرْآنِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^١.

وَالْقِصَاصُ هُوَ قَتْلُ الْقَاتِلِ فِيهِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ بَقَاءُ حَيَاةِ النَّفْسِ وَصَوْنُهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ الْقَاتِلُ أَنَّهُ يُقْتَلُ انْكَفَّ عَنِ الْقَتْلِ، فَصَارَ الْقَتْلُ بِالْقِصَاصِ سَبَبَ حَيَاةِ النَّفْسِ، وَهُوَ مِنْ أَمْلَحِ الطَّبَاقِ وَأَحْفَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ.

وينقسم الطباق من حيث النفي والإثبات إلى قسمين: طباق إيجابٍ وطباق سلبٍ.

تعريف طباق السلب:

طَبَاقِ السَّلْبِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ مَعْنَيْنِ مُتَضَادِّينِ أَحَدُهُمَا مُثَبَّتٌ، وَالْآخَرُ مَنْفِيٌّ، أَوْ بَيْنَ أَمْرٍ وَنَهْيٍ.

ومثاله في الأمر والنهي:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^٢.

ففي الآية نهي للمؤمنين عن خشية الناس، وأمر لهم بالخشية من الله تعالى وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ﴾^٣.

في الآية نهي للمؤمنين عن خشية الناس وأمرهم بالخشية من الله تعالى وحده.

وقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^٤.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٧٩

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٥٠

٣ - سورة المائدة: الآية/ ٤٤

٤ - سورة المائدة: الآية/ ١١٧



يتبرأ عيسى عليه السلام ممن عبده في الدنيا، وينفي عن نفسه علم شيء من الغيب ويسلم أمره لخالقه الذي يعلم السر وأخفى فيقول يارب تَعَلَّمْ سِرِّي وَمَا انطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرِي ومكون نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ مِنْ عَيْبِكَ وَعِلْمِكَ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^١.

في الآية نهي عن التأفف في وجوه الوالدين ونهي عن انتهارهما، وأمر بالإحسان لهما بإلانة القول لهما وحسن معاملتهما.

ومثاله في الإثبات والنفي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٢.

في الآية نفي للعلم النافع عن كثير من الناس، وإثبات لعلم لا ينفع.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾^٣.

في الآية نفي للرمي وإثبات له، نفي عنه الرمي وأثبتته له، ويفسر ذلك صدر الآية، أعني قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾. أي ما أصبت وقتلت عندما رميت ولكن الله أصابهم وقتلهم، وقيل: ما رَمَيْتَ على الحقيقة إذ رَمَيْتَ في ظاهر الحال، أو ما رَمَيْتَ الرُّعْبَ في قلوبهم إذ رَمَيْتَ الحَصِيَّاتِ والتراب.

وكما يكون الطباق في الأفعال يكون في الأسماء كذلك.

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٢٣

٢ - سورة الروم: الآية/ ٦، ٧

٣ - سورة الأنفال: الآية/ ١٧



مثال الطباق في الأسماء:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ﴾^١.

ففي الآية نفي للأمومة عن الأزواج، فليست الزوجة أمًا، وأثبتت الأمومة فقط للتي أنجبت.

ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾^٢.

في الآية بيان أن مِنَ الْأَعْنَابِ وَالرِّزْقِ وَالنَّخِيلِ ما هو صِنْوَانٌ: ومعناه الْأَصُولُ الْمُجْتَمِعَةُ فِي مَنَبَتٍ وَاحِدٍ، مثلها النَّحْلَاتُ وَالنَّحْلَتَانِ، يَجْمَعُهُنَّ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَتَتَشَعَّبُ مِنْهُ رُءُوسٌ فَتَصِيرُ نَخِيلًا، كَالرُّمَانِ وَاللِّينِ وَبَعْضِ النَّخِيلِ، وَغَيْرُ صِنْوَانٍ: وهو مَا كَانَ عَلَى أَصْلِ وَاحِدٍ أَوْ سَاقٍ وَاحِدَةٍ، كَسَائِرِ الْأَشْجَارِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿مِنْ مِضْعَةٍ مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ﴾^٣.

في الآية بيان أن المِضْعَةَ يكون منها المَخْلُوقَةُ وهي الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا الرَّأْسَ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، وَغَيْرِ المِخْلُوقَةِ وهي التي لم يخلق فيها شيء.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾^٤.

يخبر الله تعالى أَنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ تَدْهَشُ لَهُ عُقُولُ النَّاسِ، وَتَذْهَبُ مِنْ هَوْلِهِ أَذْهَابُهُمْ، فَمَنْ رَأَاهُمْ حَسَبَ أَهْمِهِمْ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ.

١ - سورة المجادلة: الآية/ ٢

٢ - سورة الرعد: الآية/ ٤

٣ - سورة الحج: الآية/ ٥

٤ - سورة الحج: الآية/ ٢



التَّضْمِينُ:

حُدُ التَّضْمِينِ:

التَّضْمِينُ لُغَةً: ضَمَّنَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: إِذَا أَوْدَعَهُ إِيَّاهُ كَمَا تُودِعُ الْوِعَاءَ الْمَتَاعَ وَالْمَيْتَ الْقَبْرَ.^١

وَمَا جَعَلْتَهُ فِي وَعَاءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ.^٢

وَفَهِمْتُ مَا تَضَمَّنَهُ كِتَابُكَ أَيُّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ فِي ضِمْنِهِ.^٣

وَاصْطِلَاحًا هُوَ: إِشْرَابُ الْكَلِمَةِ مَعْنَى كَلِمَةٍ أُخْرَى لِتَفْيِيدِ الْمَعْنِيِّينَ.^٤

وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ: هُوَ إِعْطَاءُ الشَّيْءِ مَعْنَى الشَّيْءِ.^٥

مِنْ أَسَالِيْبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ التَّضْمِينُ، وَهُوَ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ الْكَلَامَ حِلَاوَةً، وَيَكْتَسِبُ بِهِ رَوْنَقًا وَطِلَاوَةً، وَلَا سِيْمَا إِذَا كَانَ التَّضْمِينُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَإِنَّهَا تَكُونُ فِي الْكَلَامِ كَالشَّاهِدَةِ لَهُ، وَالْمُنَادِيَةِ عَلَى سِدَادِهِ.^٦

وَمِنَ الْخَطَأِ قَوْلُ نَحَاةِ الْكُوفَةِ إِنَّ حُرُوفَ الْجَرِّ تَتَنَاوَبُ، وَإِنَّ الْحَرْفَ يَقُومُ مَقَامَ غَيْرِهِ، فَإِنْ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَشْبَهُ كَلَامَ غَيْرِهِ، فَلَا يُعْنِي حَرْفٌ عَنْ حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَا تَسُدُّ كَلِمَةٌ مَسَدَّ كَلِمَةٍ أُخْرَى.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: وَالْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَّتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ﴾، أَيُّ: مَعَ نَعَاجِهِ، وَ ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، أَيُّ: مَعَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ

١ - تاج العروس (٣٥ / ٣٣٤)

٢ - القاموس المحيط (ص: ١٢١٢)

٣ - مختار الصحاح (ص: ١٨٦)

٤ - حاشية الخضري على ابن عقيل (١ / ٢٣)

٥ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٣٣٨)

٦ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: ٢٣٢)



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآن

سعيد بن مُصطفى دياب

والتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاهُ الْبَصْرَةَ مِنَ التَّضْمِينِ، فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إِلَى نِعَاجِهِ
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ﴾، ضَمَّنَ مَعْنَى يُزِيعُونَكَ وَيَصُدُّونَكَ،
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَصَرْنَاكَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾، ضَمَّنَ مَعْنَى نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ وَكَذَلِكَ
قَوْلُهُ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾، ضَمَّنَ يُرَوَى بِهَا وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ^١.

ومنه قولُ الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَّوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^٢.

ضَمَّنَ الْفِعْلُ: ﴿حَلَّوْا﴾ مَعْنَى: انصَرَفُوا وَذَهَبُوا وَخَلَّصُوا؛ لتعديه بإلى، لِيَدُلَّ عَلَى الْفِعْلِ
الْمُضَمَّرِ وَالْفِعْلِ الْمَلْفُوظِ بِهِ، ويكون المعنى إِذَا انصَرَفُوا وَخَلَّصُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ.

قال الزركشي: التَّضْمِينُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَسْمَاءِ وَفِي الْأَفْعَالِ وَفِي الْحُرُوفِ فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهُوَ
أَنْ تُضْمِنَ اسْمًا مَعْنَى اسْمٍ لِإِفَادَةِ مَعْنَى الْإِسْمِينَ جَمِيعًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى
اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ ضَمَّنَ حَقِيقٌ مَعْنَى حَرِيصٌ لِيُفِيدَ أَنَّهُ مُحَقَّقٌ بِقَوْلِ الْحَقِّ وَحَرِيصٌ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْأَفْعَالُ فَأَنْ تُضْمِنَ فِعْلًا مَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ وَيَكُونُ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلَيْنِ جَمِيعًا وَذَلِكَ بِأَنْ
يَكُونَ الْفِعْلُ يَتَعَدَّى بِحَرْفٍ فَيَأْتِي مُتَعَدِّيًا بِحَرْفٍ آخَرَ لَيْسَ مِنْ عَادَتِهِ التَّعَدِّيِّ بِهِ فَيُحْتَاجُ إِمَّا إِلَى
تَأْوِيلِهِ أَوْ تَأْوِيلِ الْفِعْلِ لِيَصِحَّ تَعَدِّيهِ بِهِ.

وَاحْتَلَفُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى فَذَهَبَ أَهْلُ اللَّغَةِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْحَرْفِ وَأَنَّهُ
وَاقِعٌ مَوْقِعَ غَيْرِهِ مِنَ الْحُرُوفِ أَوْلَى.

وَذَهَبَ الْمُحَقِّقُونَ إِلَى أَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْفِعْلِ وَتَعَدِّيَّتُهُ بِمَا لَا يَتَعَدَّى لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى
بِذَلِكَ الْحَرْفِ أَوْلَى لِأَنَّ التَّوَسُّعَ فِي الْأَفْعَالِ أَكْثَرُ^٣.

١ - مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٤٢)

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٤

٣ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٣٣٨)



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾^١.

الأصل أن الفعل يُسَارِعُ يتعدي بإلى كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾^٢.

وإنما عدي الفعل ﴿يُسَارِعُونَ﴾ بـ ﴿فِيهِمْ﴾ لتضمنه معنى المسارعة والدخول، فيكون معنى الكلام فَتَرَى المنافقين الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِي الدخول في أحلاف المشركين، مناصرين لهم وموالين لهم، ومتعززين بهم خوفاً من أن تدور الدائرة عليهم.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^٣.

ضَمَّنَ الفعلُ: ﴿يَشْرَبُ﴾ مَعْنَى يَرْوِي، وَيَتَلَذَّذُ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ لَا يَتَعَدَّى بِالْبَاءِ، فَلِذَلِكَ دَخَلَتِ الْبَاءُ، وَإِلَّا فَـ ﴿يَشْرَبُ﴾ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، فَأُرِيدَ بِاللَّفْظِ الشُّرْبُ، وَالرَّيُّ مَعَ التَّلَذُّذِ. وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٤.

فالضمير في قوله ﴿عَنْ أَمْرِهِ﴾، راجع إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو إلى الله تعالى، ولا منافاة، لأن الأمر لله تعالى في الحقيقة، والرسول مبلغ عن الله، وهو المقصود هنا.

قال الراغب: والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله.^٥

والأكثر أن يتعدي الفعل (يُخَالِفُ) بنفسه فيقال: (زَيْدٌ يُخَالِفُ عَمْرًا)، فإذا تعدي بعن ضَمَّنَ معنى الإعراض كما في هذه الآية: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ ضَمَّنَ معنى الإعراض لتعديه بـ ﴿عَنْ﴾، والمعنى فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معرضين عن أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٥٢

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣٣

٣ - سورة الإنسان: الآية/ ٦

٤ - سورة النور: الآية/ ٦٣

٥ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤)



وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾^١.

عدى الفعل ﴿يَقْبَلُ﴾ بحرف الجرّ ﴿عَنْ﴾، مع أن الاصل في الاستعمال أن يعدى بحرف الجرّ «مِنْ» كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٢.

وكما في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^٣.

والعلة أن الفعل ﴿يَقْبَلُ﴾ ضمن معنى التحمل أو التجاوز، ويكون المعنى أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ متحملاً أو متجاوزاً عَنْ عِبَادِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^٤.

الأصل في الفعل (يريد) أنه لا يتعدى بالباء، كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^٥.

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ﴾^٦.

وهنا تعدي الفعلِ ﴿يُرِدُ﴾ بالباء؛ لأنه ضَمَّنَ مَعْنَى (يَهْتُمُّ)، أي: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ فَعِلٌ مُحَرَّمٌ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَيَهْتُمُّ بِهِ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾^٧.

١ - سورة التَّوْبَةِ: الآية / ١٠٤

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٢٧

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ٣٥

٤ - سورة الْحَجِّ: الآية / ٢٥

٥ - سورة التَّوْبَةِ: الآية / ٨٥

٦ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ١٧٦

٧ - سورة الروم: الآية / ٥٣



قد يتعدى الفعل هدى بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. فيُضَمَّنُ
معنى أَلْهِمْنَا، أَوْ وَفَّقْنَا، أَوْ ارزُقْنَا، وقد تقدم الكلام على هذه الآية.

وكما في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^١.

أي: بَيَّنَّا لَهُ الْحَيْرَ وَالشَّرَّ.

وَقَدْ يَتَعَدَّى بِإِلَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٢.

وكما في قوله: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾^٣.

وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالِدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٤.

وَقَدْ يَتَعَدَّى بِاللَّامِ، كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾^٥.

أَيَّ وَفَّقْنَا لِهَذَا وَجَعَلْنَا لَهُ أَهْلًا.

وهنا تعدى اسم الفاعل: ﴿بِهَادٍ﴾ بحرف الجر ﴿عَنْ﴾، فضمّن الفعل «هدى» معنى صرف،
أو أبعده، إشارة إلى أنهم عاكفون على الضلال، لا يتحولون عنه أبدًا، ولا يتجاوزون حدوده،
والمعنى وما أنت بصارفِ العُمي عن ضلالتهم.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾^٦.

الفعل (سأل) يتعدى بنفسه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^٧.

١ - سورة البلد: الآية/ ١٠

٢ - سورة النحل: الآية/ ١٢١

٣ - سورة الصافات: الآية/ ٢٣

٤ - سورة الشورى: الآية/ ٥٢

٥ - سورة الأعراف: الآية/ ٤٣

٦ - سورة ص: الآية/ ٢٤

٧ - سورة النساء: الآية/ ٣٢



ويتعدى بـ (عن) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾^١.
فإذا تعدى بـ (إلى) كما في هذه الآية دل على أنه ضمن معنى فعل آخر، وهو الضم أو
الجمع

ضمن سؤال النعجة معنى الضم والجمع؛ فيكون تقدير الكلام: لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِهِ إِيَّاكَ أَنْ
تَضُمَّ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^٢.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^٣.

ضمن الفعل ينصر معنى الفعل يضم فيكون المعنى من يضمون نصرهم لي إلى نصر الله تعالى
لي، فيكون سببا في حُصُولِ النَّصْرِ الذي وعدنيه الله تعالى.

قال الطاهر بن عاشور: وَوَصَلَ وَصَفَ أَنْصَارِي بِإِلَى إِثْمًا عَلَى تَضْمِينِ صِفَةِ أَنْصَارٍ مَعْنَى
الضَّمِّ أَيَّ مَنْ ضَامُونٌ نَصْرَهُمْ إِيَّايَ إِلَى نَصْرِ اللَّهِ إِيَّايَ، الَّذِي وَعَدَنِي بِهِ إِذْ لَا بَدَّ لِحُصُولِ النَّصْرِ
مِنْ تَحْصِيلِ سَبَبِهِ^٤.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ﴾^٥.

ضمن الفعل يفتن معنى الفعل يزيغ ويصد فيكون المعنى: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ لِيَزِيغُونَكَ
ويصدونك عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ.

١ - سورة الأعراف: الآية/ ١٦٣

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٥٢

٣ - سورة الصف: الآية/ ١٤

٤ - التحرير والتنوير (٣/ ٢٥٥)

٥ - سورة الإسراء: الآية/ ٧٣



وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾^١.

ضمن الفعل نصر من قوله: ﴿وَنَصَرْنَا﴾، معنى الفعل نَجَّى وخلص، فيكون المعنى، وَنَصَرْنَاهُ فنجيناه وخلصناه مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^٢.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾^٣.

الأصل أن الفعل ﴿كَفَى﴾ لا يتعدى بالباء إنما يتعدي بنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾^٤.

ولم يجيء للعرب كفتيه بالشيء فَجَعَلَ بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ الْفِعْلَ الْمَدْكُورَ وَهُوَ مُتَعَدٍّ وَحَصَّ مِنَ الْفِعْلِ اللَّازِمِ وَهُوَ اِكْتَفَيْتُ بِهِ بِالْبَاءِ وَكَذَلِكَ اِنْتَصَبَ ﴿شَهِيدًا﴾ عَلَى التَّمْيِيزِ أَوْ الْحَالِ كَأَنَّهُ قِيلَ: كَفَى بِاللَّهِ فَاِكْتَفَى بِهِ فَاجْتَمَعَ فِيهِ الْحَبْرُ وَالْأَمْرُ.

وَقَالَ الرَّجَّاحُ: دَخَلَتْ الْبَاءُ لِتَضْمُنَ ﴿كَفَى﴾ مَعْنَى اِكْتَفَى وَهُوَ حَسَنٌ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^٥.

الفعل ﴿تُلْفُوا﴾ يتعدى بنفسه بدليل قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾^٦.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾^٧.

١ - سورة الأنبياء: الآية/ ٧٧

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٦٦

٣ - سورة الأنبياء: الآية/ ٤٧

٤ - سورة الأحزاب: الآية/ ٢٥

٥ - سورة البقرة: الآية/ ١٩٥

٦ - سورة ق: الآية/ ٧

٧ - سورة القصص: الآية/ ٧



وهنا تعدى بالباء لأنه ضمن معنى (تفضوا)، فيكون المعنى: وَلَا تُلْفُوا أَنْفُسَكُمْ مَفْضِينَ بِهَا إِلَى التَّهْلُكَةِ بِأَيْدِيكُمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^١.

ضَمَّنَ الْفِعْلُ ﴿ضُرِبَ﴾، فِي الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ مَعْنَى الْحِجْرِ فَعْدِي بِالْبَاءِ، أَيْ ضَرِبَ بَيْنَهُمْ سُورٌ لِلْحِجْرِ بِهِ بَيْنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، خَلَقَهُ اللَّهُ سَاعَتِيذٍ قَطْعًا لِأَطْمَاعِهِمْ وَتَرْكُهُمْ فِي ظُلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، فَحَقَّ بِذَلِكَ التَّمثِيلُ الَّذِي مَثَّلَ اللَّهُ بِهِ حَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِهِ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^٢.

وَأَنَّ الْحَيْرَةَ وَعَدَمَ رُؤْيَةِ الْمَصِيرِ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَاصَلْبَانِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلِتَعْلَمَنَّ أُيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾^٣.

ضَمَّنَ الْفِعْلُ: ﴿لَاصَلْبَانِكُمْ﴾، فِي الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَاصَلْبَانِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ مَعْنَى الْفِعْلِ (لَأُتْبِتَنَّكُمْ)، فَإِنَّ الْفِعْلَ ﴿لَاصَلْبَانِكُمْ﴾، يَتَعَدَّى بِحَرْفِ الْجَرِّ (عَلَى)، وَلَا يَتَعَدَّى بِ (فِي)، وَمَا كَانَ مَرَادَ فِرْعَوْنَ الْمُبَالَغَةَ فِي شَدِّهِمْ عَلَى جُدُوعِ النَّخْلِ، وَتَشْبِيهِتِهِمْ فِيهَا بِالْمَسَامِيرِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْجُدُوعِ، شَبَّهَ تَمَكُّنَهُمْ عَلَى الْجُدُوعِ بِتَمَكُّنِ مَنْ حَوَاهِ الْجُدُوعُ وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ، وَكَانَتِ التَّعْدِيَةُ بِحَرْفِ الْجَرِّ (فِي) دَلِيلًا عَلَى الْفِعْلِ الْمَحْدُوفِ (لَأُتْبِتَنَّكُمْ).

١ - سورة الحديد: الآية/ ١٣

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٧

٣ - سورة طه: الآية/ ٧١



وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾^١.
الأصل في الفعل ﴿أَحْسَنَ﴾، أن يتعدي بإلى، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^٢.

وهنا عُدِّيَ الفعل ﴿أَحْسَنَ﴾ بِالْبَاءِ فَضُمَّ مَعْنَى لَطْفَ، فيكون المعنى: وقد لطف الله بي من كمال إحسانه عندما أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^٣.
فإن الأصل أن يتعدي الفعل (أَحْسِنَ)، بإلى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^٤.

وإنما عدي الفعل (أَحْسِنَ) من اللفظ المقدر (وَأَحْسِنُوا) بـ (بالباء) لتضمنه معنى الرفق، واللفظ، فيكون المعنى: وَأَحْسِنُوا لِلْوَالِدَيْنِ وَاذْفُقُوا وتلطفوا بهما.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾^٥.
فإن الأصل في الفعل: (رَغِبَ) أَنْ يَتَّعَدَى بِ: (في) يُقَالُ: رَغِبَ فِي الشَّيْءِ، إذا أَرَادَهُ وَحَرَصَ عَلَيْهِ وَطَمَعَ فِيهِ وَأَحَبَّهُ، ويقال: رَغِبَ فِي الزَّوْجِ، إذا أَرَادَهُ، وَرَغِبَ فِي فُلَانَةٍ: أَرَادَ الزَّوْجَ مِنْهَا.
فلما عدي الفعل: ﴿يَرْغَبُ﴾ بـ ﴿عَنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾، ضَمَّنَ مَعْنَى الكره والإعراض عن الشيء والعُدُولُ عَنْهُ.

١ - سورة يوسف: الآية/ ١٠٠

٢ - سورة القصص: الآية/ ٧٧

٣ - سورة النساء: الآية/ ٣٦

٤ - سورة القصص: الآية/ ٧٧

٥ - سورة البقرة: الآية/ ١٣٠



قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: وَالرَّغْبَةُ طَلْبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ، فَحَقُّ فِعْلِهَا أَنْ يَتَعَدَّى بِفِي وَقَدْ يُعَدَّى بِعَنْ إِذَا ضُمِّنَ مَعْنَى الْعُدُولِ عَنْ أَمْرٍ وَكَثُرَ هَذَا التَّضْمِينُ فِي الْكَلَامِ حَتَّى صَارَ مَنْسِيًّا.^١

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.^٢

ضمن الفعل: ﴿سَفِهَهُ﴾، معنى جهل، أو أَهْلَكَ، وعدي تعديَّة الفعل: (سَفِهَهُ)، كأنه قيل: جهل نفسه لخفة عقله أي لم يعرفها بالتفكر، أو أهلك نفسه بعدم اتباعه لخير الملل وأزكاها، مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ وأعرض وَتَرَكَهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.

قال أبو حيان رحمه الله: ضُمِّنَ مَعْنَى مَا يَتَعَدَّى، أَي جَهْلٌ، وَهُوَ قَوْلُ الرَّجَّاحِ وَابْنُ جَنِّيٍّ، أَوْ أَهْلَكَ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ.^٣

١ - التحرير والتنوير (١/ ٧٢٥)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٣٠

٣ - البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٢٨)



التَّأْكِيدُ:

التَّأْكِيدُ لُغَةً: إِحْكَامُ الشَّيْءِ وَتَوْثِيقُهُ، يُقَالُ: أَوْكَدْتُ الْحَبْلَ وَأَكَدْتَهُ، أَي: أَحْكَمْتَهُ؛ قَالَ اللَّيْثُ: يُقَالُ: وَكَدْتُ الْعَقْدَ أَي: أَوْثَقْتُهُ، وَكَذَلِكَ: أَكَّدْتُهُ.^١

واصطلاحاً: تمكين المعنى في النفس بذكر لفظه ثانيًا أو مثله دلالة عليه.^٢

وقيل: تابعٌ يقرَّرُ أمرَ المتبوعِ في النسبةِ أو الشمولِ، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله.^٣

يقال: توكيدٌ وتأكيُدٌ، والأولى لغة القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.^٤

أقسامُ التَّأْكِيدِ:

ينقسمُ التَّأْكِيدُ إلى قسمين: تَوْكِيدُ صِنَاعِيٍّ، وَتَوْكِيدُ مَعْنَوِيٍّ.

وينقسمُ التَّوْكِيدُ الصِّنَاعِيَّ إلى قِسْمَيْنِ: تَوْكِيدُ لَفْظِيٍّ، وَتَوْكِيدُ مَعْنَوِيٍّ،

أولاً التَّوْكِيدُ اللَّفْظِيُّ:

وَحَدُّهُ: أَنْ يُكَرَّرَ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ.^٥

وقيل: تقرير معنى الأول بلفظ أو مرادفه.^٦

١ - تهذيب اللغة (١٠ / ١٨٠)

٢ - توجيه اللمع (ص: ٢٦٧)

٣ - التعريفات (ص: ٥٠)

٤ - سورة النحل الآية / ٩١

٥ - التعريفات (ص: ٥٠)

٦ - البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٨٥)



مَنْ التَّوَكُّيدِ اللَّفْظِيِّ: تَوَكُّيدُ الضَّمِيرِ الْمَنْفَصِلِ بِمِثْلِهِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُتِمُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^١.

فإن الضمير المنفصل، الذي هو لفظ: ﴿هُمْ﴾، من قوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾، تأكيد للضمير الأول وهو لفظ: ﴿هُمْ﴾، من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾.

وفائدة التأكيد بإعادة الضمير هنا: بيان أنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ هُمُ الْمُوقِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَمَا يُوقِنُ بِالْآخِرَةِ حَقَّ الْإِيمَانِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

ومن التَّوَكُّيدِ اللَّفْظِيِّ أَيْضًا: تَوَكُّيدُ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِالْمَنْفَصِلِ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ نُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾^٢.

فإن الضمير المنفصل، الذي هو لفظ: ﴿نَحْنُ﴾، من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾، تأكيد للضمير المتصل من قوله تعالى: ﴿نَكُونَ﴾.

وفائدة التأكيد إظهار ثققتهم بسحرهم واعتدادهم بأنفسهم.

ومن ذلك أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^٣.

فإن الضمير المنفصل، الذي هو لفظ: ﴿أَنْتَ﴾، من قوله تعالى: ﴿أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، تأكيد للضمير المتصل من قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ﴾.

وفائدة التأكيد هنا تثبيت قلب موسى عليه السلام وبعث الطمأنينة في نفسه.

١ - سورة النمل: الآية/ ٣

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١١٥

٣ - سورة طه: الآية/ ٦٨



ومن التوكيد اللفظي أيضاً: توكيدُ الفعل بمصدره، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^١.

فإن المصدر: ﴿تَكْلِيمًا﴾، توكيدُ للفعل ﴿كَلَّمَ﴾.

وفائدة التأكيد هنا دفع توهم المجاز، فإن الكلام قد يطلق على الإيحاء، فأتى المصدر وهو قوله تعالى: ﴿تَكْلِيمًا﴾، بعد قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾؛ لبيان أن الكلام كلام حقيقي وليس مجازياً.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾^٢.

فإن المصدر: ﴿مَوْرًا﴾، توكيدُ للفعل ﴿تَمُورُ﴾.

وكذلك فإن المصدر: ﴿سَيْرًا﴾، توكيدُ للفعل ﴿تَسِيرُ﴾.

وفائدة التأكيد هنا أن مور السماء واضطرابها، وسير الجبال مما قد تتردد النفس في قبوله، فجيء بالمصدر؛ لدفع ما يعتمل في النفس من الشك أو التردد في قبول ذلك.

ومما يلحق بالتوكيد اللفظي: توكيد الفعل بمصدر آخر غير المصدر المؤكد للفعل المذكور، وإن كان في هذا خروج عن القاعدة الأصلية في تأكيد الفعل بمصدره، وأن يأتي المصدر المؤكد اتِّبَاعًا لِفِعْلِهِ كما مر معنا في الأمثلة السابقة، ولذلك لنكت بلاغية رائعة، وفوائد بيانية رائعة كما سنبين.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^٣.

فإن مصدر الفعل ﴿تَبَتَّلَ﴾ هو: تَبَتَّلًا وليس ﴿تَبْتِيلًا﴾، و﴿تَبْتِيلًا﴾ هو مصدر بَتَّلَ.

١ - سورة النساء: الآية/ ١٦٤

٢ - سورة الطور: الآية/ ٩، ١٠

٣ - سورة المُزْتَلِ: الآية/ ٨



والحكمة في العدول عن مصدر الفعل المذكور في الآية أن الفعل ﴿تَبَتَّلَ﴾ يدل على التكلف والتدرج، وهو أول درجات الاجتهاد في العبادة، والمصدر ﴿تَبْتِيلاً﴾، يدل على التكثير والمبالغة، وهو النهاية في الاجتهاد في العبادة فضُمَّنَ الفعل: ﴿تَبَتَّلَ﴾ التكلف معنَى الفعل: ﴿بَتَّلَ﴾ الذي يفيد المبالغة بتل نفسك إليه تبتيلاً.^١

قال ابن القيم: وَمَصْدَرُ بَتَّلَ تَبْتُّلاً كَالْتَعْلَمِ وَالتَّفْهَمِ، وَلَكِنْ جَاءَ عَلَى التَّفْعِيلِ - مَصْدَرُ تَفَعَّلَ - لِسِرِّ لَطِيفٍ. فَإِنَّ فِي هَذَا الْفِعْلِ إِبْدَانًا بِالتَّدرِجِ وَالتَّكْلُفِ وَالتَّعْمَلِ وَالتَّكْثُرِ وَالمُبَالَغَةِ. فَأَتَى بِالْفِعْلِ الدَّالِّ عَلَى أَحَدِهِمَا، وَبِالمَصْدَرِ الدَّالِّ عَلَى الْآخَرِ. فَكَأَنَّهُ قِيلَ: بَتَّلَ نَفْسَكَ إِلَى اللَّهِ تَبْتِيلاً، وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتُّلاً. فَفُهُمَ المَعْنَيَانِ مِنَ الْفِعْلِ وَمَصْدَرِهِ. وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ. وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الإِخْتِصَارِ وَالإِيجَازِ.^٢

وقال الفخر الرازي: الواجب أن يُقال: وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتُّلاً أَوْ يُقال: بَتَّلَ نَفْسَكَ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً، لَكِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْهُمَا وَاحْتَارَ هَذِهِ الْعِبَارَةَ الدَّقِيقَةَ وَهِيَ أَنَّ المَقْصُودَ بِالدَّاتِ إِنَّمَا هُوَ التَّبْتُّلُ فَأَمَّا التَّبْتِيلُ فَهُوَ تَصَرُّفٌ وَالمُشْتَغَلُ بِالتَّصَرُّفِ لَا يَكُونُ مُتَبْتِلاً إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ المُشْتَغَلَ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا يَكُونُ مُنْقَطِعاً إِلَى اللَّهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَوَّلًا مِنَ التَّبْتِيلِ حَتَّى يَحْصُلَ التَّبْتُّلُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فَذَكَرَ التَّبْتُّلَ أَوَّلًا إِشْعَاراً بِأَنَّهُ المَقْصُودُ بِالدَّاتِ وَذَكَرَ التَّبْتِيلَ ثَانِيًا إِشْعَاراً بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَكِنَّهُ مَقْصُودٌ بِالْغُرُضِ.^٣

ومعنى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾، أي: أَخْلَصَ لَهُ الْعِبَادَةَ وَالدَّعْوَةَ.^٤

١ - انظر البرهان في علوم القرآن (٢ / ٣٩٥)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢ / ٣٢٣)

٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٣١)

٣ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠ / ٦٨٧)

٤ - جامع البيان ط هجر (٢٣ / ٣٧٩)



وَأَصْلُ التَّبْتُلِ فِي اللُّغَةِ الْقَطْعُ، وَقِيلَ لِمَزِيمِ الْبُتُولِ لِأَنَّهَا انْقَطَعَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعِبَادَةِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ لِلْعَابِدِ إِذَا تَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِبَادَةِ قَدْ تَبَتَّلَ أَيَّ انْقَطَعَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ.^١

ومما يلحق بالتوكيد اللفظي أيضاً: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّئُ لَهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.^٢

فإن مصدر الفعل ﴿أُعَذِّبُهُ﴾ هو: تَعَذِّبًا وليس ﴿عَذَابًا﴾، و﴿عَذَابًا﴾ هو اسم المصدر. والحكمة في العدول عن مصدر الفعل المذكور في الآية إلى اسم المصدر أن المراد: فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ جنسًا من العذاب لا أُعَذِّبُ به أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، على تقدير حذف حرف الجر، ولا شك أن هذا تهديد شديد، ووعيد عظيم، من الله تبارك وتعالى، والسبب أن الله تعالى جعل لمثل هؤلاء لونا من العذاب، وجنسًا من العقاب مغايرًا لسائر الكفار؛ أن الله تعالى أقام لهم الأدلة والبراهين على وحدانيته وكمال قدرته، وأن هذه الأدلة كانت بطلب منهم، فمن كفر بعد ذلك فإن سبب كفره هو الجحود، والعناد.

والوجه الثاني أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ﴾ عائداً على المصدر، فيكون المعنى فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ تعذيبًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

ومن ذلك أيضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.^٣

فإن مصدر الفعل ﴿يُقْرِضُ﴾ هو: إِقْرَضًا؛ لأنه من أقرض الرباعي، وليس ﴿قَرْضًا﴾؛ لأن ﴿قَرْضًا﴾ مصدر قرض الثلاثي.

١ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦٨٧ / ٣٠)

٢ - سورة المائدة: الآية / ١١٥

٣ - سورة البقرة: الآية: ٢٤٥



والحكمة في العدول عن مصدر الفعل المذكور في الآية ﴿يُقْرِضُ﴾ إلى مصدر (قَرَضَ) ، وهو ﴿قَرَضًا﴾، لأن القرض يطلق ويراد به المال، ويطلق ويراد به الفعل وهو الإقراض، فجمع بين الأمرين في الآية، الفعل الذي هو الإقراض دل عليه الفعل ﴿يُقْرِضُ﴾، والمال الذي هو القرض دل عليه لفظ: ﴿قَرَضًا﴾، ليجتمع الإحسان في الفعل والمال، فيكون الإقراض حسناً، ليس فيه مَنْ ولا أذى، ولا رباً، ويكون المأل حلالاً طيباً.

ومن ذلك أيضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^١.

فإن مصدر الفعل (أَنْبَتَ) من قوله تعالى: ﴿أَنْبَتَهَا﴾ هو: إنباتاً؛ لأنه رباعي، وليس ﴿نَبَاتًا﴾؛ لأن ﴿نَبَاتًا﴾ مصدر نَبَتَ الثلاثي.

والحكمة في العدول عن مصدر الفعل المذكور في الآية: ﴿أَنْبَتَهَا﴾ إلى مصدر (نَبَتَ) وهو: ﴿نَبَاتًا﴾؛ هو الثناء على مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بالاستقامة على أمر الله تعالى، وحسن طاعته؛ لأن الله تعالى أَنْبَتَهَا فنبتت نَبَاتًا حَسَنًا، فدل الفعل على تعهد الله تعالى لها بالرعاية، ودل المصدر على كرم أصلها، وحسن استقامتها، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^٢.

ومما يلحق بالتوكيد اللفظي أيضاً توكيد الفعل بالحالِ الْمُؤَكِّدَةِ، وسُميت حالٌ مُؤَكِّدَةً؛ لأنها تُعْلَمُ قبل ذكرها؛ فيكون ذكرها توكيداً، لأنها معلومة من ذكر صاحبها.^٣

ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٣٧

٢ - سورة نوح: الآية/ ١٧

٣ - انظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ٤٩٨)

٤ - سورة البقرة: الآية/ ٦٠



فإن قوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾، حال من الواو في قوله: ﴿تَعْتُوا﴾، وهي مؤكدة للفعل: ﴿تَعْتُوا﴾،
فإن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾، من عَثِيَ عَثْوًا وَمَعْنَاهُ أَفْسَدَ أَشَدَّ الْإِفْسَادِ، فأتى قوله:
﴿مُفْسِدِينَ﴾، لتأكيد الفعل: ﴿تَعْتُوا﴾.

وفائدة التوكيد: بيان ما هم عليه من المبالغة في الإفساد، وتحذيرهم من مغبة ذلك.

ومن توكيد الفعل بالحال المؤكدة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾^١.

فإن قوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾، في محلّ نصب حال وهي حال مؤكدة لأنها في معنى تَوَلَّيْتُمْ.

وفائدة التوكيد بلفظ ﴿مُعْرِضُونَ﴾: الدلالة على تناهي حالهم في الضلال، وتناهي أفعالهم

في القبح.

ومن توكيد الفعل بالحال المؤكدة قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ

أُبْعَثُ حَيًّا﴾^٢.

فإن قوله تعالى: ﴿حَيًّا﴾ توكيد لقوله: ﴿أُبْعَثُ﴾، فإن من لوازم البعث الحياة، فمعناها

مستفاد من دون ذكر لفظ الحياة، فلما ذكر بعدها الحال: ﴿حَيًّا﴾، كان تأكيداً لقوله:

﴿أُبْعَثُ﴾.

والحكمة من التوكيد هنا، أن عيسى عليه السلام لما رفعه الله تعالى إليه، كما قال تعالى:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^٣.

ربما توهم بعض الناس أنه لا يموت كما يموت غيره من المخلوقات، لأنه رفع إلى السماء

حياً، فدلّت الآية على أنه يموت كما تموت الخلائق، بعد نزوله إلى الأرض قبل قيام الساعة،

ويبعث كما تبعث المخلوقات، ويحيا كما يحيون بعد البعث.

١ - سورة البقرة: الآية/ ٨٣

٢ - سورة مريم: الآية/ ٣٣

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٥٧، ١٥٨



ومما يلحق بالتوكيد اللَّفْظِيّ أيضاً توكيدُ الفعلِ بالحالِ المؤكدة.

ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾^١.

فإن قوله: ﴿ضَاحِكًا﴾، منصوب على الحال من الضمير في قَوْلِهِ: ﴿فَتَبَسَّمْ﴾، وهي مؤكدة للفعل: ﴿تَبَسَّمْ﴾، فإن معنى تبسم: أي ضحك مسروراً، وقيل: هي حال مقدرة فإن التبسم ابتداء الضحك، والراجح أنها حال مؤكدة للفعل، لأن ضحك الأنبياء عليهم السلام تبسم.

وفائدة التأكيد هنا: بيان أن الضحك كان سروراً بما قالته النملة، فإن التبسم قد يكون للغضب، ومنه قول كعب بن مالك: "فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمْ تَبَسُّمَ الْمُعْضَبِ"، وقد يكون سروراً.

وإنما فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا لسببين: أحدهما سروراً بما أعطاه الله من النعم حيث سمع قول النملة وفهم مرادها؛ والثاني: لثناء النملة عليه وعلى جنوده، فإن قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وصف لهم بالتقوى، والتحفظ من الظلم، بل ومن مضرة الحيوان، ولا عجب في ذلك فقد كان كلام النملة عجيبيًا.

قال بعض العلماء في هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^٢.

هذه الآية من عجائب القرآن لما فيها من أنواع من البلاغة، لأنها بلفظة ﴿يَا﴾ نادت و﴿أَيُّهَا﴾ نبهت، و﴿النَّمْلُ﴾ عيّنت، و﴿ادْخُلُوا﴾ أمرت، و﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ نصت، و﴿لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ حذرت، و﴿سُلَيْمَانُ﴾ خصت، و﴿وَجُنُودُهُ﴾ عمّت، و﴿وَهُمْ﴾ أشارت، و﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ عذرت.^٣

١ - سورة النمل: الآية / ١٩

٢ - سورة النمل: الآية / ١٨

٣ - انظر زاد المسير في علم التفسير (١٩ / ٥)، وتفسير السراج المنير (٦١ / ٣)



ومما يلحق بالتوكيد اللَّفْظِيّ أيضاً توكيد الفعل بالحال المؤكدة.

ومن ذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾^١.

فإن قوله: ﴿رَسُولًا﴾، منصوب على أنه حال من الكاف في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾، وهي حال مؤكدة لعاملها وهو: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ لفظاً ومعنى.

وقيل: ﴿رَسُولًا﴾، مصدر مؤكّد بمعنى ذا رسالة أو بمعنى إرسال، وليست حال مؤكدة لأن الشيء المرسل قد لا يكون رسولاً؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾

والراجع أنها حال مؤكدة للفعل.

وفائدة التأكيد هنا: التنبيه على عظم مكانة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجلال قدره، وعلو شأنه وأن الله أرسله للناس جميعاً، فرسالته عامة للناس وليست قاصرة على العرب الذين بعث فيهم كما تزعم فرقة من اليهود، ومن فائدة التأكيد كذلك، أنه أرسل جامعاً لأكمل كل صفات الرسل.

ومن فائدة التأكيد كذلك بـ ﴿رَسُولًا﴾، الرد على المشركين الذين تطيروا برسالته صلى الله عليه وسلم، وادعوا أنه سبب وقوع السيئات، فإن قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ معطوف على قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، أي أرسلناك مبلغاً عن الله لا مؤثراً في الحوادث، وليست بعثتك علامة على وقوع الحوادث السيئة.

ومثاله أيضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^٢.

فإنَّ قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، في محلّ نصب حال وهي حال مؤكدة لأن معنى الإقرار قريب من معنى الشهادة.

١ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآية/ ٧٩

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٨٤



وفائدة التأكيد هنا: إقامة الحجّة عليهم، حيث إنهم أقرّوا بهذا الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم، وهم يعتقّدونه بقلوبهم، ولا يُنكرونه بألسنتهم، بل يشهدون به ويُعلنونه

ثانياً التوكيد المعنوي:

تعريفه: هو تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة أو الشمول.^١

أي: يختلف مفهوم الجملتين، ويكون معنى الثانية مقراً لمعنى الأولى.^٢

الفاظه: نفسه - عينه - كُله - أجمع - أجمعون - جمعاء - جميع - عامّة - كلاً - كلتا.^٣

فائدته:

دفع توهم التجوز ودفع توهم السهو.^٤

مثاله:

قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠]، فلفظ: ﴿كُلُّهُمْ﴾، و﴿أَجْمَعُونَ﴾، تأكيدان لزيادة تمكين المعنى وترسيخه في الذهن، وسئل المبرد عن هذه الآية فقال: لو قال فسجد الملائكة احتمال أن يكون سجد بعضهم فلما قال ﴿كُلُّهُمْ﴾، زال هذا الاحتمال فظهر أنهم بأسرهم سجدوا ثم عند هذا بقي احتمال وهو أنهم هل سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد في وقت فلما قال أجمعون ظهر أنهم جميعاً سجدوا دفعة واحدة.^٥

١ - شرح شذور الذهب لابن هشام (ص: ٥٥٠)

٢ - البلاغة، المعاني (ص: ٤٦٠)

٣ - انظر اللمع في العربية لابن جني (ص: ٨٤)

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ٤٤)

٥ - إعراب القرآن وبيانه (٥/ ٢٣٧)



وَهَذَا بَعِيدٌ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: جَاءَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، وَإِنْ سَبَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ وَلِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَمَا زُعمَ لَكَانَ حَالًا لَا تَوْكِيدًا^١.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٥٩]، فلفظ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، تأكيد معنوي للضمير المتصل في: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، فلفظ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، تأكيد معنوي للضمير المتصل في: ﴿أُغْوِيَنَّهُمْ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، فلفظ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، تأكيد معنوي للضمير المتصل في: ﴿لَهَدَاكُمْ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هُود: ١١٩]، فلفظ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، تأكيد معنوي من: ﴿الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، فلفظ: ﴿أَجْمَعِينَ﴾، تأكيد معنوي للضمير المتصل في: ﴿مِنْهُمْ﴾.

١ - التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٧٨١)



التَّلْفِيفُ:

تعريف التَّلْفِيفِ:

التَّلْفِيفُ لُغَةً: لَفُّ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ.^١

واصطلاحًا: قَالَ ابْنُ أَبِي الإِصْبَعِ: هُوَ أَنْ يَقْصِدَ الْمُتَكَلِّمُ التَّعْبِيرَ عَنْ مَعْنَى خَطَرٍ لَهُ أَوْ سَأَلَ

عَنْهُ، فَيَلْفُ مَعَهُ مَعْنَى آخَرَ يَلْزِمُ الْمَعْنَى الَّذِي سَأَلَ عَنْهُ.^٢

وقيل: هُوَ إِخْرَاجُ الْكَلَامِ مَخْرَجَ التَّعْلِيمِ، وَهُوَ أَنْ يَقَعَ السُّؤَالُ عَنْ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ تَدْعُو الْحَاجَةَ

لِبَيَانِ جَمِيعِهَا، فَيَجَابُ بِجَوَابٍ عَامٍ عَنِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ، وَعَنْ غَيْرِهِ، لِيَبْنِيَ عَلَى عَمُومِهِ مَا بَعْدَهُ مِنْ

الصفات المقصودة.^٣

وقيل: التَّلْفِيفُ: عِبَارَةٌ عَنِ إِخْرَاجِ الْكَلَامِ مَخْرَجَ التَّعْلِيمِ بِحُكْمٍ أَوْ أَدَبٍ لَمْ يُرِدْ الْمُتَكَلِّمُ ذِكْرَهُ،

وَأَيْمًا فَصَدَّ ذِكْرَ حُكْمٍ خَاصٍّ دَاخِلٍ فِي عُمُومِ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ الَّذِي خَرَجَ بِتَعْلِيمِهِ.

ويقال له أيضًا: التَّنَاسُبُ، لما بين المذكورين من آصرة القرى التي تفيد السامع فائدة لا غنى

له عنها، ويقال له كذلك أسلوب الحكيم.

من أساليب القرآن البلاغية التَّلْفِيفُ، وهو فنٌ طريفٌ من فنون البلاغة، وأسلوبٌ رائقٌ من

أساليب الفصاحة، ينساب إلى النفس انسيابًا، يتجلى منه جمال البيان، وتظهر فيه بلاغة النظم.

١ - الكليات (ص: ٢٨٢)

٢ - تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٣٤٣)، وانظر الكليات (ص: ٢٨٢)

٣ - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ٣١٠)



أمثلة التلّيف:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^١.

ومعنى الآية أن الصحابة رضي الله عنهم لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحوال القمر واتفقت نفوسهم إلى تعلم هيئته وقالوا له: يا نبي الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم لم يزل يكبر حتى يستدير بداراً؟ نزل القرآن بالجواب بما فيه فائدة للبشر، وترك ما لا فائدة فيه، فالله تبارك وتعالى القمر قدر منازل فأول ما يبدو يكون هلالاً صغيراً، ثم يتزايد نوره وجرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في التقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^٢.

وتفسير هذه الظاهرة لا تفيد الناس شيئاً في دينهم ولا في دنياهم، فأرشدهم الله تعالى إلى ما فيه نفعهم، وهو أنه سبحانه جعل منازل القمر هذه ليعلموا عدد السنين والحساب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^٣.

فالله تبارك وتعالى أمرنا بتذكر ما لا فائدة فيه من البحث في الظواهر الكونية، وكيفية حدوثها لأنها لا يترتب على معرفتها كبير فائدة، وأرشدنا إلى ما فيه النفع والفائدة لنا.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾^٤.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٨٩

٢ - سورة يس: الآية/ ٣٩، ٤٠

٣ - سورة يونس: الآية/ ٥

٤ - سورة طه: الآية/ ١٧، ١٨



فَقَوْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هِيَ عَصَايِ﴾، جَوَابٌ كَافٍ عَنِ سْؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾، لَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ يَكَلِّمُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، اسْتَرْسَلَ فِي الْجَوَابِ تَلَذُّدًا بِالْخَطَابِ، وَأَنْسَاً بِالمُنَاجَاةِ، وَتَشْرِفًا بِتَكْلِيمِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا لَهُ فَقَالَ: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْهِبُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾، وَهَذَا شَأْنُ المَحَبِّ فِي كَلَامِهِ مَعَ مَحْبُوبِهِ، لَا يَرِيدُهُ أَنْ يَنْقَطِعَ، وَكَأَنَّهُ افْتَرَضَ سْؤَالَ ثَانِيًا، وَمَا تَفْعَلُ بِهَا؟ فَقَالَ: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْهِبُ بِهَا عَلَيَّ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾، وَهَذَا هُوَ التَّلْفِيفُ أَنْ يَجِبَ بِجَوَابِ عَامٍ يَتَضَمَّنُ الإِبَانَةَ عَنِ الشَّيْءِ المَسْؤُولِ عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ.

وَمِثَالُ التَّلْفِيفِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاشَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^١.

وَرَدَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي سِيَاقِ إِبْطَالِ التَّبْنِيِّ، فَهَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَبَنَاهُ قَبْلَ التَّبَوُّةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: "زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ" فَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَفْطَعَ هَذِهِ التَّبَسُّبَةَ، وَيَبْطُلَ هَذَا التَّبْنِيَّ.

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَعِشْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَرَ حَتَّى يَبْلُغَ الخُلُمَ، بَلْ مَاتُوا جَمِيعًا صِبْغَارًا؛ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ لَهُ الأَقَاسِمُ، وَالمُطَيَّبُ، وَالمُطَاهِرُ، مِنْ حَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَمَاتُوا صِبْغَارًا، وَوُلِدَ لَهُ إِبرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَةَ القُبَيْطِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَاتَ أَيْضًا رَضِيعًا، وَكَانَ لَهُ مِنْ حَدِيجَةَ أَرْبَعُ بَنَاتٍ: زَيْنَبُ، وَرُقِيَّةُ، وَأُمُّ كَلْثُومَ، وَفَاطِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ أَجْمَعِينَ، فَمَاتَ فِي حَيَاتِهِ ثَلَاثٌ وَتَأَخَّرَ مَوْتَهَا فَمَاتَتْ بَعْدَهُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَكَانَ قَدْ تَبَنَّى زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ لَمَّا اخْتَارَهُ زَيْدٌ عَلَى أَبِيهِ وَآثَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَرَابَتِهِ كَافَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ

١ - سورة الأَحْزَابِ: الآيَةُ / ٤٠



تَبَّنَاهُ، فلما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١﴾.

فكان قائلًا قال: أليس محمدُ أبا زيد بن حارثة، أليس قد تبناه، فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾، ينفي أن يكون محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا أحدٍ مِنْ رِجَالِهِمْ، ويشملُ النفي زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان مقتضى الجواب أن يقول: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا زَيْدٍ، ولكن أتى الجواب نافيًا الأبوة الكلية لأحد من رجالهم، وانطوى في ذلك نفي الأبوة لزيد بن حارثة من باب التلخيص، فكان الجوابُ جَوَابًا عَامًّا تَضَمَّنَ الْإِبَانَةَ عَنِ الشَّيْءِ الْمَسْئُولِ عَنْهُ سَوَاءً مَقْدَرًا وَعَنْ غَيْرِهِ لَتَمَّ بِهِ الْفَائِدَةُ.

ومثال التلخيص أيضًا قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^٢.

فهم إنما سألوا عن الأصناف التي يتقربون إلى الله تعالى بإنفاقها، وأي هذه الأصناف أفضل في النفقة، وأعظم للأجر؟

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، فأجابهم الله تعالى بجواب عام يتضمن الإبانة عن الحكم المسئول عنه، وبيّن لهم ما هو أولى بالجواب لهم من سؤاها الذي سألوها، وما يحتاجونه أكثر من حاجتهم إلى معرفة أي الأصناف أولى بالإنفاق، فقال: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَإِذْنَ السَّبِيلِ﴾، لأن أفضل العطاء هو ما وافق محله، وناسب موضعه، وهذا هو التلخيص.

قال الزمخشري: فإن قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ﴾، وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف؟

١ - سورة الأحزاب: الآية/ ٤، ٥

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢١٥



قلت: قد تضمن قوله: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، بيان ما ينفقونه وهو كل خير، وبنى الكلام على ما هو أهم، وهو بيان المصرف لأنّ النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها.^١

وقال الفخر الرازي: في الآية سؤال، وهو أنّ القوم سألوا عما ينفقون لا عمّن تُصرفُ النفقةُ إليهم، فكيف أجابهم بهذا؟

والجواب عنه من وجوه أحدها: أنّه حصل في الآية ما يكون جواباً عن السؤال وضم إليه زيادةً بها يكمل ذلك المقصود، وذلك لأنّ قوله: مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ جوابٌ عن السؤال، ثمّ إنّ ذلك الإنفاق لا يكمل إلا إذا كان مصروفًا إلى جهة الاستحقاق، فلهذا لما ذكر الله تعالى الجواب أردفه بذكر المصرف تكميلًا للبيان.^٢

١ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٥٧)

٢ - مفاتيح الغيب (٦/ ٣٨٢)



التَّقْسِيمُ:

التَّقْسِيمُ لغة: مصدر فَسَمَ: يقال فَسَمَهُ تَقْسِيمًا، أي: جَزَّأَهُ.^١

وإصطلاحًا: هو أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه.^٢

وقال السكاكي: وهو أن تذكر شيئًا ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف على كل واحد من أجزائه ما هو له عندك.^٣

ضُرُوبُ التَّقْسِيمِ:

قال حازم في منهاج البلغاء: والتقسيمُ ضروبٌ:

فمن ذلك تعديد أشياء ينقسم إليها شيء لا يمكن انقسامه إلى أكثر منها.

ومنها تعديد أشياء تكون لازمة عن شيء على سبيل الاجتماع أو التعاقب.

ومنها تعديد أشياء تتقاسمها أشياء لا يصلح أن ينسب منها شيء إلا إلى ما نسب إليه من الأشياء المتقاسمة.

ومنها تعديد أجزاء من شيء تتقاسمها أشياء، أو أجزاء من شيء وتكون الأجزاء المعدودة إما جملة أجزاء الشيء، أو أشهر أجزائه وأليقها بغرض الكلام، ويكون كل جزء منها لا يصلح أن ينسب إلى غير ما نسب إليه بالنظر إلى صحة المعنى.

ومنها تعديد أشياء محمودة أو مذمومة من أشياء متفقة في الشهرة والتناسب.^٤

١ - خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/ ٢٧٠)

٢ - الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ٣٤١)

٣ - مفتاح العلوم (ص: ٤٢٥)

٤ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ص: ١٧)



مثاله قولُ الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ * وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١.

فقد قسم الله تعالى الناس إلى قسمين لا ثالث لهما؛ القسم الأول من لا يسأل إلا الدنيا ولا يسعى إلا لها، والقسم الثاني: من يريد الآخرة ويسعى لها سعيها، ويعمل من أجلها ويسأل الله تعالى النجاة فيها.

وهذا من التّفْسيْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ ضُرُوبِ الْبَيَانِ، وَهُوَ تَفْسيْمٌ بَدِيعٌ يَحْضُرُهُ الْمُفْسيْمُ إِلَى هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ، لَا عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ الصُّوفِيَّةُ مِنْ أَنَّ تَمَّ قِسْمًا ثَالِثًا لَمْ يَذْكَرْ هُمْ تَعَالَى، قَالُوا: وَهُمْ الرَّاظُونَ بِقَضَائِهِ، الْمُسْتَسْلِمُونَ لِأَمْرِهِ، السَّاكِنُونَ عَن كُلِّ دُعَاءٍ، وَافْتِشَاءٍ^٢.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^٣.
والقسْمُ: النَّصِيبُ، وَالْحِظُّ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ.

ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^٤.
أي نصيب.

والتّفْسيْمُ فن بديع من فنون البلاغة القرآنية، وأسلوب من أساليب القرآن العظيم، به يتجلى جمال الكلام، ويستشعر السامع روعته، ويظهر به رونقه.

والتّفْسيْمُ في البلاغة: هُوَ اسْتِيفَاءُ الْمُتَكَلِّمِ أَقْسَامِ الشَّيْءِ بِحَيْثُ لَا يُعَادِرُ شَيْئًا، وَهُوَ آلَةُ الْحَضَرِ وَمَظِنَّةُ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ.

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٠٠، ٢٠١

٢ - البحر المحيط في التفسير (٢ / ٣٠٩)

٣ - سورة النساء: الآية / ٨

٤ - سورة الحجر: الآية / ٤٤



وَمِثَالُ التَّفْسِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾^٢.

ولا تخرج أحوال الإنسان عن هذه الحالات الثلاث، فهو إما أن يكون قائمًا، أو قاعدًا، أو مُضطجعًا على جنبه، فلم يترك سُبْحَانَهُ قِسْمًا مِنْ أَقْسَامِ الْهَيْئَاتِ إِلَّا ذَكَرَهُ فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾^٣.

والسبب في اختلاف الترتيب عن الآيتين السابقتين مُعَايِرَةٌ سِيَاقِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا فَإِنَّ الضَّرَّ يَصِيبُ الْعَبْدَ فَيُضْجِعُهُ فُقُودَ الْإِضْطِجَاعِ، فَإِذَا زَالَ بَعْضُ الضُّرِّ قَعَدَ الْمَضْجَعُ، فَإِذَا زَالَ كُلُّ الضُّرِّ قَامَ الْقَاعِدُ فَدَعَا لِتَبِّمِ الصِّحَّةِ وَتَكْمُلِ الْقُوَّةِ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^٤.

وَلَيْسَ فِي رُؤْيَةِ الْبَرْقِ إِلَّا الْخَوْفُ مِنَ الصَّوَاعِقِ، وَالطَّمَعُ فِي الْأَمْطَارِ وَلَا تَأْلُثُ هُمَا.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٩٠، ١٩١

٢ - سورة النساء: الآية/ ١٠٣

٣ - سورة يونس: الآية/ ١٢

٤ - سورة الرعد: الآية/ ١٢



وَمِثَالُهُ أَيضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^١.

فَاسْتَوْفَى أَقْسَامَ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْمَاضِي، وَالْحَاضِرِ، وَلَا رَابِعَ لَهَا.

وَمِثَالُهُ أَيضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٢.

وهذا التقسيم يستوفي كل مخلوق يدب على وجه الأرض، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ إشارة إلى الزواحف، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾، إشارة إلى بني آدم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾، إشارة إلى باقي المخلوقات من البهائم وغيرها.

وَمِثَالُهُ أَيضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾^٣.

هذه الآية الكريمة جمعت أوقات الصلوات الخمس، فالمراد بالتسبيح هنا: الصلوات الخمس، فعن ابن عباس قال: «كُلُّ تَسْبِيحٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ صَلَاةٌ»^٤.

هَذَا إِرْشَادٌ مِنْهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ إِلَى تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ، فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُتَعَاقِبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾، عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَهُوَ إِقْبَالُ اللَّيْلِ بِظِلَامِهِ، وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ، صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَهُوَ إِسْفَارُ النَّهَارِ وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ صَلَاةُ الصُّبْحِ، ﴿وَعَشِيًّا﴾، وَالْعِشَاءُ هُوَ: وَقْتُ الْعِشِيِّ وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ صَلَاةُ الْعَصْرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾، وَالْإِظْهَارُ: قُوَّةُ الضِّيَاءِ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ صَلَاةُ الظُّهْرِ.

١ - سورة مريم: الآية/ ٦٤

٢ - سورة التور: الآية/ ٤٥

٣ - سورة الروم: الآية/ ١٧

٤ - رواه الضياء المقدسي في المختارة- حديث رقم: ٣٣٥



وَعَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: جَاءَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرُقِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُ الصَّلَاةَ الْخُمْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأَ: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]، صَلَاةُ الْمَغْرِبِ ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، صَلَاةُ الصُّبْحِ ﴿وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، صَلَاةُ الْعَصْرِ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨]، صَلَاةُ الظُّهْرِ وَقَرَأَ ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: ٥٨].^١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَمَعَتْ هَاتَانِ الْآيَاتِ مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]، قَالَ: الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، الْفَجْرُ ﴿وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١]، الْعَصْرُ، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨]، الظُّهْرُ.^٢

وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.^٣

قيل جمعت هذه الآية أصناف الناس جميعاً فلا يخلو العالمُ جميعاً من هذه الأقسام الثلاثة إما ظالمٌ لنفسه وإما سابقٌ مُبادِرٌ إلى الخيراتِ وإما مُقتصدٌ فيها.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ خَاصَةٌ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَنَّهُمْ جَمِيعًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، بِدَلِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.^٤

وهذا التقسيم باعتبار أخذهم بكتاب الله تعالى، وبقدر أخذهم بكتاب الله تعالى تتفاوت درجاتهم في الجنة.

١ - رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ - حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٧٧٢، وَابْنُ جَرِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ (١٨ / ٤٧٤)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ - حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٠٥٩٦، وَالْحَاكِمُ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الرُّومِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٥٤١، وَصَحَّحَهُ.

٢ - رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ (١٨ / ٤٧٥)

٣ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: الْآيَةُ / ٣٢

٤ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: الْآيَةُ / ٣٣



وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^١.

وهذه الآيةُ مُثَالَةٌ فِي الْمَعْنَى لِلآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا فَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ هُنَا هُمْ الظَّالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ هُنَا هُمْ الْمُقْتَصِدُونَ هُنَاكَ، وَالسَّابِقُونَ هُنَا هُمْ السَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

فَاسْتَوْفَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَصْنَافَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^٢.

قَسَمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ النَّاسَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى إِلَى قَسْمَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا.

القسم الأول: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ.

والقسم الثاني: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ، وَلَا يَخْلُو النَّاسَ مِنْ أَحَدٍ هَذَيْنِ الْقَسْمَيْنِ.

وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٣.

وَالكَلَامُ فِيهَا كَالكَلَامِ عَنِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَالنَّاسُ إِمَّا مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ، وَإِمَّا كَافِرٌ مُكَذِّبٌ.

١ - سورة الواقعة: الآية / ٧ - ١٠

٢ - سورة البقرة: الآية / ٢٥٣

٣ - سورة التغابن: الآية / ٢

وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^١.

قسمت هذه الآية الناس بالنسبة إلى الإيمان بدعوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى فريقين لا ثالث لهما، الأول: من آمن به وبدعوته، واتبع النور الذي جاء به.

والثاني: من كفر به، وجحد نبوته، ونابذه العدا، وصد الناس عنه وعن دينه.

وَمِثْلُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾^٢.

قسّم سبحانه في هاتين الآيتين حال الزوجين إلى أربعة أقسام، اشتمل عليها الوجود لأنه سبحانه إما أن يُفرد العبد بعبدة الإناث، أو بعبدة الذكور، أو يجمعهما له، أو لا يهب شيئاً.

وقد جاءت الأقسام في هذه الآية متدرجة بحسب نظرة الناس للولد، بدأ سبحانه بالإناث، ثم انتقل منها إلى درجة أعلى منها وهي هبة الذكور، ثم انتقل إلى درجة أعلى منها وهي هبة الإناث الذكور جميعاً.

وَجَاءَتْ كُلُّ أَقْسَامِ الْعَطِيَّةِ بِلَفْظِ الْهَبَةِ ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾.

وأفرد القسم الرابع بالتأخير لما فيه من الحرمان من الذرية، وقال فيه: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾، فذكره بلفظ ﴿يَجْعَلُ﴾ ولم يذكر لفظ الهبة للتعاير بين المعاني، فليس في العقم هبة.

وبدأ سبحانه بالإناث جبراً هُنَّ بسبب من يحدث من الاستئفال هُنَّ من الأبوين غالباً.

ولبيان أنه تعالى يفعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوان فإن الأبوين لا يُريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء فبدأ بذكر الصنف الذي يشاؤه ولا يُريده الأبوان غالباً.

١ - سورة النساء: الآية/ ٥٤، ٥٥

٢ - سورة الشورى: الآية/ ٤٩، ٥٠



وقيل: قدّم الله تعالى ذِكْرَ مَا كَانَتْ تُؤَخِّرُهُ الْجَاهِلِيَّةُ مِنْ أَمْرِ الْبَنَاتِ حَتَّى كَانُوا يَيْدُوهُنَّ، فكأنه يقول: هَذَا التَّوَعُّ الْحَقِيرُ عِنْدَكُمْ مُقَدَّمٌ عِنْدِي فِي الذِّكْرِ.

وقيل: قَدَّمَهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ وَعِنْدَ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ تَكُونُ الْعِنَايَةُ أتمَّ.

ولذلك قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحْرَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ".^١

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٦٦٦، وابن ماجه - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ حَقِّ الْيَتِيمِ، حديث رقم: ٣٦٧٨، والنسائي في السنن الكبرى - كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ، حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، حديث رقم: ٩١٠٤، وابن حبان - كِتَابُ الْخَطْرِ وَالْإِبَاحَةِ، ذِكْرُ الرَّجْرِ عَنْ أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، حديث رقم: ٥٥٦٥، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند حسن.



الإلتفاتُ:

الإلتفاتُ ويقالُ له: خِطَابُ التَّلْوِينِ مِنْ أَسَالِيْبِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَفْصَحُ فِي الْكَلَامِ، وَأَجْمَلُ فِي الْبَيَانِ، وَأَبْلَغُ فِي النَّظَامِ.

تَعْرِيفُ الْإِلْتِفَاتِ:

الْإِلْتِفَاتُ لُغَةً: صَرَفُ الْوَجْهِ، وَالتَّفَتُ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتِكُمْ﴾ [هود: ٨١]، أَمْرٌ بِتَرْكِ الْإِلْتِفَاتِ؛ لِغَلَا يَرَى عَظِيمٍ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَفِي الْحَدِيثِ فِي صِفَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعاً) أَرَادَ أَنَّهُ لَا يُسَارِقُ النَّظَرَ، وَقِيلَ: أَرَادَ لَا يَلْوِي عَنْقَهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً إِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الطَّائِشُ الْخَفِيفُ، وَلَكِنْ كَانَ يُقْبَلُ جَمِيعاً، وَيُدْبَرُ جَمِيعاً.^١

واصطلاحاً: نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ.^٢

ويتنوع الإلتفاتُ فيكون من العَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ، وَمِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ، وَالْإِنْتِقَالَ مِنْ فُنُونِ الْبَلَاغَةِ، وَهُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْعَيْبَةِ لِلْخِطَابِ أَوْ التَّكْلُمِ، وَمِنَ الْخِطَابِ لِلْعَيْبَةِ أَوْ التَّكْلُمِ، وَمِنَ التَّكْلُمِ لِلْعَيْبَةِ أَوْ الْخِطَابِ. وَالْعَيْبَةُ تَارَةً تَكُونُ بِالظَّاهِرِ، وَتَارَةً بِالْمُضْمَرِ.^٣

فَائِدَتُهُ:

صِيَانَةُ السَّمْعِ عَنِ الضَّجْرِ وَالْمَلَلِ فَإِنَّ النُّفُوسَ جُيِلَتْ عَلَيَّ حُبِّ التَّنَقُّلِ، الْإِسْتِمْرَارُ عَلَيَّ مِنْوَالٍ وَاحِدٍ مِنَ الْخِطَابِ يُوْدِي إِلَى السَّامَةِ، وَفَائِدَتُهُ أَيْضًا إِظْهَارُ الْمَلَكَةِ فِي الْكَلَامِ، وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى التَّصَرُّفِ فِيهِ.

١ - تاج العروس (٥ / ٧٨)

٢ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٣١٤)

٣ - البحر المحيط في التفسير (١ / ٤٢)



شَرْطُ الْإِلْتِفَاتِ:

وَشَرْطُ الْإِلْتِفَاتِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ وَاحِدًا.^١

قال الزركشي: وَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي الْمُتَنَقِّلِ إِلَيْهِ عَائِدًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ إِلَى الْمُلْتَفَتِ عَنْهُ؛ لِيَخْرُجَ نَحْوُ: أَكْرَمَ زَيْدًا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ. فَضَمِيرُ أَنْتَ الَّذِي هُوَ فِي أَكْرَمَ غَيْرُ الضَّمِيرِ فِي إِلَيْهِ.^٢

أَقْسَامُهُ:

ينقسم الِإِلْتِفَاتُ إِلَى الْتِفَاتٍ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَالتَّفَاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ، وَالتَّفَاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ، وَالتَّفَاتِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ.

مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْعَيْبَةِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فَ﴿إِيَّاكَ﴾، التَّفَاتُ لِأَنَّهُ انْتِقَالٌ مِنَ الْعَيْبَةِ، لِلْخِطَابِ؛ إِذْ لَوْ جَرَى عَلَى نَسَقِ وَاحِدٍ لَكَانَ إِيَّاهُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾.^٣

الِإِلْتِفَاتُ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى الْعَيْبَةِ؛ فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾، خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾. خَبَرٌ عَنِ الْعَائِبِينَ، وَلَوْ جَاءَ عَلَى الْخِطَابِ لَكَانَ تَقْدِيرُهُ: (فَمِنْكُمْ مَنْ يَقُولُ.....).

١ - الإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (٣/ ٢٩٠)

٢ - الْبِرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (٣/ ٣١٤)

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٠٠



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفى دياب

قال أبو حيان: وَحِكْمَةُ هَذَا الْإِتْفَاتِ أَنَّهُمْ مَا وَجَّهُوا بِهَذَا الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَهُ عَاقِلٌ، وَهُوَ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الدُّنْيَا، فَأُبْرِزُوا فِي صُورَةِ أَنَّهُمْ غَيْرُ الْمُحَاطَبِينَ بِذِكْرِ اللَّهِ بِأَنْ جُعِلُوا فِي صُورَةِ الْعَائِينَ. ١.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾. ٢.

قِيلَ: الضَّمِيرُ فِي: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾، عَائِدٌ عَلَى الْمُحَاطَبِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾. [البقرة: ٢٦٥]، فَيَكُونُ فِي الْآيَةِ الْإِتْفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْعَيْبَةِ.

وَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الْإِنْتِفَاعِ بِشَيْءٍ مِمَّا كَسَبْتُمْ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾. ٣.

فِي الْكَلَامِ الْإِتْفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكُمْ).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾. [الفتح: ١، ٢]، وَالْأَصْلُ: (لِنُغْفِرَ لَكَ).

فِي الْكَلَامِ الْإِتْفَاتُ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِنُغْفِرَ لَكَ).

١ - البحر المحيط في التفسير (٢/ ٣٠٩)

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٦٤

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٢٢



وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الْكَوْثَرِ: ١، ٢]، وَالْأَصْلُ:
(لَنَا).

فِي الْكَلَامِ التَّفَاتُ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ
كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لَنَا).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ
ذَهَبٍ﴾. [الزخرف: ٧٠، ٧١]، وَالْأَصْلُ: (عَلَيْكُمْ).

فِي الْكَلَامِ التَّفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْعَيْبَةِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ
كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْكُمْ).

مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^١.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّفَاتُ مِنَ الْوَاحِدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَرْسَلَ﴾ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُرَادِ بِهِ التَّعْظِيمُ فِي
قَوْلِهِ: ﴿فَسُقْنَاهُ﴾، وَ ﴿فَأَحْيَيْنَا﴾، وَمِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ أَيْضًا فِي الْكَلِمَتَيْنِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ
عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسَاقَهُ إِلَى
بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾^٢.

١ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الْآيَةُ/ ٩

٢ - سُورَةُ فُصِّلَتْ: الْآيَةُ/ ١٢



في هذه الآية التفاتٌ مِنَ الْوَاحِدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْحَى﴾ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمُرَادِ بِهِ التَّعْظِيمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿زَيْنًا﴾، وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكْلُمِ أَيْضًا فِي الْكَلِمَتَيْنِ، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.^١

في هذه الآية التفاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾، إِلَى التَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.

وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ).

وفيها التفاتٌ آخَرَ مِنَ التَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّنَا).

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾.^٢

في هذه الآية التفاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، إِلَى التَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ).

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ١

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٧٩



مثال الإلتفاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾^١.

في هذه الآية التَّفَاتُ مِنَ الْعَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا﴾، إِلَى التَّكَلُّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿جِئْتُمْ﴾.

وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جَاءُوا شَيْئًا إِدًّا).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ﴾^٢.

في هذه الآية التَّفَاتُ مِنَ الْعَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَرَوْا﴾، إِلَى الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ﴾.

وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَهُمْ).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾^٣.

في هذه الآية التَّفَاتُ مِنَ الْعَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾، إِلَى الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَكُمْ﴾.

وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَهُمْ جَزَاءً).

١ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٨٨، ٨٩

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٦

٣ - سُورَةُ الْإِنْسَانِ: الْآيَةُ / ٢١، ٢٢



مثال الالتفات من الواحد إلى الجمع:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^١.

في هذه الآية التفت من الواحد في قوله: ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ إلى الجمع في قوله: ﴿بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾، وَلَوْ جَرَى الْكَلَامُ عَلَى نَسْقٍ وَاحِدٍ لَكَانَ فِي غَيْرِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ وَتَرَكَهُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُ).

ولا شك أن الالتفات أفصح في الكلام، وأوقع في النفس، وأبلغ في النظام.

تنبيه:

قال العلماء: شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى

المنتقل عنه.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٧



اللَّفُّ وَالنَّشْرُ:

اللَّفُّ وَالنَّشْرُ أسلوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ وهو من المحسنات البديعية، ويضفي على الكلام رونقاً وجمالاً، وهو من بديع البلاغة، وعجيب النظم.

تَعْرِيفُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ:

اللَّفُّ لُغَةً: جمع الشيء واختلاطه بغيره؛ ومنه قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]، أي مُجْتَمَعِينَ مُخْتَلِطِينَ.^١

ولفَّ الشيء يُلْفُهُ لَفًّا جمعه وقد التَّفَّ وجمع لَفِيفٌ مجتمعٌ مُلْتَفٌّ من كل مكان قال ساعدُ بن جُوَيْيَّةَ:^٢

فالدهر لا يُبْقَى على حدّثانه ***** أنس لَفِيفٌ ذو طوائف حَوْشَبُ.

وَاللَّفِيفُ: مَا اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى.^٣

وَالنَّشْرُ لُغَةً: التفرُّق؛ والنَّشْرُ: الْقَوْمُ الْمتَفَرِّقُونَ الَّذِينَ لَا يَجْمَعُهُمْ رَئِيسٌ. وَجَاءَ الْقَوْمُ نَشْرًا أَي متفرِّقين.^٤

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، أي: تفرقوا.^٥

وَاللَّفُّ وَالنَّشْرُ اصطلاحًا: هو أن تلف شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل واحد منهما ما له.^٦

١ - تفسير القرطبي (١٠ / ٣٣٨)

٢ - المحكم والمحيط الأعظم (١٠ / ٣٦١)

٣ - مقاييس اللغة (٥ / ٢٠٧)

٤ - لسان العرب (٥ / ٢٠٨)

٥ - تفسير البغوي (٦ / ٣٧٠)

٦ - التعريفات (ص: ١٩٣)



وقال الكفوي: وهو ذكر مُتعدد على التّفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل من غير تعيين ثقة بأن السّامع يردّه إليه.^١

وقيل: هو أن يُذكرَ شَيْئانِ أو أَشْيَاءَ، إمّا تَفْصِيلاً بِالنَّصِّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أو إِجْمَالاً بِأَنْ يُؤْتَى بِلَفْظٍ يَشْتَمِلُ عَلَى مُتَعَدِّدٍ ثُمَّ يُدْكَرُ أَشْيَاءٌ عَلَى عَدَدِ ذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ يَرْجِعُ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِ وَيُفَوِّضُ إِلَى عَقْلِ السَّامِعِ رَدَّ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى مَا يَلِيْقُ بِهِ.^٢

والتّرتيبُ في اللَّفِّ والنّشرِ هو الأَصْلُ وَالْعَالِبُ.

مثال اللَّفِّ والنّشرِ في غير كلام الله تعالى، قول الشاعر:

قلبي وجفني واللسان وخالقي ***** راضٍ وباكِ شاكرٌ وغفورٌ

ف (راضٍ) يعود على (قلبي)، و(باكِ) يعود على (جفني)، و(شاكرٌ) يعود على (اللسان)، و (غفورٌ) يعود على (خالقي).

أقسامُ اللَّفِّ والنّشرِ:

اللَّفُّ والنّشرُ ينقسم إلى قِسْمَيْنِ:

الأوّل: اللَّفُّ والنّشرُ المُرتَّبُ.

الثّاني: اللَّفُّ والنّشرُ غيرُ المُرتَّبِ.

١ - الكليات (ص: ٧٩٨)

٢ - الإتيان في علوم القرآن (٣/ ٣٢٠)



أولاً: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ الْمُرْتَبُّ:

مثاله:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١.

فقوله تَعَالَى: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾، راجعٌ إلى اللَّيْلِ، أي: لِتَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وقوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ راجعٌ إلى وَالنَّهَارِ، أي: وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فِي النَّهَارِ، ففي الآية لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَبُّ.

ومثاله أيضاً قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَرَبِّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^٢.

فَالَّذِينَ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَاصِبٌ هُمْ: عَادٌ، وَالَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ هُمْ: ثَمُودٌ، وَالَّذِي حَسَفَ بِهِ الْأَرْضَ: قَارُونَ، وَالَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ: فِرْعَوْنُ وَهَامَانُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا. ففي الآيات لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَبُّ كما ذكرنا.

ومثاله أيضاً قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقِ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾^٣.

١ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ/ ٧٣

٢ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَةُ/ ٣٦ : ٤٠

٣ - سُورَةُ عَبَسَ: الْآيَةُ/ ٣٢



في هذه الآية لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٌ، فقد ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى في هذه الآيات اللَّفَّ في انشقاق الأرض عن أجناس من الزروع والنباتات، منها الحبوب والأعشاب، والزيتون والنخيل، والحدائق الغناء، والفواكه الكثيرة، والأبِّ وهو ما تأكله الأنعام من النبات، ثُمَّ ذَكَرَ النَّشْرَ في قوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِالْأَنْعَامِ كُمْ﴾، فكانت النخيل والأعشاب، والنخي والزيتون، والحدائق والفواكه لبني آدم، وكان الأبُّ للأنعام.

ثانياً: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ غَيْرُ الْمُرْتَبِ:

مِثَالُهُ:

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

في الآيتين لَفٌ وَنَشْرٌ غَيْرُ مُرْتَبٍ، فقد ذَكَرَ في اللَّفِّ الإِبْيَاضَ قَبْلَ الإِسْوَادِ، وَذَكَرَ في النَّشْرِ حُكْمَ مَنْ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ قَبْلَ حُكْمِ مَنْ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ.

وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِنَبْتَعُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَا تَفْصِيلاً﴾^٢.

في هذه الآية لَفٌ وَنَشْرٌ غَيْرُ مُرْتَبٍ، فقد ذَكَرَ في اللَّفِّ اللَّيْلَ قَبْلَ النَّهَارِ، فقال: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، وَذَكَرَ في النَّشْرِ ﴿لِنَبْتَعُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يُرِيدُ التَّصَرُّفَ في المَعَاشِ في النَّهَارِ، ثم قَالَ: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾، والمرادُ الحِسَابُ المتعلقُ بما في ضمنِ السنينِ من الأشهرِ والليالي والأيام، يعني منازل القمر.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٠٦، ١٠٧

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٢



وَمِثَالُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾^١.

في هذه الآية لَفٌّ وَنَشْرٌ غيرُ مُرتَّبٍ، فقد ذَكَرَ اللهُ تعالى في اللَّفِّ افتراقَ الناسِ إلى فريقين: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، ثم ابتداءً في النَّشْرِ بذكر ما أعدَّهُ اللهُ تعالى لِلْكَافِرِينَ؛ فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾، ثم أتبع ذلك بما أعدده اللهُ تعالى للشَّاكرين وسماهم أبرارًا؛ فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

١ - سُورَةُ الْإِنْسَانِ: الآية/ ٣- ٥



التَّرْقِي:

تعريف التَّرْقِي:

التَّرْقِي لغةً: تَفَعَّلُ من الرُّقِيَ وهو الصعود؛ قال ابن منظور: رَقِيَ إِلَى الشَّيْءِ رُقِيًّا وَرُقُوعًا وَارْتَقَى يَرْتَقِي وَتَرَقَّى: صَعِدَ، وَرَقِيَ فَلَانٌ فِي الْجَبَلِ يَرْقَى رُقِيًّا إِذَا صَعَدَ. وَيُقَالُ: هَذَا جَبَلٌ لَا مَرَقَى فِيهِ وَلَا مُرْتَقَى. وَيُقَالُ: مَا زَالَ فَلَانٌ يَتَرَقَّى بِهِ الْأَمْرُ حَتَّى بَلَغَ غَايَتَهُ.^١

ومنه قول الله تعالى: ﴿أَوْ تَرَقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾.^٢

أي: تَصَعَدُ فِي سُلْمٍ إِلَى السَّمَاءِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْكَ.

واصطلاحاً: أن يذكر معنى، ثم يردف بأبلغ منه.^٣

ومعناه التدرج بذكر المعنى الأدنى ثم ذكر الأعلى بعده مباشرة، ويقابل الترقى التذلي وهو ذكر المعنى الأعلى رتبة ثم يردفه بالأدنى؛ قال السيوطي في عقود الجمان:^٤

ثُمَّ التَّرْقِي وَهُوَ ذِكْرُ الْمَعْنَى ***** فَفَوْقَهُ ثُمَّ التَّذَلِّي يُعْنَى

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.^٥

الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تَمَامِ قَيُّومِيَّتِهِ أَنَّهُ لَا تَعْتَرِيهِ سِنَّةٌ وَهِيَ فُتُورٌ يَعْتَرِي الْإِنْسَانَ وَلَا يَفْقَدُ مَعَهُ عَقْلَهُ، وَيُقَالُ لَهَا كَذَلِكَ الْوَسْنُ وَالنُّعَاسُ، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، وَالنَّوْمُ هُوَ الَّذِي يَزُولُ مَعَهُ الدَّهْنُ فِي حَقِّ الْبَشَرِ، فَبَدَأَ بِنَفْيِ السِّنَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾؛ لِأَنَّهَا أَخْفَ ثُمَّ نَفَى النَّوْمَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ لِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السِّنَّةِ.

١ - لسان العرب (١٤ / ٣٣١)

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٩٣

٣ - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢ / ٣١٩)

٤ - عقود الجمان في علم المعاني والبيان (ص: ١٠٧)

٥ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٥٥



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^١.

في الآية تَرْقِي مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى فِي الْمَقْصُودِ وليس في الفضل والرتبة، فَإِنَّ الْإِسْتِنْكَافَ هنا هُوَ الْإِمْتِنَاعُ عن العبادة، وَالْمَلَائِكَةُ أَقْدَرُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَسِيحِ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِمْ أَقْوَى وَأَقْدَرُ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَام.

وأيضا فَإِنَّ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى لَمَّا عَبَدُوا الْمَسِيحَ وَعَاتَقَدُوا فِيهِ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَا يَقُولُونَ عَلْوًا كَبِيرًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْخَوَارِقِ وَالْمُعْجَزَاتِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَغَيْرِهِ وَلِكَوْنِهِ خَلَقَ مِنْ غَيْرِ أَبِي وَمَا عِنْدَهُ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَغَالِبِ هَذِهِ الْأُمُورِ هِيَ لِلْمَلَائِكَةِ أُمَّمٌ وَهُمْ فِيهَا أَقْوَى فَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ أَوْجَبَتْ عِبَادَتَهُ فَهُوَ مَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَا يَسْتَنْكِفُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ بَلْ وَلَا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ وَكَمَا قُلْنَا هَذَا تَرْقِي مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى فِي الْمَقْصُودِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامِ خِلَافَ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

في الخطاب تدرج من الأدنى إلى الأعلى فَإِنَّ ﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾، أدنى هذه المحرمات المذكور منزلةً وأخفها حكماً، ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، أعظم منها إثمًا وصاحبها أقبح من صاحب الأولى حالاً، والشرك المراد بقوله: ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، أقبح مما سبق، وأعظم خطراً، والمشرك أبعد الناس عن مغفرة الله تعالى وشر الناس منزلة يوم القيامة، والقول على الله تعالى المراد بقوله: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. أعظم مما سبق ذكره وأعظم من الشرك بالله تعالى، والعلة في ذلك أن الشرك بالله تعالى ضرر

١ - سورة النساء: الآية/ ١٧٢

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ٣٣



قاصر على صاحبه أما القول على الله تعالى فضرر متعدد للغير، والقول على الله تعالى افتراء وكذب عليه ولا أظلم ممن هذا حاله فهو أسوء الناس حالا على الإطلاق، نعوذ بالله من الضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فبدأ بالأسهل تحريماً ثم ما هو أشد منه إلى أن ختم بأغلظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم، فما أهل به لغير الله في الدرجة الرابعة من المحرمات.^١

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلْهَمَ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾.^٢

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ بَدَأَ مِنْهَا بِالْأَدْنَى لِغَرَضِ التَّرْقِي لِأَنَّ مَنَفْعَةَ الرَّابِعِ أَهَمُّ مِنْ مَنَفْعَةِ الثَّلَاثِ فَهُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَمَنَفْعَةُ الثَّلَاثِ أَعَمُّ مِنْ مَنَفْعَةِ الثَّانِي وَمَنَفْعَةُ الثَّانِي أَعَمُّ مِنْ مَنَفْعَةِ الْأَوَّلِ فَهُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ.

وَقَدْ قُرِنَ السَّمْعُ بِالْعَقْلِ وَلَمْ يُقْرَنَ بِهِ الْبَصَرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصِرُونَ﴾ وَمَا قُرِنَ بِالْأَشْرَفِ كَانَ أَشْرَفَ.^٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾.^٤

بَدَأَ سُبْحَانَهُ مِنْهَا بِالْأَدْنَى لِغَرَضِ التَّرْقِي، فَبَدَأَ بِالنَّفَقَةِ الصَّغِيرَةِ ثُمَّ الْكَبِيرَةِ ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ بِالنَّفْسِ: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ وَلَا شَكَّ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

١ - أحكام أهل الذمة (١/ ٥٢٨)

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١٩٥

٣ - البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٧٠)

٤ - سورة التوبة: الآية/ ١٢١



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^١.

يخبر الله تعالى عن حسرة المُجرمينَ يوم القيامة عند رؤية كل واحد منهم لكتابِ أعمالِهِ، الَّذِي دونت فِيهِ الأَعْمَالُ، وَمِنْهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْحَقِيرُ وَالْعَظِيمُ، وَالْفَتِيلُ وَالْقَطْمِيرُ، فَتَعْظَمُ حَسْرَتُهُ، وَتَشْتَدُّ حَيْرَتُهُ، وَيَزْدَادُ كَرْبُهُ، فَالْكَتَبَةُ لَمْ تَتْرُكْ ذَنْبًا وَإِنْ صَغُرَ إِلَّا دُونَتُهُ، وَلَا عَمَلًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَحْصَتْهُ وَحَفِظَتْهُ.

فَبَدَأَ مِنْهَا بِالْأَدْنَى لِبَيَانِ مَدَى حَسْرَةِ الْمُجْرِمِينَ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ وَتَرْقِي لِبَيَانِ كَمَالِ ضَبْطِ الْحَفِظَةِ الَّتِي تَكْتُبُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ.

قال أبو حيان: وَتَرْتِيبُ تَفْسِيمِ هَذِهِ الْحِجَارَةِ تَرْتِيبُ حَسَنٍ حِدًّا، وَهُوَ عَلَى حَسَبِ التَّرْقِي. فَبَدَأَ أَوَّلًا بِالَّذِي تَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، أَيْ خُلِقَ ذَا حُرُوقٍ مُتَّسِعَةٍ، فَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهِ فِي نَفْسِهِ تَفَعُّلٌ وَلَا فِعْلٌ، أَيْ أَنَّهَا خُلِقَتْ ذَاتَ حُرُوقٍ بِحَيْثُ لَا يُحْتَاجُ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا صُدُورٌ فِعْلٍ مِنْهَا. ثُمَّ تَرَقَّى مِنْ هَذَا الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي يَنْفَعِلُ انْفِعَالًا يَسِيرًا، وَهُوَ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ تَشَقُّقٌ بِحَيْثُ يَنْبُعُ مِنْهُ الْمَاءُ. ثُمَّ تَرَقَّى مِنْ هَذَا الْحَجَرِ إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي يَنْفَعِلُ انْفِعَالًا عَظِيمًا، بِحَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَتَدَهَّدُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ، ثُمَّ رَسَخَ هَذَا الْانْفِعَالُ التَّامُّ بِأَنْدَلِكِ هُوَ مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ طَوَاعِيَّتِهِ وَانْقِيَادِهِ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، فَكُنِيَ بِالْحَشْيَةِ عَنِ الطَّوَاعِيَّةِ وَالْانْقِيَادِ، لِأَنَّ مَنْ حَشِيَ أَطَاعَ وَانْقَادَ.^٢

قال أبو حيان: بَلِ التَّرْقِي فِي الْعَطْفِ بَعْدَ وَنَقْصِ، فَبَدَأَ أَوَّلًا بِالْأَمْوَالِ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى الْأَنْفُسِ.^٣

١ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ٤٩

٢ - الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ (١ / ٤٣١)

٣ - الْبَحْرُ الْمَحِيطُ فِي التَّفْسِيرِ (٢ / ٥٦)



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

هَذَا مِنْ بَابِ التَّرْقِي، بَدَأَ أَوَّلًا بِنَفْيِ كَشْفِ الضُّرِّ لِهَذِهِ الْأَلْهَةِ الْمَرْعُومَةِ عَمَّنْ يَعْبُدُونَهُمْ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى نَفْيِ تَحْوِيلِهِمْ مِنْ حَالِ الضُّرِّ إِلَى غَيْرِهَا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

هَذَا مِنْ بَابِ التَّرْقِي، فَقَدْ بَدَأَ أَوَّلًا بِذِكْرِ الْإِيمَانِ وَعَمَلِ الصَّالِحَاتِ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى رَتَبَةِ أَعْلَى وَهِيَ الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى وَالْإِحْسَانُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٢.

قَالَ أَبُو حَيَّانٍ: وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّرْقِي، بَدَأَ أَوَّلًا بِالْكِتَابِ وَهُوَ الْعِلْمُ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى التَّمَكِينِ وَهُوَ الْفُضْلُ بَيْنَ النَّاسِ ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى الرَّتَبَةِ الْعُلْيَا وَهِيَ النُّبُوَّةُ وَهِيَ مَجْمَعُ الْخَيْرِ^٣.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾^٤.

فِي الْآيَةِ تَرَقَّى مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَشْرَفِ، بَدَأَ بِالْأَدْنَى وَهِيَ الْأَنْعَامُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى الْأَشْرَفِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ وَهُمْ بَنُو آدَمَ.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٩٣

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٧٩

٣ - البحر المحيط في التفسير (٣/ ٢٣٠)

٤ - سورة السَّجْدَةِ: الآية/ ٢٧



قال أبو حيان: بدأ بالأدنى ثم ترقى إلى الأشرف، وهم بنو آدم^١.
ومنه قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين هُجُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُجُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ.....﴾^٢.

قال أبو حيان: هَيَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ تَنَاجِيَهُمْ مِثْلَ تَنَاجِيِ الْكُفَّارِ، وَبَدَأَ بِالْإِثْمِ لِعُمُومِهِ، ثُمَّ
بِالْعُدْوَانِ لِعِظَمَتِهِ فِي النُّفُوسِ، إِذْ هِيَ ظُلَامَاتُ الْعِبَادِ، ثُمَّ تَرَقَّى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ، وَهُوَ مَعْصِيَةُ
الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفِي هَذَا طَعْنٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ، إِذْ كَانَ تَنَاجِيَهُمْ فِي ذَلِكَ^٣.
ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ﴾^٤.

في الآية ترقى من الأدنى إلى الأشرف، بدأ بالأدنى وهو اليتيم وهو لا يكون إلا حال الصغر،
وهو أعظم مظهر من مظاهر الاحتياج، ثم ارتقى إلى حال السائل، والسؤال وإن كان مظنة الفقر
والعوز، إلا إنه أحسن حالاً من اليتيم، ثم ترقى إلى الأشرف وهو حال النعمة والغنى.

قال أبو حيان: فَكَانَ ذِكْرُ الْإِمْتِنَانِ بِذَلِكَ عَلَى حَسَبِ الْوَاقِعِ بَعْدَ الْيَتِيمِ وَحَالَةِ التَّكْلِيفِ،
وَفِي الْآخِرِ تَرَقَّى إِلَى الْأَشْرَفِ، فَهُمَا مَقْصِدَانِ فِي الْخِطَابِ^٥.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالِدًا وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ.....﴾^٦.

١ - البحر المحيط في التفسير (٤٤٢ / ٨)

٢ - سورة المجادلة: الآية / ٨

٣ - البحر المحيط في التفسير (١٢٦ / ١٠)

٤ - سورة الضحى: الآية / ٩ - ١١

٥ - البحر المحيط في التفسير (٤٩٨ / ١٠)

٦ - سورة البقرة: الآية / ١٧٣



في الآية ترقى من الأدنى إلى الأعلى، بدأ بالأدنى الأخف تحريمًا وهي الميتة ثم بما هو أشد منها وهو والدّم فإنه أخبث وضرره أعظم، ثم بما هو أشد منهما وهو لحم الخنزير؛ فإنه أخبث منهما، وأعظم ضررًا، ثم بما هو أشد منها جميعًا وهو ما أهل به لغير الله؛ لأنه شرك بالله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، فحصر التحريم في هذه الأربعة، فإنها محرمة في كل ملة، لا تباح بحال إلا عند الضرورة، وبدأ بالأخف تحريمًا ثم بما هو أشد منه فإن تحريم الميتة دون تحريم الدم فإنه أخبث منها ولحم الخنزير أخبث منها وما أهل به لغير الله أخبث الأربعة.

ونظير هذا قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فبدأ بالأسهل تحريمًا ثم ما هو أشد منه إلى أن ختم بأغلظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم، فما أهل به لغير الله في الدرجة الرابعة من المحرمات.^١

ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ (٥٣) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا.^٢

قال أبو حيان: فالْبُحْلُ مَنْعٌ وَصُولٌ حَيْرٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَسَدُ تَمَنِّي زَوَالٍ مَا أُعْطِيَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخَيْرِ وَإِنَاؤُهُ لَهُ. نَعَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ تَحْلِيَهُمْ بِهَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ الدِّمِيمَتَيْنِ، وَلَمَّا كَانَ الْحَسَدُ شَرًّا الْخِصْلَتَيْنِ تَرَقَّى إِلَى ذِكْرِهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْبُحْلِ.^٣

١ - أحكام أهل الذمة (١/ ٥٢٨)

٢ - سورة النساء: الآية/ ٥٣ - ٥٤

٣ - البحر المحيط في التفسير (٣/ ٦٧٨)



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾^١.

قال أبو حيان: وبدأً أولاً بالعام وهو افتراء الكذب على الله وهو أعم من أن يكون ذلك الافتراء بادعاء وحى أو غيره ثم ثانياً بالخاص وهو افتراء منسوب إلى وحى من الله تعالى ولم يوح إليه شيء جملةً حاليةً أو غير موحى إليه لأن من قال أوحى إليّ وهو موحى إليه هو صادق ثم ثانياً بأخص مما قبله، لأن الوحي قد يكون بإنزال قرآن وبغيره^٢.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ.....﴾^٣.

في الآية ترقى من الأدنى إلى الأعلى، فبدأً بالأدنى الأخص وهو الإثم وهو العُدوان وهو أعظم من الإثم خطراً، ثم ومَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وهي أعظم خطراً من الإثم والعُدوان.

قال أبو حيان: بدأً بالإثم لعمومه، ثم بالعُدوان لعظمته في النفوس، إذ هي ظلمات العباد. ثم ترقى إلى ما هو أعظم، وهو مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^٤.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٩٣

٢ - البحر المحيط في التفسير (٤/ ٥٨٥)

٣ - سورة المجادلة: الآية/ ٨

٤ - البحر المحيط في التفسير (١٠/ ١٢٦)



التَّغْلِيْبُ:

تَعْرِيفُ التَّغْلِيْبِ:

التَّغْلِيْبُ لُغَةً: مِنَ الْعَلْبَةِ أَي: الْقَهْرِ، يُقَالُ: غَلَبْتُهُ غَلْبًا وَعَلَبْتُهُ وَعَلَبًا، فَأَنَا غَالِبٌ. قَالَ تَعَالَى:
﴿الْم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الرُّومُ: ١ - ٣]،
وقال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩].^١

واصطلاحًا التَّغْلِيْبُ: إِعْطَاءُ الشَّيْءِ حُكْمَ غَيْرِهِ.

وَقِيلَ: تَرْجِيحُ أَحَدِ الْمَعْلُومِينَ عَلَى الْآخَرِ وَإِطْلَاقُ لَفْظِهِ عَلَيْهِمَا إِجْرَاءً لِلْمُخْتَلِفِينَ مَجْرَى الْمُتَّفِقِينَ.^٢

وَقِيلَ: هُوَ أَنْ تَعَمَّ كِلَا الصِّنْفَيْنِ بِلَفْظٍ أَحَدَهُمَا.^٣

التَّغْلِيْبُ مِنْ أَسَالِيْبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي تَثْنِيَةِ الْأَبِ وَالْأُمِّ: أَبَوَانِ، وَفِي تَثْنِيَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرَبِ: الْمَشْرِقَانِ، وَفِي تَثْنِيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ: الْقَمَرَانِ، وَفِي تَثْنِيَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْعُمَرَانِ.

قال الفرزدق:

أَحَدْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ ***** لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالِغُ

١ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٦١١)

٢ - البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٠٢)

٣ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (٧/ ٤١٢)



فائدة:

أحياناً يُرَاعَى فِي التَّغْلِيْبِ الْأَشْرَفُ وَأحياناً يُرَاعَى الْأَكْثَرُ، وَأحياناً يُرَاعَى الْأَشْهَرُ، وَأحياناً يُرَاعَى الْأَخْفُ.

أمثلةُ التَّغْلِيْبِ:

تَغْلِيْبُ الْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ:

ومعناه أن يشتمل الكلام على مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ فَيُطْلَقُ اللَّفْظُ الْمُخْتَصُّ بِالْعَاقِلِ عَلَى الْجَمِيعِ.

مثاله قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^١.

الْأَرْضُ فِيهَا الْعَاقِلُ وَغَيْرُ الْعَاقِلِ، وَالْعَاقِلُ يشار إليه بـ (مَنْ)، وَغَيْرِ الْعَاقِلِ يشار إليه بـ (مَا)، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ غَلَّبَ الْعَاقِلَ لِشَرْفِهِ حَيْثُ أَتَى بـ (مَنْ)، عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾. عام يشمل مَنْ يَعْقِلُ وَمَنْ لَا يَعْقِلُ، فَعَلَّبَ مَنْ يَعْقِلُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى.....﴾. وَذَلِكَ لِشَرَفِ الْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٣.

١ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الْآيَةُ / ٨٤

٢ - سُورَةُ النَّوْرِ: الْآيَةُ / ٤٥

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٣١



قَالَ الْعُلَمَاءُ: عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾. لِمَا يَعْقِلُ، مَعَ أَنَّ الْكَلَامَ إِخْبَارٌ عَمَّا يَعْقِلُ وَمَا لَا يَعْقِلُ فَعَبَّرَ عَنِ الْجَمِيعِ بِصِيغَةِ مَنْ يَعْقِلُ لِلتَّغْلِيْبِ لِشَرْفِ الْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾^١.

يَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى الْإِمَاءِ وَالْعَبِيدِ، وَعَلَى الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ، وَعَلَى الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهَا صِيغَةَ مَنْ تَغْلِيْبًا لِجَانِبِ الْعُقَلَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^٢.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا أَي كُلُّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَيْوَانٍ وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ بِلَفْظِ: (مَنْ) تَغْلِيْبًا لِجَانِبِ الْعُقَلَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَانٍ كُلُّ مَخْلُوقٍ هَالِكٌ لِأَنَّ وُجُودَ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا عَرَضٌ فَهُوَ غَيْرُ بَاقٍ وَمَا لَيْسَ بِبَاقٍ فَهُوَ فَانٍ.

تَغْلِيْبُ غَيْرِ الْعَاقِلِ عَلَى الْعَاقِلِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^٣.

يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْعَاقِلُ وَغَيْرُ الْعَاقِلِ، فَعَلَّبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ حَيْثُ أَتَى بِ (مَا) الَّذِي يَدُلُّ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ لِكَثْرَتِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٤.

١ - سُورَةُ الْحَجَرِ: الْآيَةُ / ٢٠

٢ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الْآيَةُ / ٢٦

٣ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ / ٤٩

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ١٢٠



فَعَلَّبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ حَيْثُ أَتَى بِلَفْظِ (مَا) فَقَالَ: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، الذي يدل على غَيْرِ الْعَاقِلِ وَمَنْ يُقَالُ: (وَمَنْ فِيهِنَّ)؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (مَا) تَتَنَاوَلُ الْأَجْنَاسَ كُلَّهَا تَنَاوُلًا عَامًّا بِأَصْلِ الْوَضْعِ وَالْحَدِيثِ هُنَا عَنْ أَجْنَاسِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَ (مَنْ) لَا تَتَنَاوَلُ غَيْرَ الْعُقَلَاءِ بِأَصْلِ الْوَضْعِ فَكَانَ اسْتِعْمَالُ (مَا) هُنَا أَوْلَى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾^١.

عَلَّبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ حَيْثُ أَتَى بِلَفْظِ: (مَا) الذي يدل على غَيْرِ الْعَاقِلِ وَمَنْ يَأْتِ بِلَفْظِ: (مَنْ) الذي يدل على الْعَاقِلِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (مَا) تَتَنَاوَلُ الْأَجْنَاسَ كُلَّهَا، وَالْحَدِيثُ هُنَا عَنْ أَجْنَاسِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَ (مَنْ) لَا تَتَنَاوَلُ غَيْرَ الْعُقَلَاءِ فَكَانَ اسْتِعْمَالُ (مَا) هُنَا أَوْلَى كَذَلِكَ.

تَغْلِيبُ الْأَشْهَرِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَنِي وَبَيْنِكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾^٢.
أَرَادَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ فَعَلَّبَ الْمَشْرِقَ لِأَنَّهُ أَشْهَرُ الْجِهَتَيْنِ، وَلِأَنَّ الْمَشْرِقَ دَالٌّ عَلَى الْوُجُودِ وَالْمَغْرِبَ دَالٌّ عَلَى الْعَدَمِ، وَالْوُجُودُ أَشْرَفُ مِنَ الْعَدَمِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾^٣.

أَيُّ الْمِلْحِ وَالْعَذْبِ، وَالْبَحْرُ خَاصٌّ بِالْمِلْحِ، وَالْعَذْبُ خَاصٌّ بِالْيَمِّ وَالنَّهْرِ، فَعَلَّبَ الْبَحْرَ لِأَنَّهُ الْأَشْهَرُ وَلِكُونِهِ الْأَعْظَمِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١١٦

٢ - سُورَةُ الرَّحْمَةِ: الْآيَةُ / ٣٨

٣ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الْآيَةُ / ٥٣

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٣



فَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عُمُّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّمَا سَمَّوهُ أَبًا لَهُ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ، فَإِنَّ
الْأَبَ أَقْرَبَ وَأَشْهَرُ فِي الذِّكْرِ مِنَ الْعَمِّ.

تَغْلِيْبُ الْمَذْكُورِ عَلَى الْمُؤْنِثِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِطِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^١.

والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات فذكر لفظ: (إخوة) تغليبًا لحكم المذكر على المؤنث.

وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا

وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ﴾^٢.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ مع أنها أنثى والأصل في غير القرآن أن تكون: (من

القانتات)، تَغْلِيْبًا لِلْمَذْكُورِ عَلَى الْمُؤْنِثِ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا بَلَغَتْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْجِدِّ
وَالاجْتِهَادِ وَالرَّفْعَةِ مَنْزِلَةً اسْتَحَقَّتْ بِهَا أَنْ تُوصَفَ بِأَوْصَافِ الرِّجَالِ الْقَانِنِينَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^٣.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾. مع أنها أنثى، والأصل في غير القرآن أن تكون: (من

الغابرات) تَغْلِيْبًا لِلْمَذْكُورِ عَلَى الْمُؤْنِثِ، وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهَا بَلَغَتْ فِي رِضَاهَا بِأَفْعَالِ
قَوْمِهَا الْقَبِيحَةِ مَبْلَعًا عَظِيمًا؛ فَقَدْ كَانَتْ رِذَاءًا لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَكَانَتْ تُدَلُّ قَوْمَهَا عَلَى ضَيْقَانِ
لُوطٍ، لِيَأْتُوا إِلَيْهِمْ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ لَا تَفْعَلُ الْفَوَاحِشَ، لَكِنَّمَا لَمَّا رَضِيَتْ بِأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةَ اسْتَحَقَّتْ
أَنْ تَجَازِيَ جَزَاءَهُمْ وَتَعَاقَبَ عِقَابَهُمْ.

وَمَعْنَى: ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾. أَي: مِنَ الْهَالِكِينَ.

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ ١٧٦/

٢ - سُورَةُ التَّحْرِيمِ: الْآيَةُ ١٢/

٣ - سُورَةُ النَّمْلِ: الْآيَةُ ٥٧/



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾^١.
فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾. مع أنها أنثى والأصلُ في غير القرآن أن تكون:
(مِنَ الْخَاطِئَاتِ)، وإنما قال بلفظ التذكير تَغْلِيْبًا لِلْمُذَكَّرِ عَلَى الْمُوْنِثِ.

تَغْلِيْبُ مَا وَقَعَ بِوَجْهِ مَخْصُوصٍ عَلَى مَا وَقَعَ بِغَيْرِهِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُصِْبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾^٢.

ذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاوُل بهنَّ، وإن كانت من أعمال القلوب، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب.

تَغْلِيْبُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى جَزَاءِ أَعْدَائِهِ اللَّهِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^٣.

يَعْنِي: أَهْلُ الْخَيْرِ وَأَهْلُ الشَّرِّ مُتَفَاوِثُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَدَرَكَاتِهِمْ فِي النَّارِ، ودليل ذلك أن الله تعالى قال قبلها: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^٤.

ولما كانت الدَّرَجَاتُ لِلْعُلُوِّ وَالدَرَكَاتُ لِلسُّفْلِ اسْتَعْمِلَ الدَّرَجَاتُ فِي الْقِسْمَيْنِ تَغْلِيْبًا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾^٥.

أَيُّ: وَلِكُلِّ عَامِلٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ مَنَازِلٌ وَمَرَاتِبٌ مِنْ عَمَلِهِ يُبْلَغُهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَيُثَبِّتُهُ بِهَا، إِنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: آيَةُ / ٢٩

٢ - سُورَةُ الرُّومِ: آيَةُ / ٣٦

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ١٦٣

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ١٦٢

٥ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: آيَةُ / ١٣٢



فَلأهل طَاعَةِ اللَّهِ دَرَجَاتٌ فِي الْجَنَّةِ وَلأهل مَعْصِيَتِهِ دَرَكَاتٌ فِي النَّارِ وَاسْتُعْمِلَ الدَّرَجَاتُ فِي الْقِسْمَيْنِ تَغْلِيْبًا.

تَغْلِيْبُ الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ:

ومعناه أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْجَمِيعِ وَصَفٌ يَخْتَصُّ بِالْأَكْثَرِ دُونَ الْأَقَلِّ.

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِهًّا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^١.

فِإِسْمَاعِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ أَبًا لِيَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَكِنَّهُ كَانَ عَمُّهُ، وَإِنَّمَا دَخَلَ فِي آبَائِهِ تَغْلِيْبًا مِنْ بَابِ تَغْلِيْبِ الْأَكْثَرِ.

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾^٢.

شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ أَصْلًا حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَتَعُوذُنَّ﴾ بِحُكْمِ التَّغْلِيْبِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ قَوْمِهِمْ فَدَخَلَ فِي الْخُطَابِ مَعَهُمْ تَغْلِيْبًا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^٣.

دَخَلَ إِبْلِيسُ فِي أَمْرِ اللَّهِ لِلْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ مَعَ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَلَكِنَّهُ لَمَّا كَانَ مُخْتَلِطًا بِهِمْ، وَكَانَ قَدْ تَشَبَّهَ بِهِمْ، فَعُومِلَ مُعَامَلَتَهُمْ، وَذُمَّ عَلَى الْمُخَالَفَةِ،

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ/ ١٣٣

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: آيَةُ/ ٨٨

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ/ ٣٤



فَحِينَئِذٍ عَمَّتْهُ الدَّعْوَةُ بِالخُلْطَةِ لِلْمَلَائِكَةِ لَا لكونه من جنسهم فَدَخَلَ مَعَهُمْ تَغْلِيْبًا مِنْ بَابِ تَغْلِيْبٍ
الْأَكْثَرِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّنْ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
تُرَابٍ...﴾^١.

لا شك أن الناس فيهم المؤمن والكافر، والموقن والمرتاب، ولما كان أكثر الناس على غير
الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. [يُوسُفَ: ١٠٣]، فَأَكْثَرُ النَّاسِ
خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ نَاوُونَ عَنْهُ، فلما دل ذلك على أن الكلَّ لم يَكُونُوا
مُرتَابِينَ غَلَبَ عَيْبُ المُرتَابِينَ مِنْهُمْ عَلَى المُرتَابِينَ.

تَغْلِيْبُ المَوْجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجِدْ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ
يُوقِنُونَ﴾^٤.

المُرَاد: أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا سَيُنزَلُ فِي
المُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، فَهَمَّ يُؤْمِنُونَ بِالمُنزَّلِ كُلِّهِ وَإِنَّمَا عُبِّرَ عَنْهُ بِلفظِ المَاضِي وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُ مُتَرَقِّبًا لَمْ
يُنزَلْ بَعْدُ تَغْلِيْبًا لِلْمَوْجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجِدْ.

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ٥

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ١١٦

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٤٩

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٤



تَغْلِيْبُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْغَائِبِ:

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾^١.

أَعَادَ الضَّمِيرَ بِلَفْظِ الْخِطَابِ وَإِنْ كَانَ ﴿مَنْ تَبِعَكَ﴾ يَفْتَضِي الْعَيْبَةَ فَيَكُونُ الْكَلَامُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ: (فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ)، وَإِنَّمَا أَتَى ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ﴾؛ تَغْلِيْبًا لِلْمُخَاطَبِ وَهُوَ إِبْلِيسُ وَجُعِلَ الْغَائِبُ وَهُمْ مَنْ تَبِعَهُ، تَبَعًا لَهُ كَمَا كَانَ تَبَعًا لَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ وَالْعُقُوبَةِ فَحَسُنَ أَنْ يُجْعَلَ تَبَعًا لَهُ فِي اللَّفْظِ وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ اِزْتِبَاطِ اللَّفْظِ بِالْمَعْنَى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٢.

تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: (فَاسْتَقِيمُوا كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ)، عُذِبَ فِيهِ جَانِبٌ (أَنْتَ) عَلَى جَانِبِ (مَنْ) فَاسْتَدَانَ إِلَيْهِ الْفِعْلُ وَكَانَ تَقْدِيرُهُ: فَاسْتَقِيمُوا فَعُلِبَ الْخِطَابُ عَلَى الْعَيْبَةِ لِأَنَّ حَرْفَ الْعَطْفِ فَصَلَ بَيْنَ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِمُ الْفِعْلُ فَصَارَ كَمَا تَرَى^٣.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^٤.

بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ لِأَهْلِ مَكَّةَ حَالَ مَعْبُودَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَيُّ: وَقُودُ جَهَنَّمَ وَحَطْبُهَا، وَوَجْهُ الْإِقَاءِ الْأَصْنَامِ فِي النَّارِ، مَعَ كَوْنِهَا جَمَادَاتٍ لَا تَعْمَلُ ذَلِكَ وَلَا تُحْسِنُ بِهِ: التَّبَكُّيْتُ لِمَنْ عَبَدَهَا، وَزِيَادَةُ التَّوْبِيخِ لَهُمْ، وَتَضَاعُفُ الْحُسْرَةِ عَلَيْهِمْ، وَالْخِطَابُ لَهُمْ وَلِمَا يَعْْبُدُونَ تَغْلِيْبًا، عُذِبَ الْخِطَابُ عَلَى الْعَيْبَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَعَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾^٥.

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: ٦٣

٢ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَةُ / ١١٢

٣ - الْبِرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (٣ / ٣٠٤)

٤ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَاتُ / ٩٨

٥ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الْآيَةُ / ١١



﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أَي: سَفِينَةُ نُوحٍ، وَسُمِّيَتْ جَارِيَةً لِأَنَّهَا تَجْرِي فِي الْمَاءِ، وَالْمَعْنَى: حَمَلْنَاكُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِكُمْ، أَوْ حَمَلْنَاكُمْ وَحَمَلْنَاكُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ تَغْلِيْبًا لِلْمُحَاطِبِينَ عَلَى الْعَائِبِينَ.



الإحتراسُ:

الإحتراسُ لغةً: الاحترازُ والتحفظُ، يقال: احترس منه، أي: تحرَّز. وتحرَّستُ مِنْ فُلَانٍ واحترستُ مِنْهُ بِمَعْنَى أَي: تحَقَّقْتُ مِنْهُ.^١

واصطلاحًا: هُوَ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُحْتَمَلًا لِشَيْءٍ بَعِيدٍ فَيُؤْتَى بِمَا يَدْفَعُ ذَلِكَ الْإِحْتِمَالَ.^٢
وَالِإِحْتِرَاسُ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي كَثُرَ وُرُودُهَا فِي الْقُرْآنِ، وَيُسَمَّى أَيْضًا: التَّكْمِيلُ.

فائدته:

فائدة الاحتراس: دفع توهم ما ليس مرادًا من الكلام.

ومثال الإحتراس: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾.^٣

احترس سبحانه بقوله: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِسَبَبِ بَرَصٍ أَوْ مَرَضٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ

وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.^٤

احترس سبحانه بقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ عَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ عَنْ

قَصْدٍ مِنْهُمْ بَلْ مِنْ عَدْلِ سُلَيْمَانَ وَفَضْلِهِ وَفَضْلِ جُنُودِهِ لَا يَحْطِمُونَ نَمْلَةً فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِاللَّأَلِ يَشْعُرُوا.

فَإِنْ تَبَسَّمَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ سُرُورًا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَلَيْسَ غَضَبًا مِنْهَا، وَأَكَّدَ التَّبَسُّمَ

بِالضَّحِكِ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّ تَبَسُّمَهُ تَبَسُّمُ سُرُورٍ لَا تَبَسُّمُ الْعُضْبَانِ.^٥

١ - لسان العرب (٦ / ٤٨)

٢ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٤)

٣ - سُورَةُ النَّمْلِ: الْآيَةُ / ١٢

٤ - سُورَةُ النَّمْلِ: الْآيَةُ / ١٨

٥ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٤)



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مصطفي دياب

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^١.

اِحْتِرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عَنْ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ لِضَعْفِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَوْ اِقْتَصَرَ عَلَى وَصْفِهِمْ بِالذِّلَّةِ لَتَوَهَّم أَنَّ ذَلِكَ سَبَبُهُ الضَّعْفُ، فَلَمَّا ذَكَرَ عِزَّتَهُمْ عَلَى الْكَافِرِينَ عَلِمَ أَنَّهَا مِنْهُمْ تَوَاضُعٌ وَعَطْفٌ، وَلَيْسَ ضَعْفًا.^٢

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٣.
اِحْتِرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، مِنْ تَوْهَمِ أَنَّ يُمْكِنُ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مُعْتَرِضٌ إِذَا غَفَرَ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ، أَوْ عَفَا عَمَّنْ وَجِبَتْ لَهُ النَّارُ.

قال السيوطي: وَذُكِرَ فِي حِكْمَتِهِ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ حُكْمَهُ فَهُوَ الْعَزِيزُ أَيُّ الْعَالِبِ وَالْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ وَقَدْ يَخْفَى وَجْهُ الْحِكْمَةِ عَلَى بَعْضِ الضُّعَفَاءِ فِي بَعْضِ الْأَفْعَالِ فَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَكَانَ فِي الْوَصْفِ بِالْحَكِيمِ اِحْتِرَاسٌ حَسَنٌ أَيُّ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ فَلَا مُعْتَرِضَ عَلَيْكَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ وَالْحِكْمَةُ فِيمَا فَعَلْتَهُ.^٤

ومنه قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾. [المائدة: ١١٠]، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْكُهُولَةَ مَعَ أَنَّهُ لَا إِعْجَازَ فِيهِ لِأَنَّهُ كَانَ فِي الْعَادَةِ أَنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ أَنَّهُ لَا يَعِيشُ وَلَا يَتِمَادَى بِهِ الْعُمُرُ فَجُعِلَ الْاِحْتِرَاسُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَهْلًا﴾، لِذَلِكَ.^٥

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٥٤

٢ - انظر البرهان في علوم القرآن (٦٥ / ٣)

٣ - سورة المائدة: الآية / ١١٨

٤ - الإتيان في علوم القرآن (٣٥٢ / ٣)

٥ - البرهان في علوم القرآن (٦٧ / ٣)



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَعْضٌ عِلْمٍ﴾^١.

اخْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿بَعْضٌ عِلْمٍ﴾. عَنْ أَنَّ يَكُونُ ذَلِكَ عَنْ قَصْدٍ مِنْهُمْ وَبَيَانٍ أَهْمٌ لَا يَفْصِدُونَ ضَرَرَ مُسْلِمٍ^٢.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾^٣.
اخْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، قَطْعًا لِتَوْهَمِ اخْتِصَاصِ مُلْكِهِ بِالْبَلَدَةِ الْمَشَارِ إِلَيْهَا، بَلْ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَتَبْيِيْهَا عَلَى أَنْ الْإِضَافَةُ إِنَّمَا قَصَدَ بِهَا التَّشْرِيفَ لِهَذِهِ الْبَلَدَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^٤.
اخْتَرَسَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾. عَنْ تَوْهَمِ اسْتِغْنَائِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ لَا يَسْأَلُ جَزَاءً عَلَى الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا نَفَى أَنْ يَسْأَلَهُمْ مَالًا، وَالْمَالُ أَجْرٌ، فَجَاءَ بِجُمْلَةٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ اخْتِرَاسًا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾^٥.
قال الزركشي: لَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنْ مُوسَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّغْنَا لَهُ نَجِيًّا﴾. [مريم: ٥٢]، وَأَرَادَ أَنْ يُنْفِي سُبْحَانَهُ عَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَضَى لِمُوسَى فِيهِ الْأَمْرَ عَرَّفَ الْمَكَانَ بِالْغَرْبِيِّ وَلَمْ يَقُلْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْأَيْمَنِ كَمَا قَالَ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فَاخْتَرَسَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ أَنْ يُنْفِي

١ - سورة الفتح: الآية / ٢٥

٢ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٥)

٣ - سورة التمل: الآية / ٩١

٤ - سورة هود: الآية / ٢٩

٥ - سورة القصص: الآية / ٤٤



عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَكُونُ بِالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ أَوْ يَسْتَلِبُ عَنْهُ لَفْظًا مُشْتَقًّا مِنَ الْيَمَنِ، تَعْلِيمًا لِلْأُمَّةِ الْأَدَبِ فِي الْخُطَابِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^١

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.^٢

ربما يتوهم بعض الناس من قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾. أنهم صبروا لغرض دنيوي مثل المنصب أو الجاه أو المال أو حسن الثناء عند الناس فدفع الله تعالى هذا التوهم بقوله: ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾. ليبين أن صبرهم كان لله وابتغاء وجهه لا لشيء آخر.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيهَا أَهْأَرْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَهْأَرْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَهْأَرْ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَهْأَرْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [مُحَمَّد: ١٥]، فقوله تعالى: ﴿غَيْرِ آسِنٍ﴾ احتِراسٌ عَنْ يَكُونُ مَتَغَيَّرًا بِطُولِ الْمَكْتِ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ احتِراسٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ تَغْيِيرَ اللَّبَنِ لِطُولِ الْأَمَدِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مُصَفًّى﴾، احتِراسٌ عَنْ أَنْ تَتَحَلَّلَهُ أَقْدَاءٌ مِنْ بَقَايَا نَحْلِهِ.^٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، احتِراسٌ مِنْ تَوَهُمِ الْفَنَاءِ وَانْقِطَاعِ النِّعَمِ، لِأَنَّ جَمِيعَ اللَّذَاتِ فِي الدُّنْيَا مُعَرَّضَةٌ لِلزَّوَالِ وَذَلِكَ يُنْعِصُهَا عِنْدَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ.^٤

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُفَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١١١]، فَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾. احتِراسٌ أَي: يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ تَوَلِيَّةٌ مُنْهَزِمِينَ لَا تَوَلِيَّةٌ مُتَحَرِّفِينَ لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزِينَ إِلَى فِئَةٍ، أَوْ مُتَأَمِّلِينَ فِي الْأَمْرِ.^٥

١ - البرهان في علوم القرآن (٣ / ٦٦)

٢ - سورة الرعد: الآية / ٢٢

٣ - التحرير والتنوير (١ / ١٠٩)

٤ - التحرير والتنوير (١ / ٣٥٧)

٥ - التحرير والتنوير (٤ / ٥٤)



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾. [النحل: ٩٧]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، احْتِرَاسٌ لِدَفْعِ تَوْهَمِ أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يُغْنِي عَنِ الْإِيمَانِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. [يونس: ٣]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾. احْتِرَاسٌ مِنْ تَوْهَمِ الشَّفَاعَةِ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾. [يونس: ٩٢]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِبَدَنِكَ﴾، احْتِرَاسٌ مِنْ أَنْ يُظَنَّ الْمُرَادُ الْإِنجَاءَ مِنَ الْعَرَقِ، فَإِنَّ الْبَدَنَ يَطْلُقُ عَلَى الْجَسَدِ بِدُونِ رُوحٍ؛ وَالْمَعْنَى: نُنَجِّيكَ وَأَنْتَ جَسَدٌ لَا رُوحَ فِيهِ.^١



الإِعْتِرَاضُ:

مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ الْبَلَاغِيَّةِ الْإِعْتِرَاضُ، وَهُوَ مَا يَسْمِيهِ النَّحَاةُ بِالْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةَ.

تَعْرِيفُ الْإِعْتِرَاضِ:

الْإِعْتِرَاضُ لُغَةً: الْإِنْتِصَابُ وَالْمَنْعُ، وَاعْتَرَضَ الشَّيْءُ: صَارَ عَارِضًا كَالْخَشَبَةِ الْمُنْتَصِبَةِ فِي النَّهْرِ وَالطَّرِيقِ وَنَحْوَهَا تَمْنَعُ السَّالِكِينَ سُلُوكَهَا.^١

وَاصْطِلَاحًا: أَنْ يُؤْتَى فِي أَثْنَاءِ الْجُمْلَةِ بِكَلَامٍ فَاصِلٍ، يَبَيِّنُ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ بِدُونِهِ وَلَا يَفُوتُ بِفَوَاتِهِ لِنُكْتَةٍ.

وَقَالَ الْجَرَجَانِيُّ: هُوَ أَنْ يَأْتِيَ فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ، أَوْ بَيْنَ كَلَامَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ، مَعْنَى بِجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، لِنُكْتَةٍ سِوَى رَفْعِ الْإِبْهَامِ.^٢

وَقَالَ السِّيُوطِيُّ:^٣

..... *****
وَمِنْهُ الْإِعْتِرَاضُ

بِجُمْلَةٍ أَوْ فَوْقَ مَا هَا مَحَلُّ *****
بَيْنَ كَلَامٍ أَوْ كَلَامَيْنِ اتَّصَلَا

لِنُكْتَةٍ تُقْصَدُ كَالْتَنْزِيهِ *****
لَا دَفْعَ الْإِيْهَامِ وَكَالتَّنْبِيْهِ

وَكَالِدُعَا فِي قَوْلِهِ بَلَعْتُهُهَا *****
بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَمَا أَشْبَهَهَا

١ - انظر العين (١/ ٢٧٣)، لسان العرب (٧/ ١٦٨)

٢ - التعريفات (ص: ٣٠)، وانظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٦١٥)

٣ - عقود الجمان في علم المعاني والبيان (ص: ٧٢)



أَسْبَابُ الْإِعْتِرَاضِ:

لِلْإِعْتِرَاضِ أَسْبَابٌ مِنْهَا:

١ - التَّقْرِيرُ:

وَمِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا

سَارِقِينَ﴾^١.

فَجُمْلَةٌ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ تَقْرِيرُ إِثْبَاتِ الْبَرَاءَةِ مِنْ تَهْمَةِ السَّرِقَةِ.

وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَدْلَةً

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^٢.

فَجُمْلَةٌ: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهَا: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَدْلَةً﴾، وَقَوْلِهَا: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْإِعْتِرَاضِ: تَقْرِيرُ إِثْبَاتِ أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً مِنَ الْقَرْىِ خَرَبُوا مَبَانِيهَا،

وغيروا مغانبيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها وأهانوا أشرافها، وخطوا مراتبهم، فصاروا عند

ذلك أدلة، وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة، وتتفرق لهم في

قلوب الناس المهابة.

٢ - التَّنْزِيهُ:

وَمِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^٣.

١ - سورة يُوسُفَ: الآية/ ٧٣

٢ - سورة النَّملِ: الآية/ ٣٤، ٣٥

٣ - سورة النَّحلِ: الآية/ ٥٧



فَجُمْلَةٌ: ﴿سُبْحَانَهُ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، وَالْعَرَضُ مِنْهُ التَّنْزِيهُ وَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ الشَّنَاعَةُ عَلَى مَنْ جَعَلَ الْبَنَاتِ لِلَّهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^١.

فَجُمْلَةٌ: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، وَالْعَرَضُ مِنْهُ التَّنْزِيهُ وَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ التَّشْنِيعُ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَوَلَدًا.

٣ - التَّبَرُّكُ:

وَمِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^٢.

فَجُمْلَةٌ: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿آمِنِينَ﴾. وَفَائِدَةُ الِاعْتِرَاضِ هُنَا التَّبَرُّكُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^٣.

فَجُمْلَةٌ: فَجُمْلَةٌ: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿آمِنِينَ﴾. وَفَائِدَةُ الِاعْتِرَاضِ هُنَا التَّبَرُّكُ.

٤ - التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ:

وَمِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ الْجِنِّ: الْآيَةُ / ٣

٢ - سُورَةُ الْفَتْحِ: الْآيَةُ / ٢٧

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٩٩

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٧٢



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَاب

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾، وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾. وَالغرضُ مِنْهَا التَّهْدِيدُ بِهَتْكَ أَسْتَارِهِمْ، وَالْوَعِيدُ بِعِقَابِهِمْ. وَمِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^١.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، الغرضُ مِنْهَا التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ لِلْمُنَافِقِينَ، بَانَ حَالَهُمْ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قال ابن عاشور: وَقَوْلُهُ: وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ اغْتِرَاضٌ لِلتَّذْكِيرِ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ التَّمْثِيلُ لِحَالِ الْمُنَافِقِينَ فِي كُفْرِهِمْ لَا لِمَجَرَّدِ التَّفَنُّنِ فِي التَّمْثِيلِ^٢.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣.

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وَهِيَ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لَهُؤُلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٩

٢ - التحرير والتنوير (١/ ٣١٩)

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآية/ ٣٩، ٤٠



وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^١.

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾. وَهِيَ تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لَهُؤْلَاءِ الْكَافِرِ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعَلَى مَا يَتَصِفُونَ بِهِ مِنَ الْبُخْلِ وَكُتْمَانِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَتَصِفُونَ بِهِ مِنَ الرِّبَاءِ.

٥- بَيَانُ سَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ:

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^٢.

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. وَالغَايَةُ مِنْهُ بَيَانُ سَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٣.

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ

١ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٣٨

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٣٨

٣ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ٥٧



فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿١﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. والغاية منه بَيَانُ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦- تَمْجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى:

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾. ^١

فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَهُوَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ: ﴿اللَّهُ﴾، وَحَبْرِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. والغاية منه تَمْجِيدُ اللَّهِ تَعَالَى.

٧- الْمَدْحُ وَالشَّنَاءُ:

وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَرْغَبْ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ^٢. قال ابن عاشور: فقوله: وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى آخِرِهِ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ اصْطَفَيْنَاهُ وَبَيْنَ الظَّرْفِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾. ^٣

٨- التَّأْكِيدُ:

مثاله قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. ^٤

هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا اعْتِرَاضَانِ، الْأَوَّلُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْقَسَمِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾، وَجَوَابِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَظِيمٌ﴾.

١ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٨٧

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ١٣٠، ١٣١

٣ - التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (١/ ٧٢٦)

٤ - سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الْآيَةُ/ ٧٥ - ٨٠



والاعتراضُ الثاني: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ بَيْنَ: الصِّفَةِ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَظِيمٌ﴾، وَالْمَوْصُوفِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾.

وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِتْرَاضِ تَعْظِيمُ شَأْنِ مَا أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ مَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَتَأْكِيدُ إِجْلَالِهِ فِي النُّفُوسِ لَا سِيَّمَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَعًا﴾^١.

فَإِنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِنَّ وَاسْمِهَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وَخَبَرَهَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ.....﴾. وَفَائِدَةُ الْعِتْرَاضِ التَّأْكِيدُ.

٩- تَخْصِيبُ أَحَدِ الْمَذْكُورَيْنِ بِزِيَادَةِ التَّأْكِيدِ:

مِثَالُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^٢.

فَجَمَلُهُ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، وَبَيْنَ الْمَوْصَى بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

١ - سُورَةُ الْكُحُوفِ: الْآيَةُ / ٣٠، ٣١

٢ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الْآيَةُ / ١٤



وَفَائِدَةُ الْاِعْتِرَاضِ تَذَكِيرُ الْوَلَدِ بِمَا كَابَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي حَمَلِهِ وَفَصَالِهِ، فَذِكْرُ الْحَمْلِ وَالْفَصَالِ يُفِيدُ زِيَادَةَ التَّوَصِيَةِ بِالْأُمِّ؛ لِتَحْمُلِهَا مِنَ الْمَشَاقِّ وَالْمَتَاعِبِ فِي حَمْلِ الْوَلَدِ مَا لَا يَتَكَفَّلُهُ الْوَالِدُ.

١٠ - زِيَادَةُ الرَّدِّ عَلَى الْخِصْمِ:

مثاله قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^١.

فَجُمْلَةُ: ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، فِيهَا اِعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا﴾، وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾.

وَفَائِدَتُهُ: أَنَّ يُقَرَّرَ فِي أَنْفُسِ الْمُخَاطَبِينَ أَنَّ تَدَارُؤَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قَتْلِ تِلْكَ النَّفْسِ لَمْ يَكُنْ نَافِعًا لَهُمْ فِي إِحْفَائِهِ وَكِتْمَانِهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُظْهِرٌ لِدَلِكِ وَمُخْرِجُهُ وَلَوْ جَاءَ الْكَلَامُ خَالِيًا مِنْ هَذَا الْاِعْتِرَاضِ لَكَانَ تَقْدِيرُهُ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا...﴾.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

فَجُمْلَةُ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾، اِعْتِرَاضٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وَفَائِدَةُ الْاِعْتِرَاضِ هُنَا: تَفْنِيدُ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدُّ عَلَى اِفْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِادْعَائِهِمْ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَتَقْوَلُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٧٢، ٧٣

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١١١



وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.

فَجُمَلُهُ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ﴾ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ إِذَا الشَّرْطِيَّةِ وَفِعْلِ الشَّرْطِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾، وَجَوَابُهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَفَائِدَةُ الِاعْتِرَاضِ: الْجَوَابُ عَنْ دَعْوَاهُمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مُفْتَرٍ بِسَبَبِ نَسْخِ بَعْضِ الْآيَاتِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِلُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا هُوَ أَصْلَحُ لِخَلْقِهِ فِيمَا يُعَيِّرُ وَيُبَدِّلُ مِنْ أَحْكَامِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَدَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾^٢.

فَجُمَلُهُ: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾، اعْتِرَاضٌ بَيْنَ اسْمِ مَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْتَ﴾، وَخَبَرُهَا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

وَفَائِدَةُ الِاعْتِرَاضِ: الْجَوَابُ عَنْ دَعْوَاهُمْ وَافْتِرَائِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَصَفَ نَبِيَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْيِ الْكِهَانَةِ عَنْهُ وَالْمَجْنُونِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى قَرَنَ بِهَذِهِ الدَّعْوَى مَا يَكُونُ كَالدَّلَالَةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى صِحَّتِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى كَانَتْ ظَاهِرَةً فِي حَقِّهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ التَّامَّةِ وَالْعَقْلِ الْكَامِلِ وَالسَّبِيْرَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَالْبِرَاءَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَالِاتِّصَافِ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ النِّعَمُ مُحْسُوسَةً ظَاهِرَةً فَوْجُودُهَا يُنَافِي حُصُولَ الْمَجْنُونِ، فَاللَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ لِتَكُونَ جَارِيَةً مَجْرَى الدَّلَالَةِ الْيَقِينِيَّةِ عَلَى كَوْنِهِمْ كَاذِبِينَ فِي قَوْلِهِمْ لَهُ: إِنَّهُ كَاهِنٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ / ١٠١

٢ - سُورَةُ الطُّورِ: الْآيَةُ / ٢٩



المُدْرَجُ:

تعريف المُدْرَجِ:

المُدْرَجُ لغةً: بضم الميم وفتح الراء اسم مفعول من (أَدْرَجَ) يقال أَدْرَجَ إِدْرَاجًا، الدَّالُّ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُضَيِّ الشَّيْءِ، وعلى إِدْخَالِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ.

قال ابن منظور: أَدْرَجَ الْكِتَابَ فِي الْكِتَابِ: أَدْخَلَهُ وَجَعَلَهُ فِي دَرْجِهِ أَي فِي طَبَقِهِ. وَدَرَجُ الْكِتَابِ: طَبَقُهُ وَدَاخِلُهُ؛ وَفِي دَرَجِ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا. وَأَدْرَجَ الْمَيْتَ فِي الْكَفَنِ وَالْقَبْرِ: أَدْخَلَهُ.^١

واصطلاحًا: أَنْ تَجِيءَ الْكَلِمَةُ إِلَى جَنْبِ أُخْرَى كَأَنَّهَا فِي الظَّاهِرِ مَعَهَا وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُتَعَلِّقَةٍ بِهَا.^٢

وَهَذَا النَّوْعُ سُمِّيَ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ بِنَظِيرِ الْمُدْرَجِ مِنَ الْحَدِيثِ.^٣

أمثلة المُدْرَجِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ بَلْقَيْسَ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.^٤

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتْ بَلْقَيْسٌ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾، قَالَ الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

أَي: إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً مِنَ الْقُرَى خَرَّبُوا مَبَانِيهَا، وَغَيَّرُوا مَغَانِيهَا، وَأَتْلَفُوا أَمْوَالَهَا، وَفَرَّقُوا شَمْلَ أَهْلِهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً أَي: أَهَانُوا أَشْرَافَهَا، وَحَطُّوا مَرَاتِبَهُمْ، فَصَارُوا عِنْدَ ذَلِكَ أَذِلَّةً وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يَتَمَّ هُمُ الْمُلْكُ، وَتُسْتَحْكَمَ لَهُمُ الْوِطَاءُ وَتَتَقَرَّرَ لَهُمْ فِي قُلُوبِهِمُ الْمَهَابَةُ.

١ - لسان العرب (٢/ ٢٦٩)

٢ - البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٩٤)

٣ - المصدر السابق (٣/ ٢٩٤)

٤ - سورة النمل: الآية/ ٣٤



فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ يَفْعَلُونَ.

فجمله ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هي مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْ قَوْلِ بَلْقِيسَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

الْمُرْسَلُونَ﴾. ١. فجمله: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾. مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..

وجمله: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. مِنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ

وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّمَا يُجِيبُهُمْ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ.

وقولهم: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، لَا يَنْفِي عَدَابَهُمْ فِي قُبُورِهِمْ؛ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا

بَعَدَهُ فِي الشَّدَةِ كَالرُّقَادِ.

وقيل: ظُنُّوا لِاخْتِلَاطِ عُقُوبِهِمْ بِمَا شَاهَدُوا مِنْ الْهَوْلِ، وَمَا دَاخَلَهُمْ مِنَ الْفَزَعِ أَنَّهُمْ كَانُوا نِيَامًا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تُكَذِّبُونَ﴾. ٢.

فجمله: ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾. مِنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وجمله: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. مِنْ قَوْلِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مِنْ قَوْلِ

الْمَلَائِكَةِ، تَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّفْرِيعِ وَالتَّوْيِيحِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ

أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. ٣.

فجمله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾. مِنْ قَوْلِ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

فِرْعَوْنَ وَهُمْ جَلَسَاؤُهُ.

١ - سورة يس: الآية/ ٥٢

٢ - سورة الصافات: الآية/ ٢٠، ٢١

٣ - سورة الأعراف: الآية/ ١٠٩، ١١٠



القواعدُ المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفي دياب

وجملة: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. من كلام فرعون؛ بدليل ما بعده وهو: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾. قال المأذون ذلك جواباً لكلام فرعون حيث استشارهم، وطلب ما عندهم من الرأي.

ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ إِذْ صَالُوا النَّارَ﴾^١.

فجملة: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾. من كلام الملائكة الذين هم خزنة النار.

وجملة: ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾، من كلام قادة المشركين ورؤسائهم، بدليل ما بعده وهو: ﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئس القَرَارُ﴾^٢.

يقول ذلك الأتباع عند سماع ما قاله الرؤساء لهم بل أنتم لا مرحباً بكم، أي: لا كرامة لكم، ثم عللوا ذلك بقولهم: أنتم قدَّمتموه لنا أي: أنتم قدَّمتم العذاب وأوقعتمونا فيه، ودعوتمونا إليه بما كنتم تقولون لنا من أن الحق ما أنتم عليه، وأن الأنبياء غير صادقين فيما جاءوا به.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ. أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^٣.

فإن قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. من كلام أصحاب الأعراف، يخاطبون به رجالاً من صناديد المشركين وقادتهم، من أصحاب النار.

وقوله تعالى: ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. من كلام الله تعالى للكبراء والرؤساء من صناديد الكفار.

١ - سورة ص: الآية/ ٥٩

٢ - سورة ص: الآية/ ٦٠

٣ - سورة الأعراف: الآية/ ٤٨، ٤٩



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطفي دياب

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ اللَّهُ لِأَهْلِ التَّكْبُرِ وَالْأَمْوَالِ: ﴿أَهْوَلَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾، يَعْنِي أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.^١

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَتَدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّبِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.^٢

فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. مِنْ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ لِأَصْحَابِهِ وَجُلَسَائِهِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾. مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْنَاهُ: لِمِثْلِ هَذَا النَّعِيمِ وَهَذَا الْفَوْزِ فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ فِي الدُّنْيَا، لِيَصِيرُوا إِلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.^٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.^٤

فَإِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾. مِنْ كَلَامِ الْمُشْرِكِينَ يَعْتَرِضُونَ بِذَلِكَ عَلَى أَحْكَامِ اللَّهِ فِي شَرْعِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى رَدًّا عَلَيْهِمْ، فِيمَا قَالُوهُ مِنْ الْإِعْتِرَاضِ، عَلَى الشَّرْعِ.

١ - تفسير الطبري (١٠ / ٢٣٢)

٢ - سورة الصافات: الآيات / ٥٠ : ٦١

٣ - تفسير الطبري (٢٣ / ٤٠)

٤ - سورة البقرة: الآية / ٢٧٥



قال الشوكاني: جعلوا البيع والربا شيئاً واحداً، وإنما شَبَّهوا البيع بالربا مُبالغةً يجعلهم الربا أصلاً والبيع فرعاً، أي: إنما البيع بلا زيادةٍ عند حُلُولِ الأجلِ كالبيع بزيادةٍ عند حُلُولِهِ، فإنَّ العَرَبَ كانت لا تعرفُ رباً إلا ذلك، فردَّ الله سبحانه عليهم بقوله: وأحلَّ الله البيعَ وحرَّم الربا أي أنَّ الله أحلَّ البيعَ وحرَّم نوعاً من أنواعه، وهو البيعُ المُشتمِلُ على الربا.^١

ومنه قوله تعالى: ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً ولدار الآخرة خيراً ولنعم دار المتقين﴾.^٢

فإنَّ قوله تعالى: ﴿خيراً﴾. من كلام الذين اتقوا لما سئلوا ﴿ماذا أنزل ربكم﴾. أي: أنزل خيراً، أي: رحمةً وبركةً وحسناً لمن اتبعه وآمن به.^٣

وقوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً ولدار الآخرة خيراً ولنعم دار المتقين﴾. [النحل: ٣٠]، قال القرطبي: قيل: هو من كلام الله عزَّ وجلَّ.^٤

﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً﴾. أي: للذين عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص حسنةً عظيمةً وهي الجنة، وأنَّ دار الآخرة خيراً من الحياة الدنيا، والجزاء فيها أتمُّ من الجزاء في الدنيا.

١ - فتح القدير للشوكاني (١ / ٣٣٩)

٢ - سورة النحل: الآية / ٣٠

٣ - تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦٨)

٤ - تفسير القرطبي (١٠ / ١٠٠)



صَرْبُ الْأَمْثَالِ:

تَعْرِيفُ الْمَثَلِ:

الْمَثَلُ لُغَةً: الشَّيْءُ الَّذِي يُضْرَبُ لِشَيْءٍ مِثْلًا فَيَجْعَلُ مِثْلَهُ.^١

قَالَ الزَّخَشَرِيُّ: الْمَثَلُ فِي الْأَصْلِ بِمَعْنَى الْمِثْلِ أَي النَّظِيرِ يُقَالُ: مَثَلٌ وَمِثْلٌ وَمِثِيلٌ، كَشَبَهُ وَشَبَّهُ وَشَبِيهِ، وَيُسْتَعَارُ لِلْحَالِ أَوْ الصِّفَةِ أَوْ الْقِصَّةِ إِذَا كَانَ لَهَا شَأْنٌ وَفِيهَا غَرَابَةٌ.^٢

وقيل: المثلُّ عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره.

واصطلاحاً: القول السائر الممثل بمضربه وبمورده.^٣

فَوَائِدُ تَعْلَمُ أَمْثَالَ الْقُرْآنِ:

لا شك أن علم أمثال القرآن من أجل العلوم وأشرفها، فبتعلمه يُفهم عن الله تعالى مراده، وُمَثَّلُ أوامره، وُجُتَنَّبُ نواهيه.

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ عِلْمُ أَمْثَالِهِ وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ لِاشْتِغَالِهِمْ بِالْأَمْثَالِ وَإِعْغَابِهِمْ الْمُمَثَّلَاتِ وَالْمَثَلُ بِلَا مُمَثِّلٍ كَالْفَرَسِ بِلَا لِحَامٍ وَالنَّاقَةِ بِلَا زَمَامٍ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ مَثَلًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَمْ أَفْهَمْهُ بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾.^٤

١ - لسان العرب انظر مادة "مثل" (٦١١ / ١١)

٢ - تفسير الزخشي (٧٢ / ١)

٣ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١٤٤٩ / ٢)

٤ - سورة العنكبوت: الآية/ ٤٣



وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ: مَا مَرَرْتُ بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا أَعْرِفُهَا إِلَّا أَحْزَنِي، لِأَيِّ سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [الْعنكبوت: ٤٣].^١

وَقَدْ عَدَّهُ الشَّافِعِيُّ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ثُمَّ مَعْرِفَةُ مَا ضَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَمْثَالِ الدَّوَالِّ عَلَى طَاعَتِهِ، الْمُثَبَّةِ لِاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ، وَتَرْكِ الْغَفْلَةِ عَنِ الْحِفْظِ وَالْإِزْدِيَادِ مِنْ نَوَافِلِ الْفَضْلِ.

ومن فوائده كذلك تحصيل ملكة البيان، وتعلم أسلوب من أساليب البلاغة القرآنية.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: وَمِنْ حِكْمَتِهِ تَعْلِيمُ الْبَيَانِ وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَالْمَثَلُ أَعْوَنُ شَيْءٍ عَلَى الْبَيَانِ.

فائدة ضرب الأمثال في القرآن:

الْمَثَلُ يُقَرِّبُ الْمَعْنَى إِلَى الْأَذْهَانِ، لِأَنَّهُ يُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ فَتَكُونُ أَتْبَثُ فِي الْأَذْهَانِ، وَيَشْبِهُ الْحَقِيَّ بِالْجَلِيِّ وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ، وَيُقَرِّبُ الْمُرَادَ لِلْعَقْلِ وَيُصَوِّرُهُ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ غَرِيبٌ فِي السَّمْعِ، وَوَقَعَ عَجِيبٌ عَلَى النَّفْسِ.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: ضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْقُرْآنِ يُسْتَفَادُ مِنْهُ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ: التَّذْكِيرُ وَالْوَعْظُ وَالْحَثُّ وَالرَّجْرُ وَالْإِعْتِبَارُ وَالْتَفْرِيرُ وَتَقْرِيبُ الْمُرَادِ لِلْعَقْلِ وَتَصْوِيرُهُ بِصُورَةِ الْمَحْسُوسِ فَإِنَّ الْأَمْثَالَ تُصَوِّرُ الْمَعَانِيَ بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ لِأَنَّهَا أَتْبَثُ فِي الْأَذْهَانِ.^٢

وَفِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ مِنْ تَقْرِيبِ الْمَقْصُودِ مَا لَا يُحْفَى، إِذِ الْعَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْحَقِيَّ بِالْجَلِيِّ، وَالشَّاهِدَ بِالْغَائِبِ، فَالْمَرْغَبُ فِي الْإِيمَانِ مَثَلًا إِذَا مُثِّلَ لَهُ بِالنُّورِ تَأَكَّدَ فِي قَلْبِهِ الْمَقْصُودُ، وَالْمَرْهَدُ فِي الْكُفْرِ إِذَا مُثِّلَ لَهُ بِالظُّلْمَةِ تَأَكَّدَ قُبْحُهُ فِي نَفْسِهِ.

١ - تفسير ابن كثير (٦/ ٢٨٠)

٢ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٦، ٤٨٧)



وَقَالَ الرَّزْكَشِيُّ أَيضًا: الْعَرَضُ مِنَ الْمَثَلِ تَشْبِيهُ الْحَفِيِّ بِالْجَلِيِّ وَالشَّاهِدِ بِالْعَائِبِ فَالْمُرْعَبُ فِي الْإِيمَانِ مَثَلًا إِذَا مُتَّلَّ لَهُ بِالنُّورِ تَأَكَّدَ فِي قَلْبِهِ الْمَقْصُودُ وَالْمُرْهَدُ فِي الْكُفْرِ إِذَا مُتَّلَّ لَهُ بِالظُّلْمَةِ تَأَكَّدَ قُبْحُهُ فِي نَفْسِهِ.^١

قَالَ الرَّزْكَشِيُّ: التَّمَثِيلُ إِتْمَا يُصَارُ إِلَيْهِ لِكَشْفِ الْمَعَانِي وَإِدْنَاءِ الْمُتَوَهَّمِ مِنَ الْمُشَاهِدِ فَإِنْ كَانَ الْمُتَمَثَّلُ لَهُ عَظِيمًا كَانَ الْمُتَمَثِّلُ بِهِ مِثْلَهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيرًا كَانَ الْمُتَمَثِّلُ بِهِ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْعِظَمُ وَالْحَقَارَةُ فِي الْمَضْرُوبِ بِهِ الْمَثَلُ إِلَّا بِأَمْرِ اسْتِدْعَتْهُ حَالُ الْمُتَمَثِّلِ لَهُ أَلَّا تَرَى أَنَّ الْحَقَّ لَمَّا كَانَ وَاضِحًا جَلِيًّا تُمَثَّلُ لَهُ بِالضِّيَاءِ وَالنُّورِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَمَّا كَانَ بِضِدِّهِ تُمَثَّلُ لَهُ بِالظُّلْمَةِ وَكَذَلِكَ جُعِلَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ مَثَلًا فِي الْوَهْنِ وَالضَّعْفِ.^٢

الأمثال في القرآنِ قِسْمَانِ:

الأمثال في القرآنِ تنقسم إلى قِسْمَيْنِ:

الأول: ظاهرٌ مُصْرَحٌ بِالْمَثَلِ فِي الْآيَاتِ.

والثاني: كامنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِي الْآيَاتِ.

مِثَالُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.^٣

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٨)

٢ - تفسير الزمخشري (١/ ١١١)

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٧ : ٢٠



شبه الله سبحانه المنافقين في اشتراطهم الضلالة بالهدى، وتفضيلهم العمى على البصيرة ، بمن اوقد نارا، فلما اضاءت ما حوله وانتفع بها وابصر بها ما عن يمينه وشماله، وانس بها ثم اطفئت ناره فجاءه، فصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك اصم لا يسمع، اباكم لا ينطق، اعمى لا يبصر لو كان في ضياء؛ فلهدا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى، واستحبابهم العمى بدلا من الرشد.

وهذا مثل آخر ضربه الله تعالى لصنف آخر من المنافقين، وهم قوم يظهروهم الحق تارة، ويشكون تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم كالمطر الذي ينزل من السماء في الظلمات، وهي الشكوك والكفر والنفاق ويصاحب ذلك رعد وهو الرعب الذي يزعج القلوب وبرق هو نور الإيمان الذي يلمع في قلوب هؤلاء المنافقين في بعض الأحيان.

إنما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسا أمواتا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به وانتفعوا به.^١

ومثال ذلك أيضا قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^٢.

هذا مثل ضربه الله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وللذين كفروا ولما هم فيه من الكفر والضلال ولعدم استجابتهم لداعي الله، بأنهم كالذباب السارحة التي إذا نعت بها راعيها،

١ - إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ١١٦)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٧١



أَي: دَعَاهَا إِلَى مَا يُرِيدُهَا لَا تَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَهُ وَنِدَاءَهُ، فَلَا تَفْقَهُ مَا يَقُولُ وَلَا تَفْهَمُ مَا يُرِيدُ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَقَطْ، كَأَنَّ مَنْ يُحَاطِبُهُمْ يُنَادِيهِمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُ، فإدراكهم مجرد الدعاءِ والنداءِ كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق، والمعنى ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به.

ومثال ذلك أيضًا قولُ الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^١.
هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ لِمَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَكَانَتْ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَنْشَرَ بِهَا صَدْرَهُ، تُضَاعَفُ لَهُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ.

والمعنى مثلُ الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ كَمَثَلِ زَارِعٍ زَرَعَ فِي الْأَرْضِ حَبَّةً فَأَخْرَجَتْ الْحَبَّةُ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ، فَشَبَّهَ الْمُتَصَدِّقَ بِالزَّارِعِ وَشَبَّهَ الصَّدَقَةَ بِالْبِدْرَةِ فَيُعْطِيهِ اللَّهُ بِكُلِّ صَدَقَةٍ لَهُ سَبْعِمِائَةَ حَسَنَةٍ، وَيُضَاعِفُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ عَلَى سَبْعِمِائَةٍ، فَيَكُونُ مَثَلُ الْمُتَصَدِّقِ مَثَلِ الزَّارِعِ، إِنْ كَانَ حَازِقًا فِي عَمَلِهِ، وَيَكُونُ الْبَدْرُ جَيِّدًا وَتَكُونُ الْأَرْضُ عَامِرَةً يَكُونُ الزَّرْعُ أَكْثَرَ، فَكَذَلِكَ الْمُتَصَدِّقُ إِذَا كَانَ صَالِحًا وَالْمَالُ طَيِّبًا وَيَضَعُهُ مَوْضِعَهُ فَيَصِيرُ الثَّوَابُ أَكْثَرَ.

وَهَذَا الْمَثَلُ أْبْلَغُ فِي النُّفُوسِ، مِنْ ذِكْرِ عَدَدِ السَّبْعِمِائَةِ، فَإِنَّ هَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ يُنَمِّيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَصْحَابِهَا، كَمَا يُنَمِّي الزَّرْعَ لِمَنْ بَدَرَهُ فِي الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ.

ومثال ذلك أيضًا قولُ الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^٢.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٦١

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٦٥



هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا يَبْتَغُونَ
بِذَلِكَ رِضَى اللهِ تَعَالَى عَنْهُمْ وَهُمْ مُتَحَقِّقُونَ يَقِينًا أَنَّ اللهُ سَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجُزَاءِ، كَمَثَلِ
بُسْتَانٍ بِمَكَانٍ مُسْتَوِيٍّ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ تَجْرِي فِيهِ الْأَنْهَارُ.

أَصَابَ هَذَا الْبُسْتَانَ مَطَرٌ شَدِيدٌ فَتَضَاعَفَتْ ثَمَرُهُ ضِعْفَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبُسَاتِينِ وَإِذَا
أَصَابَهُ طَلٌّ وَمَطَرٌ يَسِيرٌ وَلَوْ كَانَ رَدَاذًا كَانَ فِيهِ كِفَايَةُ هَذَا الْبُسْتَانِ فَهُوَ لَا يَمْحُلُ وَلَا يَبْسُ أَبَدًا،
وَكَذَلِكَ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ لَا يَبُورُ أَبَدًا، بَلْ يَتَقَبَّلُهُ اللهُ وَيُكَثِّرُهُ لَهُ وَيُؤَمِّنِيهِ، بِحَسَبِ كُلِّ عَامِلٍ وَهُوَ
سَبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ عِبَادِهِ.

ومثال ذلك أيضًا قولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ
بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^١.

هذا مثل يضربه الله تعالى للمشركين مع أصنامهم ومعبوداتهم التي يعبدونها من دون الله
تعالى، فيخبر عز وجل أن حال هؤلاء الوثنيين المشركين في دعائهم لتلك الأصنام التي لا تسمع
ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ولا تغني عن عبادها شيئًا كحال العطشان الذي يريد الماء من
بعيدٍ فيُشِيرُ إِلَى الْمَاءِ بِكَفَيْهِ كهيئة المنادي، وَيَدْعُوهُ بِلِسَانِهِ مُنَادِيًا فَلَا يَأْتِيهِ أَبَدًا وَلَا يَسْتَجِيبُ لَهُ،
وهذا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ.

وقيل مثل المشركين مع أصنامهم في عدم فائدة دُعَائِهِمْ لِأَلِهَتِهِمْ كَالْعَطْشَانِ إِذَا بَسَطَ كَفَيْهِ إِلَى
الْمَاءِ نَاشِرًا أَصَابِعَهُ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ مَا لَمْ يَعْرِفْ بِهِمَا الْمَاءَ، وَلَا يَبْلُغُ الْمَاءُ فَاهُ مَا دَامَ كَذَلِكَ، فَلَا
يَبْلُغُ مَطْلُوبَهُ مِنْ شُرْبِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ فِيهِمَا شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقيل الَّذِينَ يَدْعُونَ الْأَصْنَامَ وَيَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَنْفَعُهُمْ دُعَاؤُهَا، وَلَا تَغْنِي عَنْهُمْ
اسْتِغَاثَتُهُمْ بِهَا فَهِيَ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، كَمَثَلِ الْعَطْشَانِ الْجَالِسِ عَلَى شَفِيرِ الْبَيْتِ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى

١ - سورة الرعد: الآية/ ١٤



القواعدُ المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مضافي دياب

البئرِ فلا تصل يده إلى الماءِ في قعرِ البئرِ ولا يرفعُ إليه الماءُ، فلا ينفعُهُ بسطُ الكفِّ إلى الماءِ ودَعَاؤُهُ لَهُ، وَلَا هُوَ يَبْلُغُ فَاهُ، وهذا معنى قولِ عليٍّ وعطاءٍ.

وقيل: الذين يدعون الأصنام ويعبدونها من دون الله لا ينفعهم دَعَاؤُهَا كَقَابِضِ يَدِهِ عَلَى الْمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

فإيَّ وإيَّاكُمْ وشوقًا إليكم ***** كقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسْقِهِ أَنَامِلُهُ
وكما قال الآخرُ:

فأصَبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ***** مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ

فهذا مثل عظيم ضربه الله لبيان حَيْبَةِ الْكُفَّارِ مع أصنامهم، فالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ جَمَادَاتٌ، لَا تَشْعُرُ بِدُعَائِهِمْ وَلَا تَسْتَطِيعُ إِجَابَتَهُمْ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِمْ وَلَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا يَطْلُبُونَهُ إِلَّا اسْتِجَابَةً كَاسْتِجَابَةِ بَاسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ، وَالْمَاءُ جَمَادٌ لَا يَشْعُرُ بِسِطِّ كَفَيْهِ وَلَا بِعَطْشِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهُ وَيَبْلُغَ فَاهُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ أَوْثَانًا، لَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا أَبَدًا لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

ومثال ذلك أيضًا قولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

هَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، فَالْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ هُوَ الْكَافِرُ الْمَحْرُومُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، وَلَيْسَ لَهُ أَجْرٌ وَلَا جِزَاءٌ وَلَا مَثُوبَةٌ، وَالَّذِي رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا،

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٥، ٧٦



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَاب

فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا، هُوَ الْمُؤْمِنُ، قد انتفع بطاعته لله وَعُبُودِيَّتِهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، مع ما أعدّه الله تعالى له فِي الآخِرَةِ الأَجْرَ وَالْجَزَاءَ وَالمَثُوبَةَ، فهما لَا يَسْتَوِيَانِ فِي الرُّتْبَةِ وَالشَّرَفِ، ولا فِي الأَجْرِ وَالْجَزَاءِ.

وَلَمَّا كَانَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَاضِحًا وَالمِثْلَ ظَاهِرًا لَا يَجْهَلُهُ إِلَّا غَيِّيٌّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ومثال ذلك أيضًا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

وَهَذَا مِثْلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِبَيَانِ ضَلَالِ الْمُشْرِكِينَ وَفسادِ عقولهم، الذين يساؤون بين الخالق القادر القاهر والأصنام التي لَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَكَمَا لَا يَسْتَوِي عِنْدَكُمْ فَهَذَا مِثْلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلوثن الذي لَا يُبْصِرُ وَلَا يَسْمَعُ، وَهُوَ أَبْكَمٌ لَا يَتَكَلَّمُ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَاجِزٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِثْلًا بِرَجُلٍ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَعَاجِزٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَلَّةٌ عَلَى مَوْلَاهُ، كَلَمَا كَلَفَهُ بِعَمَلٍ لَا يَعْمَلُهُ، وَإِذَا عَمَلَهُ لَا يَحْسِنُهُ بَلْ يَفْسُدُهُ، وَرَجُلٌ آخِرٌ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، وَأَقْوَلُهُ حَقٌّ وَأَفْعَالُهُ مُسْتَقِيمَةٌ، يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَالأولُ إِشَارَةٌ لِلوثنِ وَالثاني إِشَارَةٌ لِلْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَا فِي ضَعْفِهِ وَفَقْرِهِ وَعَجْزِهِ، مَعَ اللهِ تَعَالَى فِي قُوَّتِهِ وَغِنَاهُ وَقُدْرَتِهِ وَكَمَالِهِ؟

ومثال ذلك أيضًا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾^٢.

١ - سورة النحل: الآية/ ٧٦

٢ - سورة إبراهيم: الآيات/ ٢٤ - ٢٦



لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء، ضرب مثلا يبين فيه حكم الصنفين المثل الأول: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ وهي شَهَادَةٌ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) إشارة إلى الرسالة الخالدة رسالة التوحيد، رسالة الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وأن هذه الرسالة في صفائها ونقاها، ورسوخها وثباتها، وشموخها واستعلائها، وعموم نفعها للخلق جميعاً، كشَجَرَةِ طَيِّبَةِ الْمَنْظَرِ وَالصُّورَةِ وَالشَّكْلِ، وهي كذلك طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ، وَطَيِّبَةُ الثَّمَرِ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، وهذه الشجرة أيضاً أصلها ثَابِتٌ رَاسِخٌ، لا تززعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان، تطل على الشر والظلم والطغيان من علو، وهي في علوها بعيدة عن عُفُونَاتِ الْأَرْضِ، صَافِيَةٌ مِنَ الْأَكْدَارِ وَالشَّوَائِبِ، ﴿وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، فهي رسالة سماوية الأصل، ربانية المصدر، صافية المنبع، لم تكدرها الفلسفات، ولم تغيرها النظم الوضعية، وهي كذلك دائمة الخير، ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فخيرها لا ينقطع فكما أن هذه الشجرة لا ينقطع ثمرها، فكذلك هذه الرسالة العظيمة لا ينقطع خيرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولا يزال أمرها في ازدياد، حتى تبلغ مشارق الأرض ومغاربها، وحتى تدخل كل مصر، وحتى يبلغ نور هذه الرسالة كل بيت.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، المراد بِالْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ، إشارة للشرك بالله تعالى، فَالشَّرْكُ خَبِيثٌ كَالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ التي لا نفع فيها، ولا فائدة لها، والشرك لا نماء له ولا روح فيه وكذلك الشجرة الخبيثة لا نماء لها ولا روح فيها.

﴿اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، والكلمة الخبيثة قد يكون لها قعقة أحياناً، وقد تملء الدنيا ضجيجاً، ولكنها سرعان ما تحبو وتنطفئ جذوتها، وتسكت فلا يسمع لها صوت، وكذلك الشجرة الخبيثة قد تهيح وتعالى وتنفس وتتشابك، وسرعن ما تدبل وتضمصر ويضمحل ونزوي كأنها ما كانت، والكلمة الخبيثة ليس لها أصل، ولا تستند إلى قوة، ولا تصدر عن ثقة، لا تنتظر إلا عاصفة الإيمان لتزول من مكانها، وكذلك الشجرة الخبيثة ليس لها جذور



تضرب في الأرض، ولا ثبات لها، ولا رسوخ فيها، ويخيل إلى بعض الناس أنها لا يمكن اقتلاعها، وهي أضعف ما تكون، لا تثبت أمام أدنى ربح.

ومثال ذلك أيضاً قولُ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^١.

هذا مثلٌ ضربه الله تعالى للأصنام وللمشركين مُنبِّهاً على حَقارة هذه الأصنام وعجزها وعلى سَخافة عقول عابديها.

فهذه الأصنام وصفها الله تعالى بوصفين ظاهرين الأول: أنها عاجزةٌ عن خلق أصغر مخلوقٍ وأحقر شيءٍ في نظرهم وهو الذباب، ولو اجتمعت كل آهنتهم المزعومة من أصنام وأوثان، ومن أشخاص عبدوا من دون الله ومن وقيم ومبادئ، وأوضاع، يستنصرون بها من دون الله، ويستعينون بقوتها، ويستغيثون بها ويطلبون منها النصر والغيث، والحفظ وغير ذلك، كل هؤلاء مجتمعين «لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ».

والوصف الثاني: أن هذه الأصنام عاجزة عن دفع الأذى عن نفسها ولو كان الأذى من أضعف مخلوق، ولو سلَبها الذبابُ شيئاً ثمَّ أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك، فكيف يُرجى منها النفع، وكيف يُخشى منها الضرر، ولا نفع عندها ولا ضرر.

والذبابُ مِنْ أضعفِ مخلوقاتِ الله وأحقرها، والأوثان أضعفُ من الذبابِ وأحقر، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ضعفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾.

ومثال ذلك أيضاً قولُ الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ

١ - سورة الحج: الآية/ ٧٣



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

وَلَا غَرِيْبَةٌ يَكَادُ رَبُّهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^١.

هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنوره في قلب المؤمن، وقد أخبرنا الله تعالى أنه هو نور السموات والأرض، فمن صفاته تعالى أنه نورٌ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد، أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وأخرت، وأسررت وأعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»^٢.

وهو سبحانه وتعالى هادي أهل السموات والأرض، وهو النور الذي يهتدي به الخلق جميعاً، فالكل مفتقر إلى هدايته، والكل يحتاج لنوره، والله عز وجل جعل القرآن العظيم نوراً يستضاء به من ظلمات الكفر وغياب الجهل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾^٣.

وبعث إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم، نوراً، يهدي الله تعالى به من الجهالة، ويصير به من العمى، ويخرج العباد به من الظلمات إلى النور، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^٤.

١ - سورة النور: الآية/ ٣٥

٢ - رواه البخاري - كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، حديث رقم: ١١٢٠، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم: ٧٦٩

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٧٤

٤ - سورة المائدة: الآية/ ١٥



فهو سبحانه نور، وحجابه النور، وكتابه نور، ورسوله نور، فكيف يضل من آمن به، وكيف يضل من اتبع كتابه، وكيف يضل من اقتدى برسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أَي: مَثَلُ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ النُّورُ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُ. ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وَالْمِشْكَاةُ: كُوَّةٌ فِي الْبَيْتِ لَا مَنَفَذَ لَهَا، هَذِهِ الْكُوَّةُ فِيهَا مِصْبَاحٌ وَهُوَ السِّرَاجُ.

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾، هَذَا الضَّوُّ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ صَافِيَةٍ. ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾، هَذِهِ الزُّجَاجَةُ فِي صَفَائِهَا كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ مِنَ الدُّرِّ مُضِيءٌ يَتَلَأَلُ نُورُهُ.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، هَذَا الْمِصْبَاحُ الْمُضِيءُ يَسْتَمِدُّ نُورَهُ مِنْ زَيْتِ شَجَرَةٍ مِنَ الزَّيْتُونِ مُبَارَكَةٍ، بَارَكَ اللَّهُ فِي أَغْصَانِهَا، وَأَوْرَاقِهَا، وَثَمَارِهَا.

﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، فِي مَكَانٍ وَسَطٍ، فَلَا يُظْلِمُهَا جَبَلٌ، وَلَا يَوَارِيهَا عَنِ الشَّمْسِ شَجَرٌ، وَلَا يَكْنُهَا كَهْفٌ، وَلَا يُوَارِيهَا شَيْءٌ، تَصِيبُهَا الشَّمْسُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، فَيَجِيءُ زَيْتُهَا مُعْتَدِلًا صَافِيًا مُشْرِقًا.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، زَيْتُهَا فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ وَالنَّقَاءِ، يَكَادُ زَيْتُهَا لَصَفَاءَهُ أَنْ يُضِيءَ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾، فَالْمِشْكَاةُ تَعَكْسُ النُّورَ وَتَرْبِدُهُ، وَالْمِصْبَاحُ مَشْرِقُ بَنُورِهِ، وَالزُّجَاجَةُ مَنِيرَةٌ لَصَفَائِهَا، وَزَيْتُ الْمِصْبَاحِ يَكَادُ أَنْ يُضِيءَ لَصَفَائِهِ.

وهكذا نور الله تعالى في قلب المؤمن، يغمره ويغشاه، فكلامه نُورٌ، وَعَمَلُهُ نُورٌ، وَمَدْخَلُهُ نُورٌ، وَمَخْرَجُهُ نُورٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى النُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، يُوقِفُ اللَّهُ إِلَى هِدَايَتِهِ مَنْ يَخْتَارُهُ وَيصْطَفِيهِ وَيُجِبُهُ.



﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَمَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْهُدَايَةَ فَيَسِّرُ لَهُ أَسْبَابَهَا، وَمَنْ يَرْضَى بِالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ.

ومثال ذلك أيضًا قولُ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لبيبي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحابٌ ظلّمتُ بعضها فوقَ بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعلِ اللهُ له نورًا فما له من نورٍ﴾^١.

فَسَمَّ اللهُ تَعَالَى الْكُفَّارَ فِي هَذَيْنِ الْمَثَلَيْنِ إِلَى قِسْمَيْنِ: دَاعِيَةٌ وَمُقَلِّدٌ، فَضَرَبَ مَثَلَ الْعُبَادِ مِنَ الْكُفَّارِ، الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، يُخْبِرُنَا اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَعْمَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ تَعَالَى مِثْلَهَا كَمِثْلِ السَّرَابِ الَّذِي يَرَى فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ كَأَنَّهُ مَاءٌ، فَإِذَا رَأَى الظَّمَانُ هَذَا السَّرَابَ، حَسِبَهُ مَاءً فَاسْتَبَشَرَ وَقَصَدَهُ لِيَشْرَبَ مِنْهُ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ يُحْسِبُ أَنَّه قَدْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، وَأَنَّهُ سَيَجْزِي عَلَى صَالِحِ عَمَلِهِ هَذَا، فَإِذَا وَافَى اللهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَاسِبَهُ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَسَأَلَهُ عَلَى أَفْعَالِهِ، لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ قَدْ قُبِلَ، لِعَدَمِ إِخْلَاصِهِ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَلِعَدَمِ سُبُلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا، وَهُمَا شَرْطَانِ فِي صِحَّةِ كُلِّ عِبَادَةٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^٢.

وَقَالَ فَضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أَخْلَصُهُ وَأَصَوَّبُهُ. قِيلَ يَا أَبَا عَلِيٍّ: مَا أَخْلَصُهُ وَأَصَوَّبُهُ؟

١ - سورة النور: الآية/ ٣٩، ٤٠،

٢ - سورة المُلْك: الآية/ ٢



قال: العَمَلُ لَا يُقْبَلُ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، الْخَالِصُ: إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ^١.

وقد قال تعالى عن أَعْمَالِ الْكُفَّارِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^٢.
فَإِذَا وَافَى اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ قَدْ قُبِلَ، ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْعُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ، كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَّا تَرُدُّونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ»^٣.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ.....﴾^٤.

وَهَذَا الْمَثَلُ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِذَوِي الْجَهْلِ الْبَسِيطِ، الصَّمِّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، الْمُقَلِّدُونَ لِأَيْمَةِ الْكُفْرِ، فَهَؤُلَاءِ مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ إِنْسَانٍ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ جَدًّا هَذَا الْبَحْرِ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ ثَلَاثٌ، ظُلْمَةُ الْمَوْجِ الَّذِي فِي قَاعِ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةُ الْمَوْجِ الَّذِي عَلَى

١ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٠٥)

٢ - سورة الفرقان: الآية/ ٢٣

٣ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، حديث رقم: ٤٥٨١،

ومسلم- كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: ١٨٣

٤ - سورة النور: الآية/ ٤٠



القواعدُ المُثَلَّى لِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابِ

سطح البحر، وظلمة السحاب الذي يحجب شعاع الشمس، فهي ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أُحْرَجَ هَذَا الْإِنْسَانُ يَدُهُ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا مِنْ شِدَّةِ هَذَا الظَّلَامِ، وكذلك حاله في الدنيا، لما ابتعد عن نور الله تعالى الذي لا يكون إلا بالإيمان به تعالى صار يتخبط في ظُلُمَاتِ الكفر، فَكَلَامُهُ ظُلْمَةٌ، وَسَمْعُهُ ظُلْمَةٌ، وَبَصَرُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الظُّلُمَاتِ فِي النَّارِ، لِأَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾^١.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾، مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْهَالِكُ الْخَاسِرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾^٢.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾^٣.
ومن ذلك أيضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحُ مَاءً غُورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٩٧

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١٨٦

٣ - سورة الإسراء: الآية/ ٩٧



وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١﴾

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَيَانِ أَنَّ الْكَافِرَ لَا عَاصِمَ لَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا نَاصِرَ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، مَهْمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْغِنَى وَقُوَّةِ الْمُنْعَةِ، وَهُوَ مَثَلٌ لِرَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنٌ عَابِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْآخَرُ كَافِرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، الدُّنْيَا أَكْثَرُ هَمِّهِ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ، جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَحَدِهِمَا وَهُوَ الْكَافِرُ جَنَّتَيْنِ، وَمِنْ أَعْنَابٍ أَيْ: مِنْ كُرُومٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَ أَحَاطَهُمَا بِنَخْلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِمَا وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَسَطَ الْجَنَّتَيْنِ زَرْعًا، لِتَكُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ جَامِعَةً لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْفَوَاكِهِ، وَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَنَّتَيْنِ تُؤَدِّي ثَمَارَهَا كَامِلَةً لَا يَنْقُصُ مِنْ ثَمَارِهَا شَيْءٌ، وَأَجْرَى اللَّهُ تَعَالَى وَسَطَ الْجَنَّتَيْنِ نَهْرًا لِيَسْقِيَهُمَا دَائِمًا مِنْ غَيْرِ انْقِطَاعٍ، وَلَمَّا رَأَى صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ الثَّمَارَ تَنَوَّى بِحَمْلِهَا الْأَشْجَارَ، وَتَبَيَّرَ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ فِي الظَّلَامِ، بَادَرَ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنَ وَكَانَ يُجَاوِرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فَنَسَبَ الْفَضْلَ لِنَفْسِهِ، وَجَحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَتَكَبَّرَ عَلَى صَاحِبِهِ بَغْيًا وَبِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ، وَدَخَلَ الْكَافِرُ جَنَّتَهُ تِلْكَ وَأَخَذَ بِيَدِ صَاحِبِهِ الْمُسْلِمِ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ جَنَّتَهُ وَجَعَلَ يَطُوفُ بِهِ فِيهَا، وَيُرِيهِ عَجَائِبَهَا، ثُمَّ قَالَ هَذَا الْكَافِرُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ بِكُفْرِهِ بِاللَّهِ وَعُجْبِهِ بِمَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَا: مَا أَظُنُّ أَنَّ تَفَنَّى هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي تُشَاهِدُهَا أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً إِنْكَارًا مِنْهُ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. ثُمَّ قَالَ وَعَلَى فَرَضِ قِيَامِ السَّاعَةِ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ مُنْقَلَبًا أَيْ: مَرَجِعًا وَعَاقِبَةً، وَظَنَّ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ غَنِيًّا فِي الدُّنْيَا، سَيَكُونُ غَنِيًّا فِي الْآخِرَى، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ مُنْكَرًا عَلَيْهِ مَا قَالَ: أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ وَهُوَ أَصْلُكَ، وَأَصْلُ الْبَشَرِ، ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ وَهِيَ الْمَادَّةُ الْقَرِيبَةُ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا أَيْ: صَيَّرَكَ إِنْسَانًا كَامِلَ الْخَلْقَةِ، فِي أَحْسَنِ تَكْوِينٍ رَدًّا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى الْبَعْثِ، وَ عَلَى أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مطلق دياب

المؤمن منكرًا عليه ما قاله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾، أعلن توحيده لله تعالى، ونفى عن نفسه الشرك بالله، ومعنى ﴿لَكِنَّا﴾ لكن أنا، وتقديره: لكن أنا شأني الله ربي.

ثم أقبل عليه يلومه على كفره فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فإن شاء أبقاها لك وإن شاء أفناها وأهلكك، وأنها ما أثمرت إلا بقدره الله وفضله. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ثم رد على افتخاره بالمال والولد فقال: ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا * فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ خَيْرِكُمْ﴾ أي: إن ترى أفقر منك، فأنا أرجو أن يرزقني الله سبحانه جنة خيرًا من جنتك في الآخرة.

﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

أي: يرسل على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد أبدًا ولا تفتى عذابًا من السماء يفلح أشجارها ويتلف زرعها ولا ينبت فيها شيئًا.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا عَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾.

أي: يصبح مأوها غائرًا في الأرض لا تستطيع إخراجها.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

فأهلك الله جنته ووقع ما لم يكن في حسابانه مما خوفه به المؤمن من إرسال العذاب على جنته، التي اغتر بها وأهنته عن الله، عز وجل ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾.

فأصبح يضرب إحدى يديه على الأخرى، وهو كناية عن الندم، متأسفا على الأموال التي ذهبت والجنة التي تلفت.

﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

أي: يا ليتني لم أقدم على عبادة ربي أحدًا لا عشيرةً ولا ولدًا، افتخر بهم وأطلب العزَّ بقرهم.

وحاله في ذلك حال أولئك الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^١.

أو كحال فرعون الذي قال الله تعالى عنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^٢.
﴿وَمَا تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

أي: لم تكن له عشيرة يلتجئ إليها وينتصر بها، ولا نفعه النفر الذين افتخر بهم فيما مضى، وما كان في نفسه ممتنعًا بقوته عن انتقام الله منه بإهلاكه لجنته.
﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

في ذلك المقام النصر لله وحده لا يقدر عليها غيره، هو سبحانه خير ثوابًا لأوليائه في الدنيا والآخرة، وخير عاقبةً ومآلاً لمن آمن به ورجاه.

ومثال ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٣.

١ - سورة غافر: الآية/ ٨٤، ٨٥

٢ - سورة يونس: الآية/ ٩١، ٩٠

٣ - سورة يونس: الآية/ ٢٤



هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعَالَى لِبَيَانِ حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فِي فَنَائِهَا وَسُرْعَةِ زَوَالِهَا وَتَصَرُّمِ أَيَامِهَا وَانْقِضَائِهَا، بِنَبَاتِ الْأَرْضِ الَّذِي أَخْرَجَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ الْأَرْضِ بِمَا أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا تَزَيَّنَتْ الْأَرْضُ بِمَا حَرَجَ عَلَى رُبَاهَا وَسَهولِهَا مِنْ الزُّهُورِ النَّضْرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ، وَالنَّبَاتَاتِ وَالزُّرُوعِ وَالثِمَارِ الْيَانِعَةِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا.

حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَهْلُهَا الَّذِينَ زَرَعُوهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى حَصَادِهَا وَقَطْفِ ثَمَارِهَا جَاءَتْهَا صَاعِقَةٌ، أَوْ رِيحٌ بَادِرَةٌ، فَيَبَسَتْ مِنْهَا الْأَوْزَاقُ، وَتَلَفَتْ مِنْهَا الثِمَارُ، وَأَعْقَبَ خُضْرَتُهَا الْإِصْفَارُ، وَتَبَدَّلَتِ النَّضْرَةُ بِمَشِيْمٍ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ، وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّنْيَا، لَا تَدُومُ زَهْرَتُهَا، وَلَا يَبْقَى رَوْنِقُهَا، إِذَا أَيْنَعَتْ نَعْتٌ، وَإِذَا حَلَّتْ أَوْحَلَتْ.

قال أبو العتاهية:

إِنَّمَا الدُّنْيَا بِلَاءٌ وَكُدٌّ ***** واكْتِئَابٌ قَدْ يَسُوقُ اكْتِئَابَا
مَا اسْتَطَابَ الْعَيْشَ فِيهَا حَلِيمٌ ***** لَا وَلَا دَامَ لَهُ مَا اسْتَطَابَ
بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ حَيٌّ قَوِيٌّ ***** إِذْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَأَجَابَا
أَيُّ عَيْشٍ دَامَ فِيهَا لِحْيٍ ***** أَيُّ حَيٍّ مَاتَ فِيهَا فَاآبَا

فالشباب في الحياة كالنضرة في النبات، وكالرونق للزهرة، سرعان ما يعقبه المشيب، والصحة لا تدوم في الأبدان، كما لا تدوم الزهور والثمار على الأغصان؛ لأن الدنيا ليست بدار إقامة ولا استيطان، وقد قال: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ اسْتَضَلَّ تَحْتِ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»^١.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٧٠٩، الترمذي - أبواب الرُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم:

٢٣٧٧، بسند صحيح



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفي دياب

وَكثيرًا ما يضربُ اللهُ تعالى المثلَ للحياةِ الدُّنيا بنباتِ الأرضِ، قالَ تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخُتِلَتْ بِهِ بُنَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾^١.

وقالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٢.

وقالَ تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^٣.

ومثال ذلك أيضًا قولُ اللهِ تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾^٤.

هذا مثالٌ ضربَهُ اللهُ تعالى للَّذِينَ كَفَرُوا لِإيقاظِهِم من غفلتِهِم وليعتبروا بحالَةِ هاتينِ المرأتينِ، وتنبِيهاً للَّذِينَ كَفَرُوا، أَنَّ اللهُ لا يَصْرِفُهُ عَنْ وَعِيدِهِ صَارِفٌ فَلا يَحْسَبُوا أَنَّ لَهُمْ شُفَعَاءَ عِنْدَ اللهِ، وَلا أَنَّ مَكَائِهِم من جِوارِ بَيْتِهِ وَعِمارةِ مَسجِدِهِ وَسقايةِ حَجِيجِهِ تَصْرِفُ غَضَبَ اللهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ لا يُعْنِي أَحَدٌ فِي الْآخِرَةِ عن أَحَدٍ، فَلا يُعْنِي أَخٌ عن أَخِيهِ وَزَوْجٌ عن زَوْجِهِ وَلا أَبٌ عن أَبِيهِ وَلا صَاحِبٌ عن صَاحِبِهِ، إِذَا فَرَّقَ الدِّينُ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ لما كانت كل واحدة على دين قومها من الكفر بالله تعالى ولما كانتا مُشركتينِ، وَكانتِ امْرَأَةُ نُوحٍ تقولُ لِلنَّاسِ عن زوجها نبي الله إِنَّهُ جُنُونٌ، وَتخالفه في الاعتقاد، وَكانتِ امْرَأَةُ لُوطٍ تُخبرُ قومه بِأصيافِهِ، وترضى

١ - سُورَةُ الْكُفْهِ: الآية/ ٤٥

٢ - سُورَةُ الرُّمِّ: الآية/ ٢١

٣ - سُورَةُ الْحُدَيْدِ: الآية/ ٢٠

٤ - سُورَةُ التَّحْرِيمِ: الآية/ ١٠



بفعالهم القبيحة، وتوافقهم على سوء معتقدتهم، وهذه خيانة منهما لدين الله تعالى وخيانة لبيبين من أنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، ولا يتصور أحد أن الخيانة هنا هي الخيانة في الفراش، وأنه الزنا فقد أجمع المفسرون على أنه ما بعَتِ امرأةٌ نبيَّ قَطُّ، وإِذَا كَانَتْ خِيَانَتُهُمَا فِي الدِّينِ. ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾.

ولما كانت كل واحدة منهما بهذا القرب من نبي من أنبياء، فهي زوجته وأم أولاده، ربما يتوهم بعض الناس أنها سيكون لها حظ ونصيب من شفاعته، وأنها ستدخل يوم القيامة مدخله، وأنها ستكون معه في الآخرة كما كانت معه في الدنيا، دفع الله تعالى هذا التوهم، فإن الكفر يقطع كل صلة بين الكافر والمؤمن، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^١.

﴿فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾. وإذا كان حال الناس يوم القيامة أنه لا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا، مع الموافقة في الاعتقاد، والمتابعة على الدين كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تملكُ نفسٌ لنفسٍ شيئًا والأمرُ يومئذٍ لله﴾^٢.

وكما ثبت ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ، يَا أُمَّ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللهِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا»^٣.

فما بالك بمن كفر بالله تعالى وأعرض عن هدى المرسلين.

١ - سُورَةُ الْمُمتَحَنَةِ: الآية/ ٣

٢ - سورة الإنفطار: الآية/ ١٩

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ المِنَاقِبِ، بَابُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الإِسْلَامِ وَالجَاهِلِيَّةِ، حديث رقم: ٣٥٢٧، ومسلم- كِتَابُ الإِيمَانِ بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حديث رقم: ٢٠٦



﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾. دليل قاطع على أن من كفر بالله تعالى فلا حظ له ولا نصيب في جنة الله تعالى وأنه أبعد الناس عن رحمة الله تعالى، كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾^١.

ومثال ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٢.

هذا مثال ضربه الله تعالى للذين آمنوا ليحييهم على الصبر عند البلاء، واحتساب الأجر في الأذى على تمسكهم بدين الله تعالى، وألا يكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون، وفي براءة المؤمنين كذلك من ذوي قرابتهم الذين بقوا على الكفر ولم يؤمنوا بالله تعالى، وأن المؤمنين لا تضربهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم، فقد كان فرعون أعتى أهل الأرض، فما ضرب امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها فالله حكيم عدل، لا يؤخذ أحدًا إلا بذنبه، وكانت امرأة فرعون واسمها آسية بنت مزاحم قد آمنت بالله تعالى، وأعلنت إيمانها بالله تعالى وتبرأت من فرعون وعمله، وآثرت رضى الله تعالى على ما هي فيه من النعيم، ولم تبال بسخط فرعون وغضبه، فاطلع فرعون على إيمانها، فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: إنها تعبد غيري. فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتادًا فشدد يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار، ثم سألت الله تعالى أن ينجيها من فرعون وعمله تعني الكفر فقالت: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، وهذا من باب عطف الخاص على العام، ثم سألت الله تعالى أن ينجيها من أتباع فرعون وهم أهل مصر، فقالت: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فنجأها الله أكرم نجاة، ورفعها في الجنة، درجات.

١ - سورة المائدة: الآية / ٧٢

٢ - سورة التحريم: الآية / ١١



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

وقد أتى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ثناءً بالغاً فقال: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ»^١.

ومثال ذلك أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ﴾^٢.

هذا مثلٌ ضربَه اللهُ تعالى للذين آمنوا لِحُجَّتِهِمْ عَلَى التَّقْوَى والخشوع والقنوت لله تعالى، فإن مريمَ عليها السلام كانت مضرب المثل في العفة والطهارة والعبادة والطاعة لله تعالى، ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. مدحها الله تعالى على عفتها وبعدها عن الفواحش، رداً على اليهود عليهم لعنة الله الذين قدفوها بالزنا. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك، وهو جبريل عليه السلام، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشرٍ سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فوجت في فرجها، فكان من تلك النفخة الحملُ بعيسى، عليه السلام. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ﴾. أي: بقدره، فما يحدث للعبد فإتقانه هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن كان أمراً فمما يُحبُّه ويرضاه، وإن كان هيباً فهو مما يكرهه ويأباه. ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾. أي: من الطائعين، العابدين، المصليين.

عن ابن عباس قال: حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ حُطُوطٍ، وَقَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا هَذَا" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: حَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُرَاحِمِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ"^٣.

١ - رواه البخاري - باب قول الله تعالى ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ﴾ [التحریم: ١١]، إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ

مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحریم: ١٢]، حديث رقم: ٣٤١١

٢ - سورة التحريم: الآية/ ١٢

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٦٦٨، بسند صحيح



القسم الثاني: كامنٌ لا ذكْرٌ للمثلِ في الآياتِ.

والثاني: كامنٌ لا ذكْرٌ للمثلِ في الآياتِ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾^١.

١ - سورة النساء: الآية/ ١٠٠



الْعَامُّ الْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ:

وقبل أن نتكلم عن هذا الأسلوب مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ نَبِينِ مَعْنَى الْعَامِ وَمَعْنَى الْخَاصِّ حَتَّى يَتَضَحَّ الْكَلَامُ.

تعريف العام:

الْعَامُّ لُغَةً: الشَّامِلُ وَخِلَافَ الْخَاصِّ.^١

وَ (عَمَّ) الشَّيْءُ يَعْمُ بِالضَّمِّ عُمُومًا أَيْ شَمِلَ الْجَمَاعَةَ. يُقَالُ: عَمَّهُمْ بِالْعَطِيَّةِ.^٢

وَاصْطِلَاحًا هُوَ: «الْلَفْظُ الدَّالُّ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ دَلَالَةً لَا تَنْحَصِرُ فِي عَدَدٍ».^٣

وَقِيلَ هُوَ: «الْلَفْظُ الْمُسْتَعْرَقُ لِجَمِيعِ مَا يَصِلُحُ لَهُ بِحَسَبِ وَضْعِ وَاحِدٍ».^٤

وَقَالَ الْأَمَدِيُّ: الْعَامُّ هُوَ «الْلَفْظُ الْوَاحِدُ الدَّالُّ عَلَى مُسَمِّيَيْنِ فَصَاعِدًا مُطْلَقًا مَعًا».

فَقَوْلُنَا: (الْلَفْظُ) وَإِنْ كَانَ كَالْجِنْسِ لِلْعَامِّ وَالْخَاصِّ فَفِيهِ فَائِدَةٌ تَفْيِيدُ الْعُمُومِ بِالْأَلْفَاظِ، لِكُونِهِ مِنْ الْعَوَارِضِ الْحَقِيقِيَّةِ لَهَا دُونَ غَيْرِهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَجُمْهُورِ الْأَئِمَّةِ كَمَا يَأْتِي تَعْرِيفُهُ. وَقَوْلُنَا: (الْوَاحِدُ) اخْتِرَازُ عَن قَوْلِنَا: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا، وَقَوْلُنَا: (الدَّالُّ عَلَى مُسَمِّيَيْنِ) لِيَنْدَرِجَ فِيهِ الْمَوْجُودُ وَالْمَعْدُومُ، وَفِيهِ أَيْضًا اخْتِرَازُ عَنِ الْأَلْفَاظِ الْمُطْلَقَةِ كَقَوْلِنَا: رَجُلٌ وَدِرْهَمٌ وَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ آحَادِ الرِّجَالِ وَآحَادِ الدَّرَاهِمِ فَلَا يَتَنَاوَلُهَا مَعًا، بَلْ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ. وَقَوْلُنَا: (فَصَاعِدًا) اخْتِرَازُ عَن لَفْظِ اثْنَيْنِ، وَقَوْلُنَا: (مُطْلَقًا) اخْتِرَازُ عَن قَوْلِنَا: عَشْرَةٌ وَمِائَةٌ وَنَحْوُهُ مِنَ الْأَعْدَادِ الْمُقَيَّدَةِ.^٥

١ - المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٩)

٢ - مختار الصحاح (ص: ٢١٩)

٣ - شرح مختصر الروضة (٢/ ٤٤٨)

٤ - المحصول للرازي (٢/ ٣٠٩)

٥ - الإحكام في أصول الأحكام للامدي (٢/ ١٩٦)



ألفاظُ العموم:

- ١- المعرفُ باللامِ كالنَّاسِ والمُسلِمِينَ والمُشركِينَ، والذِّينَ.
- ٢- مَا أُضِيفَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَعْرِفَةٍ، كَعَبِيدِ زَيْدٍ، وَمَالِ عَمْرٍو.
- ٣- أَدَوَاتُ الشَّرْطِ، كَمَنْ لِّلْعَاقِلِ، وَمَا لِّغَيْرِ الْعَاقِلِ وَأَيُّ، وَأَيْنَ، الْمَكَانِ، وَمَتَى وَأَيَّانَ.
- ٤- كُلُّ وَجْمِعٍ.
- ٥- التَّكْرَرُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ.

تعريفُ الخاصِّ:

الخاصُّ هُوَ: (قَصُرُ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ) ١.

وَمِنْ أَمْتَلَةِ الْعَامِّ الْمُرَادِ بِهِ الْخُصُوصُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ٢.

لفظ النَّاسِ يَفْتَضِي دُخُولَ جَمِيعِ النَّاسِ فِي اللَّفْظَيْنِ جَمِيعًا وَالْمُرَادُ بَعْضُهُمْ لِأَنَّ الْقَائِلِينَ غَيْرُ الْمَقُولِ لَهُمْ وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ فِي الْفِظِ الْأَوَّلِ نَعِيمُ بْنُ سَعِيدِ الثَّقَفِيِّ، وَالْمُرَادُ بِالنَّاسِ فِي الْفِظِ الثَّانِي أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، وَمِمَّا يُقْوَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ وَاحِدٌ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾ فَوَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ﴾، إِلَى وَاحِدٍ بَعِيْنِهِ وَلَوْ كَانَ الْمَعْنَى جَمْعًا لَقَالَ: (إِنَّمَا أُولَئِكَ الشَّيَاطِينُ).

لِقِيَامِهِ مَقَامَ كَثِيرٍ فِي تَثْبِيْطِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ مُلَاقَاةِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ٣.

١ - كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٣٠٦)

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٧٣

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٥٤



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَاب

لفظ ﴿النَّاسِ﴾ عام يشمل النَّاسَ جميعًا والمُرَادُ بالنَّاسِ في الآية مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسبب ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلفظ العموم هو جَمْعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فِي النَّاسِ مِنَ الخِصَالِ الحَمِيدَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^١.

لفظ ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ عام يشمل جميع الْمَلَائِكَةَ والمُرَادُ بذلك جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَام.

لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^٢.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

لفظ ﴿النَّاسِ﴾ في الآية عام يشمل النَّاسَ جميعًا والمُرَادُ بالنَّاسِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الْيَهُودِ، أَيْ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ يَعْني الْيَهُودَ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾^٣.

لفظ ﴿الَّذِينَ﴾ في الآية عام، وَإِنَّمَا نَادَاهُ مِنْهُمْ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٢

٢ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: الآية/ ١٩٢، ١٩٣

٣ - سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: الآية/ ٤

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢١



لفظ: ﴿النَّاسِ﴾ في الآية عام يشمل النَّاسَ جميعًا، ولا شك أنه خطاب للمكلفين، فلم يَدْخُلْ فِي الخطاب الأَطْفَالُ وَالْمَجَانِينُ، فالآية من الْعَامِّ الْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^١.

فلفظ ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾ ولفظ ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ وَمَعْنَاهُ الْخُصُوصُ فِي الْوَالِدَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا يَرِثَانِ كَالْكَافِرِينَ وَالْعَبْدَيْنِ وَفِي الْقَرَابَةِ غَيْرِ الْوَرِثَةِ، وذلك لأن الْوَالِدَيْنِ اللَّذَيْنِ يَرِثَانِ ثَبَتَ مِيرَاثُهُمَا بِدَلِيلٍ مُسْتَقِلٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾^٢.

قَالَ ابْنُ الْمُنْدَرِيِّ: أَجْمَعَ كُلُّ مَنْ يُحْفَظُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا يَرِثَانِ وَالْأَقْرَبَاءِ الَّذِينَ لَا يَرِثُونَ جَائِزَةً.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾^٣.

فلفظ ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ عام فِي كُلِّ كَافِرَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا الْخُصُوصُ فِي الْكِتَابِيَّاتِ، فلا يجوز للمسلم أن يتزوج كافرة من غير الكتابيات، كالهندوسية أو البوذية أو الملحدة، وهذا الحكم خاص بالرجال فلا يجوز للمسلمة أن تتزوج كافرًا سواء كان كتابيًا أو غير كتابيًا ولا يجوز لها أن تتزوج إلا من مسلم.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٨٠

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١١

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٢١



ودليل أن هذا العموم في الآية يراد به الخصوص قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾^١.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^٢.

فلفظُ ﴿المُطَلَّقاتُ﴾ عامٌ في كل مُطلَّقةٍ، والمرادُ به الخُصوصُ في المدخولِ بهنَّ، وخرجتِ المُطلَّقةُ قبلَ البناءِ بقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَّوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^٣.

وخرجتِ المُطلَّقةُ الحامِلُ بقوله تعالى: ﴿وأولاتُ الأحمالِ أَجلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿وقالتِ اليهودُ عزيرُ ابنُ اللهِ وقالتِ النَّصارى المسيحُ ابنُ اللهِ﴾^٥.

فلفظُ: ﴿اليهودُ﴾ عامٌ والمرادُ به الخُصوصُ لأنَّه ليسَ كُلُّ اليهودِ قالوا عزيرُ ابنُ اللهِ.

وكذلك لفظُ: ﴿النَّصارى﴾، عامٌ والمرادُ به الخُصوصُ لأنَّه ليسَ كُلُّ النَّصارى قالوا المسيحُ

ابنُ اللهِ.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٥

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٢٨

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٤٩

٤ - سورة الطلاق: الآية/ ٤

٥ - سورة التوبة: الآية/ ٣٠



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^١.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾، نَكْرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ يَفِيدُ الْعُمُومَ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ بِالِدَوَابِّ الَّتِي قَدَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا رِزْقًا؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الدَّوَابِّ تَمُوتُ قَبْلَ أَنْ تُرْزَقَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾^٢.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾، عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَهْلِ الْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يَفْرَحُ بِالْقُرْآنِ بَعْضُ مَنْ أُوتِيَ الْكِتَابَ، مِمَّنْ آمَنَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَسَلْمَانَ وَغَيْرِهِمَا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^٣.

لَفِظُ الْإِنْسَانِ اسْمُ جِنْسٍ وَهُوَ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ، لِأَنَّهُ لَا يَتَصِفُ كُلُّ إِنْسَانٍ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ ظَلُومٌ كَفَّارٌ، فَمِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّالِحِينَ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾^٤.

لَفِظُ: ﴿كُلِّ﴾ مِنْ أَقْوَى صَيْغِ الْعُمُومِ، وَهُوَ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ، وَمَ تَدْمِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَالْمُرَادُ تَدْمِيرُ كُلِّ شَيْءٍ مَرَّتَ عَلَيْهِ مِنْ رِجَالِ عَادٍ وَأَمْوَالِهَا أَوْ كُلِّ شَيْءٍ بُعِثَتْ إِلَيْهِ، أَوْ تَدْمِيرُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ التَّدْمِيرِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٥.

١ - سورة هود: الآية / ٦

٢ - سورة الرعد: الآية / ٣٦

٣ - سورة إبراهيم: الآية / ٣٤

٤ - سورة الأحقاف: الآية / ٢٥

٥ - سورة الأنعام: الآية / ٤٤



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفى دياب

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ تُفْتَحْ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيمَانَكُمْ﴾، الْإِيمَانُ يَشْتَمِلُ عَلَى أَرْكَانٍ وَشَعْبٍ وَخِصَالٍ، وَهُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، وَالصَّلَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي مَنَ مَاتَ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ قَبْلَ أَنْ تَحُولَ الْقِبْلَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾. [البقرة: ١٤٤]، فَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ"^٢.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَنَ مَاتَ وَهُوَ يُصَلِّي إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ)، فَيَكُونُ اللَّفْظُ عَامًّا وَالْمُرَادُ الْخُصُوصُ، أَي: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ صَلَاتَكُمْ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٣.

قَوْلُهُ: ﴿الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ؛ لِأَنَّ الْمَجَانِينَ وَالصَّبِيَّانَ مَا أَمُرُوا بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يُقَالَ أَرَادَ مِنْهُمْ الْعِبَادَةَ، وَهَذَا خَاصٌّ فِي مَنَ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَعْبُدُهُ، قَالَ الضَّحَّاكُ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ.

١ - سورة البقرة: الآية/ ١٤٣

٢ - رواه البخاري- كتاب الصلاة، باب التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ، حديث رقم: ٣٩٩، ومسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحويل القبلة من المقدس إلى الكعبة، حديث رقم: ٥٢٥

٣ - سورة الذاريات: الآية/ ٥٦



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَاب

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^١.

فلفظُ: ﴿الأعراب﴾ عامٌ والمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْأَعْرَابِ قَالُوا آمَنَّا، قَالَ مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي بَنِي أَسَدِ بْنِ حُرَيْمَةَ، فَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ الْأَعْرَابُ جَمِيعًا وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^٢.

فلفظُ: ﴿الكَافِرُونَ﴾ عامٌ فِي كُلِّ كَافِرٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ لَا جَمِيعِ الْكَافِرِينَ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، فَعَبَدَ اللَّهَ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ عَلَى كُفْرِهِ، وَهُمْ الْمُحَاطَبُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ، وَهُمْ الْمَدْكُورُونَ، فَهِيَ مِنَ الخُصُوصِ الَّذِي جَاءَ بِلَفْظِ الْعُمُومِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللَّهِ﴾^٣.

فالكلام عامٌ فِي كُلِّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجَمِيعِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ لِمَنْ أَطَاعَ الْجِهَادَ مِنَ الرِّجَالِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا﴾^٤. فَقَوْلُهُ: ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ عامٌ فِي كُلِّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الخُصُوصُ لَا جَمِيعِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَإِنَّمَا لَمْ يَأْتِيَا جَمِيعَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ إِنَّمَا أَتَيَا بَعْضَهُمْ.

١ - سورة الحجرات: الآية/ ١٤

٢ - سورة الكافرون: الآية/ ١

٣ - سورة التوبة: الآية/ ١٢٠

٤ - سورة الكهف: الآية/ ٧٧



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾^١.

فَقَوْلُهُ: ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ عام في كُلِّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ لَا جَمِيعَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، فَإِنْ كَلَّ وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ لَمْ يَكُنْ ظَالِمًا، فَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْمُسْلِمُونَ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا فِيهَا قَلِيلًا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٢.
فَقَوْلُهُ: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^٣.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^٤.

فَلَفْظُ: ﴿النَّاسِ﴾، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ عَامٌّ وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ هُنَا الْعَرَبُ عَبْدَةُ الْأَوْثَانِ، وَكَانَ دُخُولُهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى أَفْوَاجًا بَيْنَ فَتْحِ مَكَّةَ وَمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: لَمْ يَبْقَ عَرَبِيٌّ بَعْدَ حَنِينِ وَالطَّائِفِ إِلَّا أَسْلَمَ، مِنْهُمْ مَنْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْهِ وَقَعَّ بِمَا أَتَاهُ بِهِ وَافِدَ قَوْمَهُ مِنَ الدِّينِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.^٥

١ - سورة النَّسَاءِ: الآية/ ٧٥

٢ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٣٣

٣ - سورة الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٧٩

٤ - سورة النَّصْرِ

٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٣٨)



وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَالْمُرَادُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، الْعَرَبُ عَبْدُهُ الْأَوْثَانِ. وَأَمَّا نَصَارَى بَنِي ثَعْلَبٍ فَمَا أَرَاهُمْ
أَسَلَمُوا قَطُّ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنْ أَعْطُوا الْجِزْيَةَ.^١

وقيل: المراد بالناس هنا أهل اليمن.

قَالَ مُقَاتِلٌ وَعِكْرِمَةُ: الْمُرَادُ بِالنَّاسِ أَهْلُ الْيَمَنِ، وَفَدَّ مِنْهُمْ سَبْعُمِائَةَ رَجُلٍ.^٢

الإيجازُ

وقال السيوطي: اعلم أهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سِرِّ الفصاحة عن
بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب.^٣

حدُّ الإيجازِ:

الإيجازُ لغة: الاختصارُ، وقولهم: كلام موجز وخطبة موجزة، يراد به الاختصار، والإيجاز في
الكلام: هو ضد العي فيه والإكثار.^٤

قال ابن منظور: وَجَزَ الْكَلَامُ وَجَازَةً وَوَجَزًا وَأَوْجَزَ: قَلَّ فِي بِلَاغَةٍ، وَأَوْجَزَهُ: اخْتَصَرَهُ، وَأَمْرٌ
وَجِيزٌ وَكَلَامٌ وَجِيزٌ أَي حَفِيفٌ مُفْتَصِّرٌ.^٥

واصطلاحًا: تقليل الكلام من غير إخلال.^٦

وقال الرماني: العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ.

١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣٢)، وانظر البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٦٣)

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٥٣٢)، وانظر البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٦٣)

٣ - الإتيان في علوم القرآن (٣/ ١٧٩)

٤ - الإبانة في اللغة العربية (١/ ١٤٢)

٥ - لسان العرب (٥/ ٤٢٧)

٦ - البصائر والذخائر (١/ ١٤٥)



وقال السكاكي: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط.^١

وقال الخفاجي: هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ. وهذا الحد أصح من حد أبي الحسن الرماني بأنه العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ وإنما كان حدنا أولى لأننا قد احتزنا بقولنا: إيضاح من أن تكون العبارة عن المعنى وإن كانت موجزة غير موضحة له حتى يختلف الناس في فهمه فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أفساطهم من الذهن وصحة التصور فإن ذلك وإن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة.^٢

قال ابن الأعرابي: قال لي المفضل: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل.^٣

وقال الخفاجي: ومن شروط الفصاحة والبلاغة: الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة. وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس.^٤

أقسامُ الإيجاز:

يُنْقَسَمُ الإِيجَازُ إِلَى قِسْمَيْنِ: إِيجَازٍ قَصْرٍ وَإِيجَازٍ حَذْفٍ.^٥

ويقال: إِيجَازٌ حَذْفٌ وَإِيجَازٌ حَالٌ مِنَ الحَذْفِ.

١ - مفتاح العلوم (ص: ٢٧٧)

٢ - سر الفصاحة (ص: ٢١١)

٣ - الإعجاز والإيجاز (ص: ٦)

٤ - سر الفصاحة (ص: ٢٠٥)

٥ - الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ١٧٥)، الإتقان في علوم القرآن (٣ / ١٨١)



أولاً إيجازُ القَصْرِ:

إِيجَازُ الْقَصْرِ أَوْ الْإِيجَازُ الْحَالِي مِنَ الْحَذْفِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرَبٍ:

قال أبو هلال العسكري: فالقصر تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني.^١

وهذا النوع، كما يقول ابن الأثير: هو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً، وأعوزها إمكاناً، وإذا

وجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذاً نادراً.^٢

الضَّرْبُ الْأَوَّلُ إِيجَازُ الْقَصْرِ:

وَقَالَ الطَّيْبِيُّ: وَهُوَ أَنْ يُقْصَرَ اللَّفْظُ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا وَصَفَ بَلِيغٌ كَانَتْ أَلْفَاظُهُ قَوَالِبَ

مَعَانِيهِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾، جَمَعَ فِي أَحْرَفِ الْعُنْوَانِ

وَالْكِتَابِ وَالْحَاجَةِ.^٣

قلت: وهذا النوع يسميه جمهور البلاغين المساواة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، فهذه ألفاظ قليلة المبنى

غزيرة المعنى، حتى صارت مثلاً بين الناس، وجمعت في طياتها من المعاني الشيء الكثير، ومن تلك

المعاني: تقسيم المكر إلى نوعين: حسنٌ وسيئٌ، ومنها أن الجزء من جنس العمل، ومنها أن ذمُّ

المكر السيئ، ومنها قصر إحاطة المكر السيئ على من اتصف به، ومنها أن من اتصف بالمكر

عُرِفَ ولازمته صفته ملازمة الأهل.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١]، فهذه الآية على وجازتها

جمعت معاني كثيرة، ومن تلك المعاني أن ذلك الحكم يعم الناس جميعاً ولا يستثنى منه أحد، ودل

عليه لفظ (كل) وهو أقوى صيغ العموم، ومنها أنه لا يخلو أحد من الناس من الكسب، ومنها

١ - الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: ١٧٥)

٢ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١١٧/٢)

٣ - التبيين في البيان (ص: ٧٤، ٧٥)



أن الكسب نوعان كسب للحسنات وكسب للسيئات، وكسب للفضائل وكسب للردائل، وكسب للمكارم، وكسب للقبايح، ومنها أن كل إنسانٍ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ يفك رهنه إلا صالح العمل، ومنها أنه لا يُسأل عن ذنب غيره، ومنها أنه لا يحمل ذنب غيره.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]، فقد وصف الله تعالى المنافقين في هذه الكلمات اليسيرة، بصفات تذهب كل مكرمة، وتلحق بهم كل نقيصة، ففيها وصفهم بغاية الجبن والخور، حتى تنخلع قلوبهم لكل صيحة ولو وكانت ضعيفة، وترتعد فرائصهم ولو كانت من أقرب قريب، ومن معانيها ذلك الرعب الذي يملء قلوبهم ويتوقعون منه أن يفتضح أمرهم كل لحظة، ومنها بيان حقيقتهم وأهم أعداء لأهل الإيمان، ومنها أنهم أشدُّ عداؤًا من الكفار الأصليين، ودل على هذا المعنى تقديم الضمير الذي يدل على الحصر، كأنه يقول لا عدو إلا هؤلاء الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، قال بهاء الدين السبكي: ومن أبلغ الإيجاز، قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ فإن لفظه يسير، ومعناه كثير؛ لأنه قام مقام قولنا: الإنسان إذا علم أنه إذا قتل يقتص منه، كان ذلك داعيًا له قويًا مانعًا من القتل فارتفع بالقتل، الذي هو قصاص، كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم.

وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) من وجوه، بل قال ابن الأثير: إنه لا نسبة بين كلام الخالق عز وجل، وكلام المخلوق. وإنما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك.

الأول: أن ما يناظره من كلامهم وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾، أقل حروفًا من كلامهم، فإن حروفه عشرة. و (القتل أنفى للقتل) حروفه أربعة عشر.

الثاني: النص على المطلوب الذي هو الحياة، فيكون أزجر عن القتل العدوان.



الثالث: أن تنكير حياة، يفيد تعظيمًا لمنعمهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد. أو النوعية أى الحاصلة للمقتول، أى: بالكف عنه والقاتل بانكفاه.

الرابع: اطراده، فإنه ليس كل قتل ينفى القتل بخلاف القصاص، فإنه فيه حياة أبدًا.

الخامس: خلوه من تكرار لفظ القتل، فإن التكرار من عيوب الكلام.

السادس: استغناؤه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فإن فيه حذف (من) التي بعد أفعال التفضيل وما بعدها، وحذف (قصاصًا) مع القتل الأول، و(ظلمًا) مع القتل الثاني. وقد يمنع أنهما محذوفان؛ بل مرادان بالقتل من غير حذف.

السابع: أن في الآية الكريمة طباقًا، فإن القصاص ضد الحياة.

الثامن: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال (في) عليه.

التاسع: أن في كلامهم توالى أسباب كثيرة خفيفة، وقد تقدم أن ذلك مستكره.

العاشر: أنه كالتناقض من حيث الظاهر؛ لأن الشئ لا ينفى نفسه.

الحادى عشر: أنه لا يستقيم لو أجرى على ظاهره؛ لأن ظاهره أن كل واحد من أفراد القتل، أو جنس القتل، ينفى القتل. وليس كذلك، بل المراد أن القتل قصاصًا، ينفى القتل ظلمًا.

الثاني عشر: أن القتل ليس نافيًا للقتل، بل النافي له كراهة القتل.

الثالث عشر: تقدم الخبر المفيد للاختصاص في قوله سبحانه وتعالى: وَلَكُمْ.

الرابع عشر: سلامة الآية الكريمة من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة، وبعدها عن غنة النون.

الخامس عشر: اشتغالها على تكرير الصاد المستجلب باستعلائها وإطباقها مع الصغير للفصاحة.

السادس عشر: أنها رادعة عن القتل والجرح.



السابع عشر: سلامة الآية الكريمة من لفظ القتل المشعر بالوحشة، وعكسه الحياة.

الثامن عشر: إبانة العدل بلفظ القصاص.

التاسع عشر: الاستدعاء بالرغبة والرغبة بحكم الله به.

العشرون: ملاءمة الحروف فيها؛ لأن الخروج من القاف إلى الصاد، أعذب من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبعده اللام من الهمزة، والخروج من الصاد إلى الحاء، أعذب من الخروج من اللام إلى الألف^١.

الصَّرْبُ الثَّانِي إِيجَازُ التَّقْدِيرِ:

قَالَ الطَّيْبِيُّ: وَهُوَ أَنْ يُقَدَّرَ مَعْنَى زَائِدٍ عَلَى الْمَنْطُوقِ وَيُسَمَّى بِالتَّضْيِيقِ أَيْضًا وَبِهِ سَمَاءُ بَدْرُ الدِّينِ بِنُ مَالِكٍ فِي الْمِصْبَاحِ لِأَنَّهُ نَقَصَ مِنَ الْكَلَامِ مَا صَارَ لَفْظُهُ أَضْيَقَ مِنْ قَدْرِ مَعْنَاهُ نَحْوُ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ أَي خَطَايَاهُ غُفِرَتْ فَهِيَ لَهُ لَا عَلَيْهِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، أي: للضالين الصَّائِرِينَ بَعْدَ الضَّلَالِ إِلَى التَّقْوَى^٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام.

١ - انظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بتصرف (١/ ٥٨٦)، والبرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٢٢ - ٢٢٥)، وقد

نقلها السيوطي بتصرف يسير انظر الإتيان في علوم القرآن (٣/ ١٨٥ - ١٨٨)

٢ - التَّبَيَّانِ فِي الْبَيَّانِ (ص: ٧٤، ٧٥)



وقال الكرمانى فى كتاب (غرائب التفسير): أجمع المعاندون على أنّ طوق البشر قاصرٌ على الإتيان بمثل هذه الآية، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها فى فخامة ألفاظها، وحسن نظمها وجودة معانيها، فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال.^١

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ...﴾ الآية [النمل: ١٨] قال بعض العلماء هذه الآية من عجائب القرآن لما فيها من أنواع من البلاغة، لأنها بلفظة ﴿يَا﴾ نادت ﴿أَيُّهَا﴾ نبهت، و﴿النَّمْلُ﴾ عيّنت، و﴿ادْخُلُوا﴾ أمرت، و﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ نصّت، و﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ﴾ حدّرت، و﴿سُلَيْمَانُ﴾ خصّصت، و﴿وَجُنُودُهُ﴾ عمّت، و﴿وَهُمْ﴾ أشارت، و﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ عذرت.^٢

وقال السيوطى: جَمَعَ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ أَحَدَ عَشَرَ جِنْسًا مِنَ الْكَلَامِ، نَادَتْ، وَكُنْتُ، وَنَبَّهْتُ، وَسَمَّتْ، وَأَمَرْتُ، وَقَصَّصْتُ، وَحَدَّرْتُ، وَخَصَّصْتُ، وَعَمَّمْتُ، وَأَشَارْتُ، وَعَذَّرْتُ.

فَالنِّدَاءُ: ﴿يَا﴾، وَالْكَنَايَةُ: ﴿أَيُّ﴾، وَالتَّنْبِيهُ: ﴿هَآ﴾، وَالتَّسْمِيَةُ: ﴿النَّمْلُ﴾، وَالْأَمْرُ: ﴿ادْخُلُوا﴾، وَالْقَصَصُ: ﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾، وَالتَّحْذِيرُ: ﴿لَا يَخْطِمَنَّكُمْ﴾، وَالتَّخْصِصُ: ﴿سُلَيْمَانُ﴾، وَالتَّعْمِيمُ: ﴿وَجُنُودُهُ﴾، وَالْإِشَارَةُ: ﴿وَهُمْ﴾، وَالْعَذْرُ: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾، فَأَدَّتْ خَمْسَ حُقُوقٍ حَقَّ اللَّهُ وَحَقَّ رَسُولُهُ وَحَقَّهَا وَحَقَّ رَعِيَّتُهَا وَحَقَّ جُنُودِ سُلَيْمَانَ.^٣

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾ الآية [الحجر: ٩٤]، فهذه ثلاثُ كلماتٍ اشتَمَلتْ على جميع ما فى الرِّسَالَةِ، وقد روى أن أعرابياً لما سمع هذه الآية سجد، وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام.

١ - غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/ ٥٠٧)

٢ - انظر زاد المسير فى علم التفسير (٥/ ١٩)، وتفسير السراج المنير (٣/ ٦١)

٣ - الإتقان فى علوم القرآن (٣/ ١٨٤)



الضرب الثالث: الإيجازُ الجامعُ:

قَالَ الطَّبِيُّ: وَهُوَ أَنْ يَحْتَوِيَ اللَّفْظُ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ نَحْوُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الْآيَةَ؛ فَإِنَّ الْعَدْلَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، الْمُتَوَسِّطُ بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، الْمُؤَمَّى بِهِ إِلَى جَمِيعِ الْوَاجِبَاتِ فِي الْإِعْتِقَادِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعُبُودِيَّةِ، وَالْإِحْسَانُ هُوَ الْإِحْلَاصُ فِي وَاجِبَاتِ الْعُبُودِيَّةِ؛ لِتَفْسِيرِهِ فِي الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ" أَي تَعْبُدُهُ مُخْلِصًا فِي نِيَّتِكَ، وَوَاقِفًا فِي الْخُضُوعِ آخِذًا أَهْبَةً الْحَذَرَ إِلَى مَا لَا يُحْصَى ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾، هُوَ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاجِبِ مِنَ النَّوَافِلِ هَذَا فِي الْأَوْامِرِ. وَأَمَّا النَّوَاهِي فَبِالْفَحْشَاءِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُوَّةِ الشَّهَوَانِيَّةِ وَبِالْمُنْكَرِ إِلَى الْإِفْرَاطِ الْحَاصِلِ مِنْ آثَارِ الْعُضْبِيَّةِ أَوْ كُلِّ مُحَرَّمٍ شَرَعًا وَبِالْبَغْيِ إِلَى الْإِسْتِعْلَاءِ الْفَائِضِ عَنِ الْوَهْمِيَّةِ.^١

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُذِرِ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُزْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فَإِنَّهَا جَامِعَةٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ لِأَنَّ فِي أَحْذِرِ الْعَفْوِ التَّسَاهُلَ وَالتَّسَامُحَ فِي الْحُقُوقِ وَاللِّينَ وَالرَّفْقَ فِي الدُّعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَفِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ كَفُّ الْأَدَى وَعُضُّ الْبَصْرِ وَمَا شَاكَلَهُمَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَفِي الْإِعْرَاضِ الصَّبْرَ وَالْحِلْمَ وَالتَّوَدَّةَ.^٢

القِسْمُ الثَّانِي إِيجَازُ الْحَذْفِ:

وَمِنْ فَوَائِدِهِ: التَّفْخِيمُ وَالْإِعْظَامُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِهْجَامِ، وَالتَّهْوِيلُ، وَقُوَّةُ دَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَالتَّحْذِيرُ، وَالْإِعْرَاضُ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، أَي: لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا مَهُولًا، وَجَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ لِتَهْوِيلِ الْأَمْرِ لِتَذَهَبِ النَّفْسِ فِي تَصْوِيرِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ.

١ - التَّبْيَانِ فِي الْبَيَانِ (ص: ٧٤، ٧٥)

٢ - الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ (٣/ ١٨٣)



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفي دياب

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزُّمَرِ: ٧٣]، فَحُذِفَ الْجَوَابُ إِذْ كَانَ وَصْفُ مَا يَجِدُونَهُ وَيَلْمُونَهُ عِنْدَ ذَلِكَ لَا يَنْنَاهِي؛ لِتَهْوِيلِ وَتَعْظِيمِ شَأْنِهَا فِي النَّفْسِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ لِلتَّحْذِيرِ وَالْإِعْرَاءِ، فَنَاقَةُ اللَّهِ تَحْذِيرٌ، بِتَقْدِيرِ: (دَرُوا) وَ ﴿وَسُقْيَاهَا﴾، إِعْرَاءٌ بِتَقْدِيرِ: (الزُّمُوا).^١

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضُ﴾ [يُوسُفَ: ٢٩]، حُذِفَ حَرْفُ النَّدَاءِ؛ لِتَخْفِيفِ لِكثْرَةِ دَوْرَانِهِ فِي الْكَلَامِ.

وَمِنْهَا قَصْدُ الْبَيَانِ بَعْدَ الْإِبْهَامِ كَمَا فِي فِعْلِ الْمَشِيئةِ نَحْوُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾ أَيِ وَلَوْ شَاءَ هِدَايَتَكُمْ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فُرَاتًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالِ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الرَّعْدِ: ٣١]، أَيِ: لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ، جَوَابُ لَوْ مَحْذُوفٌ لِقَصْدِ التَّخْفِيمِ وَتَهْوِيلِ الْأَمْرِ لِتَذَهَبِ النَّفْسُ فِي تَصْوِيرِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ مُمَكِّنٍ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٣]، أَيِ: أَكَلَهَا؛ لِذِلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَتَعَلَقُ بِالْأَجْرَامِ.^٢

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الْكَهْفِ: ٧٩]، أَيِ: كُلِّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ؛ لِذِلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيِبَهَا﴾.^٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النُّورِ: ٢٠]؛ حُذِفَ جَوَابُ (لَوْلَا) لِتَذَهَبِ النَّفْسُ كُلِّ مَذْهَبٍ.

١ - الإتيان في علوم القرآن (٣/ ١٩٠)

٢ - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (١/ ٥٩١، ٥٩٢)

٣ - سورة الكهف: الآية/ ٧٩



وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس: ٤٦]؛ أي: أعرضوا، وحذف جواب الشرط لدلالة ما بعده عليه.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ هَدَاكُمْ﴾ [النحل: ٩]، أي: ولو شاء هدايتكم؛ لقصد البيان بعد الإجماع؛ فإنه إذا سمع السامع: ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾، تعلقت نفسه بم شاء، ابنهم عليه لا يدري ما هو فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك.^١

الإطناب:

تعريف الإطناب:

الإطناب لغة: المبالغة في الشيء.

قال ابن فارس: الطاء والتون والباء أصل يدل على ثبات الشيء وتمكُّنه في استطالة، ومن الباب قوهم: أطنب في الشيء: إذا بالغ، كأنه ثبت عليه إرادة للمبالغة فيه.^٢

وفي اصطلاح البيانين: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة.

فإن لم يكن في الكلام زيادة في المعنى كان ذلك تطويلاً، وليس ذلك من الفصاحة في شيء بل هو عي.

ولا شك أن الإطناب أسلوب من أساليب البلاغة في المنطق والوصف.

وقد قيل: الإيجاز بلاغة والتقصير عي، كما أن الاطناب بلاغة والتطويل عي.^٣

وقال السيوطي في الإيجاز والإطناب: اعلم أهما من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سِرِّ الفصاحة عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب.

١ - الإتيان في علوم القرآن (٣/ ١٩٢)

٢ - مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٦)

٣ - اعجاز القرآن للرماني (ص: ٣)، وانظر إعجاز القرآن للباقلاني (١/ ٢٦٣)



قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْبَلِغِ فِي مَظَانِّ الْإِجْمَالِ أَنْ يُجْمَلَ وَيُوجَزَ
فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ فِي مَوَارِدِ التَّفْصِيلِ أَنْ يُفْصَلَ وَيُشَبَّحَ أَنْشَدَ الْجَاحِظُ:

يَرْمُونَ بِالْحُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً ***** وَحَيِّ الْمَلَا حِظِ خَيْفَةَ الرُّقْبَاءِ^١

فائدة الإطناب:

للإطنابِ فوائد كثيرة منها:

- ذكر الخاص بعد العام؛ للتنبيه على فضل الخاص.
- ذكر العام بعد الخاص؛ لإفادة الشمول مع العناية بالخاص.
- الإيضاح بعد الإبهام.
- الاعتراض.
- الاحتراس.

أقسام الإطناب:

ينقسم الإطنابُ إلى قسمين إطنابٍ بالبسطِ وإطنابٍ بالزيادة.

فَكَمَا أَنَّ الْإِيجَازَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: إِيجَازٍ قَصْرٍ وَإِيجَازٍ حَذْفٍ، كَذَلِكَ يَنْقَسِمُ الْإِطْنَابُ إِلَى
بَسْطٍ وَزِيَادَةٍ.

أولا الإطنابُ بالبسط:

مثاله: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

١ - الإتيان في علوم القرآن (٣ / ١٧٩)



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفي دياب

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^١.

في الآية إطنابٌ بتكثير الجمل؛ لأن الخطاب في الآية للإنس والجن، وفيهم العالمُ والجاهلُ، والمؤمن والكافر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^٢.

فقوله تعالى: ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾، إطنابٌ لأنَّ اللمس عادة لا يكون إلا بالأيدي.

وفائدته: زيادة التأكيد ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى حكاية عن الجن: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» أي تفحصنا السماء.

أما هنا فلمسوه بأيديهم أي جسوه وعائنه، ورأوا نزوله، وباشروا ذلك بحيث لم يبق عندهم فيه اشتباه، وفيه بيان لمكابرتهم للمحسوسات.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾^٣.

فقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ إطنابٌ لأنَّ إيمان حملة العرش معلوم، وفائدته إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^٤.

١ - سورة البقرة: الآية / ١٦٤

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٧

٣ - سورة غافر: الآية / ٧

٤ - سورة فصلت: الآية / ٦، ٧



فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إِطْنَابٌ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَفَائِدَتُهُ حَثُّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَدَائِهَا وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مَنَعِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِ الْمُشْرِكِينَ.

مثال إِطْنَابِ البَسْطِ أَيْضًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى^١.

ففي الآية إِطْنَابٌ بِتَكْثِيرِ الجُمْلِ؛ فَقَدْ كَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾، كَانَ يَكْفِي أَنْ يَقُولَ: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، وَلَكِنَّهُ زَادَ فِي الجَوَابِ، تَلَذُّدًا بِخُطَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ وَكَأَنَّهُ أَجَابَ عَنْ سؤَالِ مَقْدَرٍ، كَأَنَّهُ قَدَرَ أَنْ يَقَالَ لَهُ: وَمَا تَفْعَلُ بِهَا؟ فَقَالَ مَعْدَدًا مَنَافِعَهَا، وَذَلِكَ لِمَا لِمَنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ لَذَّةٍ لَا تَشْبَهُهَا لَذَّةٌ.

ومثاله أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ^٢.

ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، إِطْنَابٌ بِتَكْثِيرِ الجُمْلِ؛ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَهُمْ عَنْ مَعْبُودِهِمْ، فَكَانَ القِيَاسُ أَنْ يَقُولُوا: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا فِي جَوَابِهِمْ عَلَى سؤَالِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، لِبَيَانِ مَا فِي نَفْسِهِمْ مِنَ الفَرَحِ وَالاِبْتِهَاجِ وَالفَخْرِ، بِعِبَادَةِ هَذِهِ الأَصْنَامِ.

١ - سورة طه: الآية/ ١٧، ١٨

٢ - سورة الشعراء: الآيات/ ٦٩ : ٧١



ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ

الْمُبْطِلُونَ﴾^١.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾، إطنابٌ فإن الكتابة لا تكون عادةً إلا باليمين، وفائدة الإطناب هنا تأكيد للحقيقة ونفي توهم الحجاز، ومثله قولهم: رأيتُه بعيني، وسمعتُه بأذني، وقبضته بيدي.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ نُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ

أَلْقُوا﴾^٢.

في قوله تعالى على لسان السحرة: ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾، إطنابٌ؛ فإنهم كان يمكنهم أن يقولوا: إِمَّا أَنْ نُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نُلْقِيَ، وفائدة الإطناب هنا، بيان اعتزاز السحرة بأنفسهم، وثقتهم في سحرهم، واستطاعتهم على موسى وذلك لأنهم لما أسندوا الفعل لأنفسهم جاءوا بلفظٍ أتم وأوفى من الفعل الذي أسندوه إليه عليه السلام.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ

لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣.

ففي قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ (٦١) أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إطنابٌ؛ فقد

١ - سورة العنكبوت: الآية/ ٤٨

٢ - سورة طه: الآية/ ٦٥، ٦٦

٣ - سورة الأعراف: الآيات/ ٦٠: ٦٢



كان يكفى في الجواب أن يقول: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، وفائدة الإطنابِ هنا المبالغة في نفي الضلالة، والمبالغة في إثبات الهداية، ردا على مبالغتهم في وصفهم له بالضلال، فهم قد نسبوا له صورا كثيرة من الضلال، فناسب ذلك المبالغة بالإطناب في نفي ذلك عن نفسه، ثم وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَشْرَفِ الصِّفَاتِ وَأَجَلِّهَا وَهُوَ كَوْنُهُ رَسُولًا إِلَى الْخَلْقِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ذَكَرَ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَهُوَ أَمْرَانِ: الْأَوَّلُ: تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ. وَالثَّانِي: تَقْرِيرُ التَّصِيحَةِ. فَقَالَ: أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، ثم وصف نفسه بالعلم المنافي للجهل الذي من آثاره الضلال، فقال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن إطنابِ البَسْطِ أيضًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾^١.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٢.

ففي الآيةِ إطنابٌ بِتَكَثِيرِ الْجُمْلِ، لأن هذا المعنى أتى موجزًا في سورة البقرة في قوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾^٣.

وفائدة الإطناب هنا بيان أن الملك لا يثبت ولا يدوم بالقوة وحدها، فكم من دول دالت، وكم من ممالك زالت، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئًا، وقد شهد التاريخ سقوطًا مروعا لكثير من العروش، التي ما كان يظن أحد أن تسقط، وشهد إهيارًا لأمم ما كان يتخيل أحد أنها ستنهار، ورأى العالم ذل الملوك الذين طغوا وبعغوا وعتوا وتجبروا، فمنهم من ذبح كما تُذبح الشاة، ومنهم

١ - سورة البقرة: الآية/ ٢٦٦

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ٢٦

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٢٤٧



من مات تحت وطأة الأقدام، ومنهم من صُلب ومنهم من عُلِقَ على أعواد المشانق، ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^١.

وكم من حامل الذكر لا يلقي له أحدٌ بالاً، ولا يعيره أحدٌ التفاتاً، حيزت له الدنيا، وأمسك بمقاليد الأمور، وصار رأساً في الناس بعدما كان مغموراً، فالملك بيد الله تعالى يُؤتية مَنْ تَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

ففي الآيات إطنابٌ بتكثيرِ الجُمَلِ، لأنه كان يكفي في الجواب عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾، قوله تعالى: ﴿بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، لذلك أتى الجواب في سورة البقرة موجزاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^٣.

وفائدة الإطناب هنا بيان منزلة الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَهُمْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وليس كما يظن بعض الناس من أنهم أَمْوَاتٌ، وَأَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ، وَمُسْتَبْشِرُونَ بِإِحْوَانِهِمُ الَّذِينَ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَخَافُونَ مِمَّا يَقْدَمُونَ عَلَيْهِ، وَلَا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكَوهُ وَرَاءَهُمْ.

١ - سورة هُود: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٦٩ : ١٧١

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٥٤



ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^١.

ففي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ إطنابٌ فإن التسيب في عرف الشرع: تنزيه الله جلَّ وعلا عن كلِّ ما لا يليقُ بجلاله وكماله.

وعلى هذا فمعنى «سبَّح»: نزهة ربك جلَّ وعلا عن كلِّ ما لا يليقُ بكماله وجلاله.

وقوله بحمد ربك، أي في حال كونك متلبساً بحمد ربك، أي: بالثناء عليه بجميع ما هو أهله من صفات الكمال والجلال؛ لأنَّ لفظة: بحمد ربك أضيفت إلى معرفة فتعم جميع المحامد من كلِّ وصف كمال وجمال ثابت لله - جلَّ وعلا - فتستغرق الآية الكريمة الثناء بكلِّ كمال؛ لأنَّ الكمال يكون بأمرين:

أحدهما: التحلي بالفضائل، والتنزه عما لا يليق، وهذا معنى التسيب.

والثاني التحلي بالفضائل والإتصاف بصفات الكمال، وهذا معنى الحمد، فتمَّ الثناء بكلِّ كمال.

وقيل: المراد بقوله: فسبِّح بحمد ربك، أي: صلِّ له، وعليه فقوله: وكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، من عطف الخاص على العام، والصلاة تتضمن غاية التنزيه ومنتهى التقدیس. فيكون المراد بقوله: وكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، أي: من المصلين، ويكثر في القرآن العظيم إطلاق التسيب على الصلاة.

وفائدة الإطناب هنا: بيان أهمية السجود، ويكون هذا أيضاً من باب عطف الخاص على العام.

١ - سورة الحجر: الآية/ ٩٧، ٩٨



القسم الثاني إطنابُ الزيادة:

إطنابُ الزيادةُ يَكُونُ بِأَنْوَاعٍ أَحَدُهَا: دُخُولُ حَرْفٍ فَأَكْثَرَ مِنْ حُرُوفِ التَّأْكِيدِ السَّابِقَةِ فِي نَوْعِ الْأَدْوَاتِ وَهِيَ: إِنَّ وَأَنَّ وَلَا أَمْ الْإِبْتِدَاءِ وَالْقَسَمِ وَالْأَلَا الْاسْتِفْتَاحِيَةِ وَأَمَّا وَهَا التَّنْبِيهِ وَكَأَنَّ فِي تَأْكِيدِ التَّشْبِيهِ وَلَكِنَّ فِي تَأْكِيدِ الْإِسْتِدْرَاكِ وَلَيْتَ فِي تَأْكِيدِ التَّمَنِّيِّ وَلَعَلَّ فِي تَأْكِيدِ التَّرْجِيِّ وَضَمِيرُ الشَّانِ وَضَمِيرُ الْفَصْلِ وَأَمَّا فِي تَأْكِيدِ الشَّرْطِ وَقَدْ وَالسَّيْنُ وَسَوْفَ وَالتُّونَانَ فِي تَأْكِيدِ الْفِعْلِيَّةِ وَلَا التَّبَرُّةِ وَلَنْ وَلَمَّا فِي تَأْكِيدِ النَّفْيِ وَإِنَّمَا يَحْسُنُ تَأْكِيدُ الْكَلَامِ بِهَا إِذَا كَانَ الْمُحَاطَبُ بِهِ مُنْكَرًا أَوْ مُتَرَدِّدًا.

ومن أمثلة إطنابِ الزيادة: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١.

ففي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، أَرْبَعُ تَأْكِيدَاتٍ، أُكِّدَ الْكَلَامَ بِ ﴿إِنَّ﴾، وفيها تَأْكِيدَانِ؛ لِأَنَّ "إِنَّ" تَفِيدُ التَّكْرِيرَ مَرَّتَيْنِ، وَإِثْبَاتِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي ﴿إِنَّهُ﴾ (الهاء)، والضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ ﴿هُوَ﴾.

وفائدة الإطنابِ هنا أن فيه تَرْغِيْبًا لِلْعِبَادِ فِي التَّوْبَةِ، وَبَيَانًا لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّوْبَةِ وَالتَّائِبِينَ.

ومنها: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾^٢.

أَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَوْتَ بِنِثَاثِ تَأْكِيدَاتٍ بِ ﴿إِنَّ﴾، وفيها تَأْكِيدَانِ؛ لِأَنَّ "إِنَّ" أَفَادَتِ التَّكْرِيرَ مَرَّتَيْنِ وَتَأْكِيدُ بِاللَّامِ، وَإِذَا اجْتَمَعَتِ إِنَّ وَاللَّامُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ تَكْرِيرِ الْجُمْلَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَأَكَّدَ إِثْبَاتَ الْبَعْثِ بِاللَّامِ.

وفائدة الإطنابِ هنا أن الله تعالى نَزَلَ الْمُحَاطَبِينَ تَنْزِيلَ مَنْ يُنْكَرُ الْمَوْتَ وَذَلِكَ لِتَمَادِيهِمْ فِي الْعَقْلَةِ.

١ - سورة البقرة: الآية/ ٣٧

٢ - سورة المؤمنون: الآية/ ١٥، ١٦



قال أبو حيان: بُولِعَ فِي تَأْكِيدِ الْمَوْتِ تَنْبِيْهَا لِلْإِنْسَانِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ وَلَا يَعْطُلُ عَنْ تَرْقِيهِ فَإِنَّ مَالَهُ إِلَيْهِ فَكَأَنَّهُ أُكِّدَتْ جُمَّلَتُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لِهَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِيهَا غَايَةَ السَّعْيِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَحْتَلِدُ وَلَمْ يُؤَكِّدْ جُمَّلَةَ الْبَعْثِ إِلَّا بِنِ الْإِنَّهُ أُبْرَزَ فِي صُورَةِ الْمَقْطُوعِ بِهِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ فِيهِ نِزَاعٌ وَلَا يَقْبَلُ إِنْكَارًا، وَإِنَّهُ حَتْمٌ لَا بُدَّ مِنْ كِيَانِهِ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى توكيد ثانٍ.

وقد يقول قائل: لم أكّد الله تعالى الموت بتأكيدين، وأكّد إثبات البعث تأكيدًا واحدًا؟

وقد وجد من ينكر البعث ولم نسمع من ينكر الموت؟

والجواب: أن الله تعالى أكّد الموت بتأكيدين لما ذكرناه آنفًا، وأكّد إثبات البعث تأكيدًا واحدًا؛ لِأَنَّ الْبَعْثَ أَدْلَتُهُ ظَاهِرَةٌ يَرَاهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْكُونِ مِنْ حَوْلِهِ، وَلَمَّا كَانَتْ أَدْلَتُهُ ظَاهِرَةً كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ لَا يُنْكَرَ؛ فَنَزَلَ الْمُخَاطَبُونَ مَنْزِلَةَ غَيْرِ الْمُنْكَرِ حَتَّى لَمْ عَلَى النَّظَرِ فِي أَدْلَتِهِ الْوَاضِحَةِ.

ومنها كذلك: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الرُّسُلِ فِي سُورَةِ يَس: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾^٢.

ففي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ نوعان من التأكيد، تأكيد ب ﴿إِنَّ﴾ وتأكيد بالجملة الإسمية.

فلما كذبهم قومهم قالوا ردًا عليهم: ﴿رُبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾^٣.

١ - البحر المحيط في التفسير (٧/ ٥٥٣)

٢ - سورة يس: الآية/ ١٤

٣ - سورة يس: الآية/ ١٦



ففي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ زاد التأكيد فأكد الكلام بالقسم وأكد ب ﴿إِنَّ﴾ وَاللَّامِ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ وهذا إطنابُ الزيادة، بدليل قولهم في المَرَّةِ الأولى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾، وكان يكفي هذا في المَرَّةِ الثَّانِيَةِ.

وفائدة الإطنابِ هنا المبالغةُ في التأكيدِ لمبالغةِ المُخاطَبِينَ في الإنكارِ حيث قالوا للرسول: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾^١.
ومن إطنابِ الزيادةِ أيضًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْرَاهِيمَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^٢.

في الآيةِ إطنابٌ بالزيادةِ في قوله: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، وهو توكيدٌ معنويٌّ. وفائدته: رَفَعُ تَوْهُمِ الْمَجَازِ، وَدَفْعُ ظَنِّ عَدَمِ شُمُولِ الْأَمْرِ لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعُدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣.
في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، إطنابٌ بالزيادةِ، ففي غير كلامِ الله تعالى يكفي أن يقال: (يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيِّقًا)، للإخبار عن ضيق الصدر.

وفائدةُ الإطنابِ هنا بذكر لفظ ﴿حَرَجًا﴾؛ المبالغةُ في بيانِ شِدَّةِ الضِّيقِ فإن الحَرَجَ هُوَ أَشَدُّ الضِّيقِ، فالله تعالى يَجْعَلُ قَلْبَهُ ضَيِّقًا ضَيِّقًا شَدِيدًا لَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْخَيْرِ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُ الْإِيمَانُ عِيَادًا بِاللَّهِ.

١ - سورة يس: الآية / ١٥

٢ - سورة الحجر: الآية / ٣٠

٣ - سورة الأنعام: الآية / ١٢٥



ومنها أيضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^١.

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَكْلِيمًا﴾، إِطْنَابٌ بِالزِّيَادَةِ، لأنَّ المعنى يتم بقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾.

وَفَائِدَةُ الإِطْنَابِ هنا بزيادة لفظ ﴿تَكْلِيمًا﴾؛ رَفَعُ تَوْهُمِ المَجَازِ، فإنَّ الله تَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى عليه السلام كلامًا حقيقيًا وأكده بقَوْلِهِ: ﴿تَكْلِيمًا﴾؛ فأتى التَّوَكِيدُ لِرَفْعِ المَجَازِ فِي الفِعْلِ.

ومنها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^٢.

ففي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، إِطْنَابٌ بِالزِّيَادَةِ فإنَّ السَّفْفَ لا يكون إلا مِنْ فَوْقٍ، وكان يكفي في غير كلام الله تعالى أن يكون الكلام: (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ وَأَتَاهُمُ العَذَابُ).

وَفَائِدَةُ الإِطْنَابِ هنا بزيادة قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، بيان أَنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَهُ عندما خَرَّ السَّفْفُ لأنه رُبَّمَا خَرَّ السَّفْفُ، وَلَا يَكُونُ تَحْتَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا قَالَ: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَهُ، وَأَنَّهُمْ مَاثُوا تَحْتَهُ لما هَدَمَ عَلَيْهِمُ السَّفْفُ.

ومنها قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^٣.

ففي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَاءَكُمْ﴾، إِطْنَابٌ بِالزِّيَادَةِ فإنَّ الرجوع لا يكون إلا إلى الخلف والوراء، وكان يكفي في غير كلام الله تعالى أن يكون الكلام: (ارْجِعُوا فَالْتَمِسُوا نُورًا).

وَفَائِدَةُ الإِطْنَابِ هنا بزيادة قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَاءَكُمْ﴾. أن قوله: ﴿ارْجِعُوا﴾ أمرُ المراد منه التَّوْبِيخُ وَالطَّرْدُ، وليس الإرشاد والدلالة، أي ارْجِعُوا إِلَى المَوْقِفِ حَيْثُ أُعْطِيَ للمُؤْمِنِينَ

١ - سورة البسَاء: الآية/ ١٦٤

٢ - سورة النحل: الآية/ ٢٦

٣ - سورة الحديد: الآية/ ١٣



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

والمؤمناتِ النورِ والنورِ فَالْتَمِسُو النورَ هُنَالِكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَاءَكُمْ﴾، حُدْعَةٌ لِلْمُنَافِقِينَ، كَمَا
كَانُوا يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَتَهَكُّمٌ بِهِمْ كَذَلِكَ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِمَنْ
يُرِيدُ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ: وَرَاءَكَ أَوْسَعُ لَكَ.



القاعدةُ الثانيةُ عشرةُ (القرآنُ في أعلى درجاتِ الفصاحةِ)

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، وهو أحسن الحديث، وهو في أعلى درجة من الفصاحة، وأرفع رتبة في البلاغة، وفصاحة القرآن وجه من وجوه إعجازه، ولفصاحته العالية، وبلاغته الرفيعة، كما قال الوليد بن المغيرة لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكانت رفق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم! إن قومك يرون أن يجتمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قریش أبي من أكثرها مالا، قال: فقل في قولك أنك منكبر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن. والله ما يشبهه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلا، وإنه ليحطم ما تحته»^١.

وقبل أن نتكلم عن فصاحة القرآن وبلاغته، وعن إعجازه الذي بهر العقول، وأدهش الألباب، وسلم له أساطين البلاغة، وسجد له الفصحاء اللسن، نذكر حد الفصاحة والبلاغة، ليتبين المراد، ويُعلم وجه القصد والسداد، وتتميز الدرى من الوهاد.

حدُّ البلاغة:

البلاغة لغة: مصدر (بلغ الرجل) بالضم: إذا صار بليغا.^٢

ورجلٌ بليغٌ: حسنُ الكلامِ فصيحُه، يُبليغُ بعبارةٍ لسانه كنهه ما في قلبه.^٣

١ - رواه البيهقي في دلائل النبوة

٢ - الكليات (ص: ٢٣٦)

٣ - انظر لسان العرب (٨ / ٤٢٠)



واصطلاحًا:

قال أبو هلال العسكري: (وهي إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة).^١

وقال الرومي: (البلاغة هي الأقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة).

وقال الفارسي: (البلاغةُ معرفة الفصل من الوصل).^٢

وقيل البلاغةُ في الكلام: مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحتها).^٣

وقال السكاكي: (بلاغة المتكلم بُلُوغُه في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص

التركيب حَقْفَها، وإيراد أنواع التشبيه، والمجاز، والكناية على وجهها).^٤

وقيل: (بُلُوغُه في كلامه لعبارة كنه مُرادُه مع إيجاز بلا إخلال، وإطالة بلا إملا، وقيل:

ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ).^٥

وعلى هذا فالبلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد

على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان

فعلى هذا فكما ازداد الكلام في المطابقة للمعنى وشرف الألفاظ ورونق المعاني والتجنب

عن الركيك المستغث كان بلاغته أزيد.^٦

١ - معجم الفروق اللغوية (ص: ٣٠)

٢ - البصائر والذخائر (٢ / ٦٥)

٣ - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٩٣)

٤ - مفتاح العلوم (ص: ٤١٥)

٥ - معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص: ٩٣)

٦ - الكليات (ص: ٢٣٦)



حدُّ الفصاحة:

الفصاحة لغةً: الخلوص، ومنه: فصَحَ وأفصَحَ فهو مفصِحٌ وفصيحٌ، أي: خلصَ من الرِّغوة. ومنه قولهم: وَتَحَتِ الرِّغْوَةُ اللَّبَنُ الفَصِيحُ.

ومنه: فصَحَ الرَّجُلُ إذا جادت لُغته، وأفصح: تكلم بالعربية.

وأما في اصطلاح أهل البيان، فهي: صوغ الكلام على وجه له توفيقية بتمام الإفهام لمعناه بتبيين المراد، وتزيين الألفاظ بما يقرب فهمه، ويعزب نظمه، ويعذب استماعه، ويعجب ابتداعه، وتدل مطالعه على مقاطعه، وتنم مبادئه على تواليه لا باستعمال الشوارد التي لا تفهم، ولا الأوباد التي لا تعلم.

وقيل الفصاحة هي: خلوص الكلمة من تنافر الحروف، كقوله: تَرَعى الهُعُجَع. ومن الغرابة، كقوله: وَمَرَسِنًا مُسَرَّجًا.

ومن مخالفة القياس اللغوي كقوله: العليُّ الأجلل.

وخلوص الكلام من ضعف التأليف كقوله:

جَزَى رَبُّهُ عَنِّي عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ.

ومن تنافر الكلمات كقوله:

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ ***** وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

ومن التعقيد، وهو إما إخلال نظم الكلام فلا يُدرى كيف يتوصل إلى معناه، كقوله:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَ ***** أَبُو أُمِّهِ حَيُّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ



وإما عدم انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهرُ كقوله:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُؤُوا **** وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا

فانظر هل ترى في القرآن شيئاً مما ذُكِرَ مما يقدحُ في فصاحةِ الكلام، أو يُوسِمُ بأنه ركيكٌ من الألفاظ، أو هل ترى فيه تنافراً بين حروفه، أو لفظاً غريباً يصعب في النطق، أو ينبو عنه السمع؟ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^١.

من الأمثلة على أن القرآن في أعلى درجات الفصاحة؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٢. وفيها تكرر حرف الميم ست عشرة مرة، ومع ذلك لا يشعر القارئ بشيء من العسر عند النطق بها، ولا بشيء من الثقل عند سماعها.

ثم انظر إلى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَمَ يُتَقَبَّلُ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^٣.

وفيها تكرر حرف القاف عشر مرات، ولا يكاد القارئ يشعر بتوالي هذا الحرف مع شدته وقلقلته، وجهره، واستعلائته، ومع ذلك لا يشعر القارئ إلا بسهولة النطق، وسلاسة الألفاظ.

وصدق الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٤.

١ - سورة المُلْكِ: الآية/ ٣، ٤

٢ - سورة هُودٍ: الآية/ ٤٨

٣ - سورة المَائِدَةِ: الآية/ ٢٧

٤ - سورة الْقَمَرِ: الآية/ ١٧



عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «جَاءَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. قَالَ: أَعِدْ، فَأَعَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثَمِّرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُعْدِقٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ»^١.

قلنا إن القرآن في أعلى دَرَجاتِ الفصاحةِ، وأرفعِ مقاماتِ البلاغةِ، وذكرنا أمثلة من كتاب الله تعالى يتضح بها المراد، ويُعلم بها القصدُ والسدادُ، وتتميز بها الدرَى من الوهاد. وهذه شواهد من كلام أربابِ الفصاحةِ، وأساطينِ البلاغةِ، تنبئُ عن البونِ الشاسعِ، والفرقِ الهائلِ بين كلامِ البشرِ، وكلامِ ربِ البشرِ سبحانه وتعالى.

ذكر أبو عبيدة: (أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فسجد وقال: «سجدت لفصاحته».

وسمع آخر يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^٢.

فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مَخْلُوقًا لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَحِكْيِي: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ بِقَائِمٍ عَلَى رَأْسِهِ يَتَشَهَّدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَاسْتَحَبَّرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ ذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ يَمُنُّ بِمَنْ يُحْسِنُ كَلَامَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهَا وَأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِكُمْ فَتَأَمَّلْتُهَا فَإِذَا قَدْ جُمِعَ فِيهَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^٣.

١ - رواه البيهقي في دلائل النبوة - باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يُشبهه شيئاً من لغاتهم مع كونه من أهل اللغة وأرباب اللسان (١٩٩/٢)

٢ - سورة يوسف: الآية/ ٨٠

٣ - سورة التور: الآية/ ٥٢



وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ: أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ، فَقَالَ لَهَا: «قَاتَلِكِ اللَّهُ مَا أَفْصَحَكَ!»
 فَقَالَتْ: أَوْ يَعِدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^١.
 فَجَمَعَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَهَيْئَيْنِ، وَخَبْرَيْنِ، وَبِشَارَتَيْنِ^٢.
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأَثُونِي
 مُسْلِمِينَ﴾^٣.

جمع في ثلاثِ كلماتٍ بين: العنوانِ، والكتابِ، والحاجةِ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ﴾^٤.

قال بعض العلماء هذه الآية: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ...﴾ من
 عجائب القرآن لأنها بلفظة ﴿يَا﴾ نادت، و: ﴿أَيُّهَا﴾ نَبَّهت، و: ﴿النَّمْلُ﴾ عَيَّنت، و:
 ﴿ادْخُلُوا﴾ أمرت، و: ﴿مَسَاكِنَكُمْ﴾ نصَّت، و: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ حذَّرت، و: ﴿سُلَيْمَانُ﴾
 خصت، و: ﴿وَجُنُودُهُ﴾ عمَّت، و: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ اعتذرت.

فجمع في هذه الآية على لسان النملة بين النداء، والتنبيه، والأمر، والنهي، والتحذير،
 والتخصيص، والعموم، والإشارة، والإعذار.

قال ابن كثير رحمه الله: (وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَجَمِيعُهُ فَصِيحٌ فِي غَايَةِ نَهَايَاتِ الْبَلَاغَةِ عِنْدَ مَنْ يَعْرِفُ
 ذَلِكَ تَفْصِيلاً وَإِجْمَالاً مِمَّنْ فَهَمَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَتَصَارِيفَ التَّعْبِيرِ، فَإِنَّهُ إِنْ تَأَمَّلْتَ أَحْبَابَهُ وَجَدْتَهَا فِي
 غَايَةِ الْحَلَاوَةِ، سَوَاءً كَانَتْ مَبْسُوطَةً أَوْ وَجِيزَةً، وَسَوَاءً تَكَرَّرَتْ أَمْ لَا وَكُلَّمَا تَكَرَّرَ حَلَا وَعَلَا لَا

١ - سُورَةُ الْفُصَصِ: الْآيَةُ/ ٧

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحاشية الشمني (١/ ٢٦٢، ٢٦٣)

٣ - سُورَةُ النَّمْلِ: الْآيَةُ/ ٣٠، ٣١

٤ - سُورَةُ النَّمْلِ: الْآيَةُ/ ١٨



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مِصطَفَى دِيَابِ

يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا يَمَلُّ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِنْ أَخَذَ فِي الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ جَاءَ مِنْهُ مَا تَفْشَعِرُ مِنْهُ الْجِبَالُ الصُّمَّ الرَّاسِيَاتِ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْقُلُوبِ الْفَاهِمَاتِ، وَإِنْ وَعَدَ أَنْتَى بِمَا يَفْتَحُ الْقُلُوبَ وَالْأَذَانَ، وَيُسَبِّحُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَمُجَاوِرَةِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، كَمَا قَالَ فِي التَّرْغِيبِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١.

وَقَالَ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٢.

وَقَالَ فِي التَّرْهِيْبِ: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾^٣.

﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾^٤.

وَقَالَ فِي الزَّجْرِ: ﴿فَكُلَا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^٥.

وَقَالَ فِي الْوَعظِ: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾^٦.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْحَلَاوَةِ، وَإِنْ جَاءَتْ الْآيَاتُ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَمْرِ بِكُلِّ مَعْرُوفٍ حَسَنٍ نَافِعٍ طَيِّبٍ مَحْبُوبٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ رَذِيلٍ دَنِيءٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَعَبِيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ: إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَأَوْعِهَا سَمْعَكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ مَا يُأْمُرُ بِهِ أَوْ شَرٌّ يُنْهَى عَنْهُ.

١ - سُورَةُ السَّجْدَةِ: الْآيَةُ/ ١٧

٢ - سُورَةُ الرَّحْمَةِ: الْآيَةُ/ ٧١

٣ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ/ ٦٨

٤ - سُورَةُ الْمُلْكِ: الْآيَةُ/ ١٦، ١٧

٥ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَةُ/ ٤٠

٦ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: الْآيَةُ/ ٢٠٥- ٢٠٧



ولهذا قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. الآية^١.

وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأحوال وفي وصف الجنة والنار وما أعد الله فيهما لأولياؤه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشرت به وحذرت وأنذرت؛ ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وهدت في الدنيا ورعبت في الآخرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشيطان الرجيم^٢.

وقال شهاب الدين القسطلاني: (والثاني: أن إعجازه هو الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم، والنثر، والخطب، والشعر، والرجز، والسجع، فلا يدخل في شيء منها، ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه من جنس كلامهم، ومستعملة في نظمهم ونثرهم، ولذلك تحيرت عقولهم، وتدهت أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في حسن كلامهم، فلا ريب أنه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه، وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه، فإنه حجة الله الواضحة، ومحجته اللائحة، ودليله القاهر، وبرهانه الباهر، ما رام معارضته شقي إلا تهاقت تهاقت الفراش في الشهاب، وذلّ ذلّ النقد حول الليوث الغضاب.

وقد حكى عن غير واحد ممن عارضه أنه اعترته روعة وهيبة كفتته عن ذلك، كما حكى عن يحيى بن حكيم الغزالي - بتخفيف الزاي وقد تشدد - وكان بليغ الأندلس في زمانه أنه قد رام شيئاً من هذا، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج بزعمه على منوالها، فاعترته خشية ورقة، حملته على التوبة والإنابة.

وحكى أيضاً أن ابن المقفع - وكان أفصح أهل وقته - أنه طلب ذلك ورامه، ونظم كلاماً وجعله مفصلاً، وسماه سورا، فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي

١ - سورة الأعراف: الآية/ ١٥٧

٢ - تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٠)



مَاءُكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴿١﴾. الآية، فرجع ومحي ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يُعَارِضُ أَبَدًا، وما هو من كلام البشر).^١

قال صاحب سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد: (ووجه إعجازه معلوم ضرورة بجزالة لفظه، وفخامة تأليفه، وبلوغه أقصى درجات مراتب البلاغة والفصاحة وحسن التثام كلماته ونظم آياته وبراعة إيجازه وغرابة فنونه وفصاحة وجوه فواتحه وخواتمه، فلا يحتاج العلم به إلى دليل).^٢

وقال أبو عيسى الرماني: (فأما البلاغة فهي على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في والوسائط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها بقية فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلاغاء من الناس، وليست البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيبي، ولا البلاغة أيضًا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره، ونافر متكلف).

وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

فأعلاها طبقةً في الحُسْنِ بلاغةُ القرآنِ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم، كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة، كما أن ذلك معجز للكافة).^٣

١ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢/ ٢٤٦)

٢ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٩/ ٤٠٨)

٣ - اعجاز القرآن للرماني (ص: ٧٥، ٧٦)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام



وقال أبو بكر الجصاص: (وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْقُرْآنَ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ التَّحْدِي لِلْعَجْمِ وَقِعًا بَأَنْ يَأْتُوا بِكَلَامٍ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ بِلُغَتِهِمُ الَّتِي يَتَكَلَّمُونَ بِهَا).^١

قال أبو بكر الباقلائي: (وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدٍ واحدٍ، في حسنِ النظمِ، وبديعِ التأليفِ والرصفِ، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا.

وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍ واحدٍ لا يختلف.

وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بينا، ويختلف اختلافاً كبيراً.

ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة.

فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر، لأن الذي يقدرون عليه قد بينا فيه التفاوت الكثير، عند التكرار وعند تباين الوجوه، واختلاف الاسباب التي يتضمن).^٢

وقال الزرقاني: (أبرع الشعراء لم يكتب له التبريز والإجادة والجمع بين المعنى الناصع واللفظ الجامع إلا في أبيات معدودة، من قصائد محدودة، أما سائر شعرهم بعد فبين متوسط ورديء، وها هم أولاء يعلنون حكمهم هذا نفسه أو أقل منه على الناثرين من الخطباء والكتاب.

وإن أردت أن تلمس بيدك هذه الخاصة فافتح المصحف الشريف مرة واعمد إلى جملة من كتاب الله وأحصها عدداً، ثم خذ بعدد تلك الكلمات من أي كلام آخر، وقارن بين الجملتين، ووازن بين الكلامين، وانظر أيهما أملاً بالمعاني مع القصد في الألفاظ ثم انظر أي كلمة تستطيع أن

١ - أحكام القرآن للجصاص (٣ / ٢٧١)

٢ - إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٨)



تسقطها أو تبدلها بما هو خير منها في ذلك الكلام الإلهي، وكم كلمة يجب أن تسقطها أو تبدلها في ذلك الكلام البشري؟

إنك إذا حاولت هذه المحاولة فستنتهي إلى هذه الحقيقة التي أعلنها ابن عطية فيما يحكي السيوطي عنه وهو يتحدث عن القرآن الكريم إذ يقول لو نزعنا منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد.

وذلك بخلاف كلام الناس مهما سما وعلا، حتى كلام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أوتي جوامع الكلم، وأشرقت نفسه بنور النبوة والوحي، وصيغ على أكمل ما خلق الله، فإنه مع تحليقه في سماء البيان وسموه على كلام كل إنسان، لا يزال هناك بون بعيد بينه وبين القرآن، وسبحان الله وبحمده سبحانه الله العظيم).^١

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل: (اصطفى الله من ألفاظ اللغة العربية أفصحها وأيسرها على اللسان، وأسهلها على الأفهام، وأمتعها للأذان، وأقواها تأثيراً على القلوب، وأوفاهها تأدية للمعاني، ثم ركبها تركيباً محكم البنیان، لا يدانيه في نسجه كلام البشر من قريب ولا من بعيد، وذلك لما يكمن في ألفاظه من الإيحاءات التي تعبر إلى خلجات النفس، وتفتح شغاف القلوب.

وما يكون في تركيبه من ألفة عجيبة، وانسجام وثيق بين هذه الألفاظ، مهما تقاربت مخارج حروفها أو تباعدت.

فقد جاء رصف المباني وفق رصف المعاني، فالتقى البحرين على أمر قد قُدِرَ، فاستساغته جميع القبائل على اختلاف لهجاتها قراءة وسماعاً.

١ - مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/٣٢٥)



واستسلمت لهذا النسق الفريد، والترتيب العجيب أساطين البلاغة في كل زمان ومكان، واستمدت منه النفوس المؤمنة روحها وريحانها، فلم يشبع من دراسته العلماء، ولم يمل تلاوته أحد من الأتقياء).^١

وَقَالَ حَازِمٌ فِي مِنْهَاجِ الْبُلْغَاءِ: إِنَّ الْإِعْجَازَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ اسْتَمَرَّتِ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ أُنْحَائِهَا فِي جَمِيعِهِ اسْتِمْرَارًا لَا تُوجَدُ لَهُ فَتْرَةٌ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ وَمَنْ تَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ لَا تَسْتَمِرُّ الْفَصَاحَةُ وَالْبَلَاغَةُ فِي جَمِيعِ أُنْحَائِهَا فِي الْعَالِي مِنْهُ إِلَّا فِي الشَّيْءِ الْيَسِيرِ الْمَعْدُودِ ثُمَّ تَعْرِضُ الْفَتْرَاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ فَتَقْطَعُ طَيِّبَ الْكَلَامِ وَرَوْنَقَهُ فَلَا تَسْتَمِرُّ لِذَلِكَ الْفَصَاحَةُ فِي جَمِيعِهِ بَلْ تُوجَدُ فِي تَفَارِيقٍ وَأَجْزَاءٍ مِنْهُ وَالْفَتْرَاتُ فِي الْفَصَاحَةِ تَقَعُ لِلْفَصِيحِ إِمَّا بِسَهْوٍ يَعْزِضُ لَهُ فِي الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِهِ أَوْ مِنْ جَهْلٍ بِهِ أَوْ مِنْ سَامَةِ تَعْتَرِي فِكْرَهُ أَوْ مِنْ هَوَى لِلنَّفْسِ يَغْلِبُ عَلَيْهَا فِيمَا يَحُوشُ عَلَيْهَا حَاطِرُهُ مِنْ اقْتِنَاصِ الْمَعَانِي سَمِينًا كَانَ أَوْ عَثًّا فَهَذِهِ آفَاتٌ لَا يَخْلُو مِنْهَا الْإِنْسَانُ الْفَاضِلُ وَالطَّبَعُ الْكَامِلُ.^٢

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: (ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ مِنْ عِلْمَاءِ النَّظَرِ إِلَى أَنْ وَجِهَ الْإِعْجَازُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لَكِنْ صَعِبَ عَلَيْهِمْ تَفْصِيلُهَا وَصَعَوْا فِيهِ إِلَى حُكْمِ الذَّوْقِ).

قَالَ: وَالْعِلَّةُ فِيهِ أَنَّ أَجْنَاسَ الْكَلَامِ مُخْتَلِفَةٌ، وَمَرَاتِبَهَا فِي دَرَجَاتِ التَّبْيَانِ مُتَفَاوِتَةٌ، وَدَرَجَاتُهَا فِي الْبَلَاغَةِ مُتَبَايِنَةٌ، غَيْرَ مُتَسَاوِيَةٍ، فَمِنْهَا الْبَلِيغُ الرَّصِينُ الْجَزْلُ، وَمِنْهَا الْفَصِيحُ الْقَرِيبُ السَّهْلُ، وَمِنْهَا الْجَائِزُ الطَّلُقُ الرَّسْلُ.

وهذه أقسامُ الكلامِ الفاضلِ المَحْمُودِ، دون النوع الهجين المذموم، الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة.

فالقسمُ الأوَّلُ: أعلا طبقات الكلام وأرفع.

١ - دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر إسماعيل (ص: ٣٢٨)

٢ - نقلا عن البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٠١)، ولم أجد النص في المطبوع من منهاج البلغاء.



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مصطفى دياب

والقسم الثاني: أوسطه وأقصده.

والقسم الثالث: أدناه وأقربه.

فَحَارَتْ بِلَاغَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ قِسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حِصَّةً، وَأَخَذَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ شُعْبَةً، فَانْتَظَمَ لَهَا بِامْتِزَاجِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ نَمَطٌ مِنَ الْكَلَامِ يَجْمَعُ صِفَتِي الْفَحَامَةِ وَالْعُدُوْبَةِ، وَهُمَا عَلَى الْإِنْفِرَادِ فِي نُعُوْتِهِمَا كَالْمُتَضَادِّينِ لِأَنَّ الْعُدُوْبَةَ نِتَاجُ السُّهُولَةِ، وَالْجَزَالَهَ وَالْمَتَانَةَ يُعَالِجَانِ نَوْعًا مِنَ الْوُعُورَةِ فَكَانَ اجْتِمَاعُ الْأَمْرَيْنِ فِي نَظْمِهِ مَعَ نُبُوِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ فَضِيلَةً حُصَّ بِهَا الْقُرْآنُ؛ لِيَكُونَ آيَةً بَيِّنَةً لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَلَالَةً لَهُ عَلَى صِحَّةِ مَا دَعَا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ.

وَأَمَّا تَعَدَّرَ عَلَى الْبَشْرِ الْإِنْتِيَانُ بِمِثْلِهِ لِأُمُورٍ مِنْهَا أَنَّ عِلْمَهُمْ لَا يُحِيطُ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَبِالْفَاطِحَاتِ الَّتِي هِيَ ظُرُوفُ الْمَعَانِي، وَلَا تُدْرِكُ أَفْهَامُهُمْ جَمِيعَ مَعَانِي الْأَشْيَاءِ الْمَحْمُولَةِ عَلَى تِلْكَ الْأَلْفَاطِ، وَلَا تَكْمُلُ مَعْرِفَتُهُمْ لِاسْتِيفَاءِ جَمِيعِ وُجُوهِ النُّظُومِ الَّتِي بِهَا يَكُونُ اثْتِنَافُهَا، وَارْتِبَاطُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَيَتَوَصَّلُونَ بِاخْتِيَارِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْأَحْسَنِ مِنْ وُجُوهِهَا إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِكَلَامٍ مِثْلِهِ، وَإِنَّمَا يَقُومُ الْكَلَامُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ: لَفْظٌ حَاصِلٌ، وَمَعْنَى بِهِ قَائِمٌ، وَرِبَاطٌ هُمَا نَاطِمٌ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْقُرْآنَ وَجَدْتَ هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْهُ فِي عَايَةِ الشَّرْفِ وَالْفَضِيلَةِ حَتَّى لَا تَرَى شَيْئًا مِنَ الْأَلْفَاطِ أَفْصَحَ وَلَا أَجْزَلَ وَلَا أَعْدَبَ مِنْ أَلْفَاطِهِ، وَلَا تَرَى نَظْمًا أَحْسَنَ تَأْلِيْفًا، وَأَشَدَّ تَلَاوُْمًا وَتَشَاكُلًا مِنْ نَظْمِهِ، وَأَمَّا الْمَعَانِي فَلَا خَفَاءَ عَلَى ذِي عَقْلِ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لَهَا الْعُقُولُ بِالتَّقَدُّمِ فِي أُنْبُوَاهَا، وَالتَّرَقِّيِّ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْفَضْلِ مِنْ نَعُوْتِهَا وَصِفَاتِهَا.

وَقَدْ تُوجَدُ هَذِهِ الْفَضَائِلُ الثَّلَاثُ عَلَى التَّفَرُّقِ فِي أَنْوَاعِ الْكَلَامِ، وَأَمَّا أَنْ تُوجَدَ بِمَجْمُوعَةٍ فِي نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهُ فَلَمْ تُوجَدْ إِلَّا فِي كَلَامِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ، الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.



فتفهم الآن واعلم أنَّ القرآنَ إنما صارَ مُعْجِزًا لِأَنَّهُ جَاءَ بِأَفْصَحِ الْأَلْفَاظِ فِي أَحْسَنِ نُظُومِ التَّأْلِيفِ مُضْمِنًا أَصَحَّ الْمَعَانِي).^١

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ أَيْضًا: (وَقَدْ قُلْتُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَجْهًا ذَهَبَ عَنْهُ النَّاسُ وَهُوَ صَنِيعُهُ فِي الْقُلُوبِ وَتَأْثِيرُهُ فِي النُّفُوسِ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ كَلَامًا غَيْرَ الْقُرْآنِ مَنْظُومًا وَلَا مَنْثُورًا إِذَا قَرَعَ السَّمْعَ خَلَصَ لَهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ فِي حَالٍ وَمِنَ الرَّوَعَةِ وَالْمَهَابَةِ فِي حَالٍ آخَرَ مَا يَخْلُصُ مِنْهُ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ﴾ ، وَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ انتهى.^٢

وكان طبيعيًا أن يستكين العرب أمام هذه الذروة الرفيعة من البلاغة والبيان، وهي ذروة ليس لها في اللغة العربية سابقة ولا لاحقة، ذروة جعلت العرب حين يستمعون إلى آية تعنو وجوهم لربهم، ويخرون ركعا وسجداً مشدوهين بجماله مبهورين ببلاغته، وفي ذلك يقول جل وعز: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، ويقول: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ﴾. ولا يزال هذا الشعور الذي كان يختلج في قلوب العرب الأولين تحفق به القلوب في كل عصر لما يفتح من آفاق العالم العلوي، ولما يؤثر به في صميم الوجدان الروحي، وهو يمتاز بأسلوبٍ خاصٍ به ليس شعراً، ولا نثرًا مسجوعاً، وإنما هو نظمٌ بديعٌ، فصلت آياته بفواصلٍ تنتهي بها، وتطمئن النفس إلى الوقوف عندها.

وتتنوع الفواصل بين طوال، وقصار ومتوسطة بتنوع موضوعاته وتنوع المخاطبين، فقد كان يغلب عليه الإيجاز والإشارة في بدء الدعوة قبل الهجرة، حين كان يدعو إلى عبادة الله ونبذ الديانة الوثنية، والإيمان بالبعث والنشور، فلما انتقل الرسول عليه السلام إلى المدينة غلب عليه

١ - بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص: ٢٦، ٢٧)

٢ - بيان إعجاز القرآن للخطابي (ص: ٧٠)



البسط، والإطناب لبيان نظم الشريعة، وما ينبغي أن يكون عليه نظام الحياة الاجتماعية، مما تقتضيه مصالح البشر في حياتهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة.^١

وقال الراغب: (فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكام في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفرغ حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطياب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة).^٢

(والإعجاز في كلام الله تعالى أن يُؤدّي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق. فإعجاز كلام الله تعالى إنما هو بهذا الطريق وهو كونه في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة على ما هو الرأى الصحيح).^٣

وإنما أطلت النفس في النقل عن أئمة الإسلام ردًا على من يتوهم أن القرآن ككلام البشر، يعتريه من الضعف ما يعتري كلام البشر، أو أن فصاحته يدانيها كلام الفصحاء، وتقاربها أساليب البلاغاء.

١ - الفن ومذاهبه في النثر العربي (ص: ٤٦)

٢ - المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٥)

٣ - دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١/ ٩٧)



القَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ عَشْرَةَ: (الْوُقُوفُ عَلَى مَعَانِي الْحُرُوفِ)

من أعظم أسباب التدبر، ومن قواعد التي ينبغي تعلمها: الوقوف على معاني الحروف، فإن الأصل في الحرف أن يوضع لمعنى واحد، وقد يتوسع فيه، فيستعمل في غيره، وقد يرد الحرف الواحد لمعان كثيرة، لا بد من الوقوف على تلك المعاني لمعرفة المراد من الكلام. وقد ذكر بعض النحويين للحرف نحوًا من خمسين معنى، وزاد غيره معاني آخر.

المراد بحروف المعاني:

حد الحرف:

قيل: الحرف: ما جاء لمعنى، ليس فيه معنى اسم ولا فعل.^١

وقيل: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط.^٢

سبب تسمية الحرف بذلك:

اختلف النحاة في علة تسميته حرفًا.

فقيل: سمي بذلك، لأنه طرف في الكلام، والحرف، في اللغة، هو الطرف، ومنه قولهم: حرف الجبل، أي: طرفه وهو أعلاه المحدد.

وقيل: لأنه يأتي على وجه واحد. والحرف، في اللغة، هو الوجه الواحد. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]، أي: على وجه واحد. وهو أن يعبده على السراء دون الضراء.^٣

١ - الجمل (١/٢)

٢ - انظر الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٠)، وشرح كتاب الحدود في النحو (ص: ١٠٢)

٣ - الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٢٤)



الفرق بين حرف المعنى وحرف الهجاء:

والفرق بين حرف المعنى وحرف الهجاء: أنّ حرف الهجاء جزء من الكلمة، وحرف المعنى كلمةٌ بذاتها.

أقسام حروف المعاني:

تنقسم حروف المعاني إلى خمسة أقسام: أحادي، وثنائي، وثلاثي، ورباعي، وخماسي.

عدة حروف المعاني:

ذكر بعض النحويين أن جملة حروف المعاني ثلاثة وسبعون حرفاً، وبلغ بها بعضهم مائة حرف، مختلف في بعضها.

وقد اخترت بعضاً من هذه الحروف التي لها أكثر من معنى في كتاب الله تعالى، وبيان معناها في كل موضع.



الحرف الأول: (الهمزة)

الهمزة تكون للاستفهام، وللنداء. وما عدا هذين، من أقسام الهمزة، فليس من حروف المعاني.

همزة الاستفهام:

الهمزة حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو تصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟

والهمزة أصل أدوات الاستفهام، ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير بتقديمها على الفاء والواو وثم، في نحو ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الرؤم: ٩]، ﴿أَتُمِّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [يونس: ٥١].

وهمزة الاستفهام قد ترد لمعان آخر، بحسب سياق الكلام، وإن كان الأصل فيها الاستفهام.

الأول: التسوية: نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

الثاني: التقرير: وهو توقيف المخاطب على ما يعلم ثبوته أو نفيه. نحو قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾. [المائدة: ١١٦].

الثالث: التوبيخ: نحو: ﴿أَأَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. [الأحقاف: ٢٠]، وقد اجتمع التقرير والتوبيخ في قوله تعالى ﴿أَلَمْ نُزِدْكَ فِيْنَا وَلِيدًا﴾. [الشعراء: ١٨].

الرابع: التهكم نحو: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ﴾ [هود: ٨٧].

الخامس: التذكير نحو: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦].

السادس: التهديد نحو: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْوَالِينَ﴾ [المزلات: ١٦].

السابع: التنبيه نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الحج: ٦٣].



الثامن: التعجب نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤].

التاسع: الاستبطاء نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحديد: ١٦].

العاشر: الإنكار نحو: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ [الصافات: ١٥٣].

وأما همزة النداء فهي حرف مختص بالاسم، كسائر أحرف النداء، ولا ينادى بها إلا القريب مسافة وحكمًا.

وجعل بعضهم من ذلك قراءة الحرميين: ﴿أَمْرٌ هُوَ قَانِتٌ﴾ [الرؤم: ٩]، بتخفيف الميم.



الثاني: (حرف الباء)

الباء حرف مختص بالاسم، ملازم لعمل الجبر.

ولها ثلاثة عشر معنى:

الأول: الإلصاق.

الثاني: التعديدية وباء التعديدية هي القائمة مقام الهمزة، في إيصال معنى اللازم إلى المفعول به.

نحو ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧]، و ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾^١.

الثالث: الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل. نحو: كتبت بالقلم، وضربت بالسيف. ومنه

في أشهر الوجهين ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^٢.

الرابع: التعليل: قال ابن مالك: هي التي تصلح غالبًا في موضعها اللام. كقوله تعالى

﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾ [النساء: ١٦٠]، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾^٣.

الخامس: المصاحبة ولها علامتان: إحداهما أن يحسن في موضعها مع، والأخرى أن يغني

عنها وعن مصحوبها الحال، كقوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ [النساء: ١٧٠]، أي: مع

الحق، أو محققًا. و ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود: ٤٨]، أي: مع سلام، أو مسلمًا عليك.

ولصلاحية وقوع الحال موقعها، سماها كثير من النحويين باء الحال.

السادس: الظرفية وعلامتها أن يحسن في موضعها في. نحو: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ [آل

عمران: ١٢٣]، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، وهي

كثيرة في الكلام.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٠

٢ - سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: الآيَةُ / ١

٣ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآيَةُ / ٤٠



فليت لي، بهم قومًا، إذا ركبوا ***** شنوا الإغارة، فرسانًا، وركبانًا

السابع: البديل وعلامتها أن يحسن في موضعها بدل. كقول الحماسي:

وفي الحديث: «مَا يَسُرُّنِي بِهَا حُمْرُ النَّعَمِ»^١. أي: بدلها.

الثامن: المقابلة قال ابن مالك: هي الباء الداخلة على الأثمان والأعواض. نحو: اشتريت

الفرس بألف، وكافأت الإحسان بضعف. وقد تسمى باء العوض.

ولم يذكر أكثرهم هذين المعنيين، أعني: البديل والمقابلة. وقال بعض النحويين: زاد بعض

المتأخرين في معاني الباء أنها تجيء للبديل والعوض، نحو: هذا بذاك، أي: هذا بدل من ذلك

وعوض منه. قال: والصحيح أن معناها السبب؛ ألا ترى أن التقدير: هذا مستحق بذاك، أي

بسببه.

التاسع: المجاوزة وعبر بعضهم عن هذا بموافقة عن، وذلك كثير بعد السؤال؛ نحو: ﴿فَأَسْأَلُ

بِهِ خَيْرًا﴾، [الْفُرْقَانِ: ٥٨]، و ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^٢.

قليل بعد غيره؛ نحو: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٥]، أي: وعن أيماهم. كذا

قال الأخفش. قلت: أما كونها بمعنى (عن) بعد السؤال فهو منقول عن الكوفيين، وتأوله

الشلوبين على أن الباء في ذلك سببية، أي: فاسأل بسببه. وقال بعضهم: هو من باب التضمنين،

أي: فاعتن به، أو فاهتم به.

العاشر: الاستعلاء وعبر بعضهم عنه بموافقة على، وذكروا لذلك أمثلة منها قوله تعالى:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧٥]، أي: على قنطار، كما قال:

١ - روا الطبراني في الأوسط - حديث رقم: ٦٣٢٢

٢ - سُورَةُ الْمَعَارِجِ: الآية/ ١



﴿هَلْ أَمْنَكُم عَلَيْهِ﴾ [يُوسُفَ: ٦٤]، ومنها: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٣٠]، أي: عليهم، كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾^١.

الحادي عشر: التبعض وعبر بعضهم عن هذا بموافقة (من)، يعني التبعضية، وفي هذا المعنى خلاف، ومن ذكره الأصمعي، والفارسي في التذكرة. ونُقِلَ عن الكوفيين، وقال به القتيبي وابن مالك. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الْإِنْسَانِ: ٦]، أي: منها.

الثاني عشر: أن تكون بمعنى (إلى) نحو قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يُوسُفَ: ١٠٠]، أي: إلي. وأوَّلَ على تضمين ﴿أَحْسَنَ﴾ معنى: لطف.^٢

١ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ١٣٧

٢ - الجنى الداني في حروف المعاني (ص: ٤٥)



الثالث: (أَنَّ) الْمَفْتُوحَةُ الْهَمْزَةُ السَّاكِنَةُ النَّوْنِ

قال الزركشي: تَرَدُّ لِمَعَانٍ:

الأوَّلُ: حَرْفًا مَصْدَرِيًّا نَاصِبًا لِلْفِعْلِ الْمُضَارِعِ وَتَقَعُ مَعَهُ فِي مَوْجِعِ الْمُبْتَدَأِ وَالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

فَالْمُبْتَدَأُ يَكُونُ فِي مَوْجِعِ رَفْعٍ، نَحْوُ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ خَيْرٌ لهنَّ﴾ [النور: ٦٠]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^١.

الثَّانِي: مُحْفَفَةً مِنَ التَّقْيِيلَةِ فَتَقَعُ بَعْدَ فِعْلِ الْيَقِينِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَيَكُونُ اسْمَهَا ضَمِيرَ الشَّانِ وَتَقَعُ بَعْدَهَا الْجُمْلَةُ حَبْرًا عَنْهَا نَحْوُ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩]، ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ [المائدة: ٧١]، ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ [الجن: ١٦]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٢.

وجعل ابن الشجري منه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٤]، أَي: أَنَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ.

الثَّالِثُ: مُفَسَّرَةٌ بِمَنْزِلَةِ أَيِّ الَّتِي لِتَفْسِيرِ مَا قَبْلَهَا بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

تَمَامَ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْجُمْلَةِ.

وَعَدَمَ تَعَلُّقِهَا بِمَا بَعْدَهَا.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٣٧

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ١٠



وَأَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الَّذِي تُفَسِّرُهُ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصفات: ١٠٤]، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي﴾ [البقرة: ١٢٥]؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾^١.

الرابع: زائدةٌ وتكونُ بعدَ (لَمَّا) التَّوْقِيئِيَّةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾. [العنكبوت: ٣٣]. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [هود: ٧٧]، فَجَاءَ فِيهَا عَلَى الْأَصْلِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [يوسف: ٩٦]، فَجِيءَ بِ (أَنْ) وَلَمْ يَأْتِ عَلَى الْأَصْلِ مِنَ الْحَذْفِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مَجِيءُ الْبَشِيرِ إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ طَوْلِ الْحُزْنِ وَتَبَاعُدِ الْمُدَّةِ، نَاسَبَ ذَلِكَ زِيَادَةُ (أَنْ) لِمَا فِي مُفْتَضَى وَصْفِهَا مِنَ التَّرَاخِي.

الخامس: شَرْطِيَّةٌ فِي قَوْلِ الْكُوفِيِّينَ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قَالُوا: وَلِذَلِكَ دَخَلَتْ الْفَاءُ.

السادس: نَافِيَةٌ بِمَعْنَى لَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ أِهْدَى اللَّهُ هُدىً لِهْدَى اللَّهُ أَنْ يُوْتَى أَحَدٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧٣]، أَي: لَا يُوْتَى أَحَدٌ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مَصْدَرِيَّةٌ.

السابع: التَّعْلِيلُ بِمَنْزِلَةِ لَمَّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]. وَقَالَ الْبَصْرِيُّونَ: عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ كَرَاهَةَ أَنْ تَضِلُّوا.

وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦]. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾^٢.

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ١١٧

٢ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَةُ / ٥٦



الثَّامِنُ: بِمَعْنَى إِذْ مَعَ الْمَاضِي كَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ﴾ [ق: ٢]. وَقِيلَ بَلِ الْمَعْنَى لِأَنَّ جَاءَهُمْ أَي مِنْ أَجْلِهِ، قِيلَ وَمَعَ الْمُضَارِعِ كَقَوْلِهِ: ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الْمُمْتَحِنَةِ: ١]، أَي إِذَا آمَنْتُمْ وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مَصْدَرِيَّةٌ^١.

١ - البرهان في علوم القرآن بتصرف (٤/ ٢٢٣ - ٢٢٨)



الرابع: (إن) المكسورة المشددة

(إن) المكسورة المشددة لها في القرآن ثلاثة أوجه:

أحدها للتأكيد نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^١.

وللتعليل، أثبتته ابن جني من النحاة، وكذا أهل البيان، وسبق بيانه في نوع التعليل من قسم التأكيد.

وبمعنى "نعم" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]، فيمن شدد النون.^٢

١ - سورة النساء: الآية / ١١

٢ - البرهان في علوم القرآن (٤ / ٢٢٩)



الخامس: (الكاف)

الكاف تأتي للتشبيه نحو: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]، وهو كثيرٌ.

وللتعليل؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ [البقرة: ١٥١]، قَالَ الْأَخْفَشُ: أَيُّ لِأَجْلِ إِرسَالِي فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ فَادْكُرُونِي.

وهو ظاهرٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾^١.

وجعل ابنُ برهانٍ التَّحْوِيَّ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَكَاثُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^٢.

وللتوكيد: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أَي لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلُهُ وَإِلَّا لَزِمَ إِثْبَاتُ الْمِثْلِ.

قال ابنُ جني: وَإِنَّمَا زِيدَتْ لِتَوْكِيدِ نَفْيِ الْمِثْلِ؛ لِأَنَّ زِيَادَةَ الْحَرْفِ بِمَنْزِلَةِ إِعَادَةِ الْجُمْلَةِ ثَانِيًا.

وقال غيره: الكاف زائدةٌ لِقَلَّ يَلْزَمُ إِثْبَاتُ الْمِثْلِ لِلَّهِ تَعَالَى وَهُوَ مُحَالٌ؛ لِأَنَّهَا تُفِيدُ نَفْيَ الْمِثْلِ عَنْ مِثْلِهِ لَا عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْحُكْمُ بِزِيَادَتِهَا لِأَدَى إِلَى مُحَالٍ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِثْلَ شَيْءٍ لَزِمَ أَلَّا يَكُونَ شَيْئًا لِأَنَّ مِثْلَ الْمِثْلِ مِثْلُهُ.

وقيل: الْمُرَادُ مِثْلُ الشَّيْءِ ذَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ كَمَا يُقَالُ مِثْلِي لَا يَفْعَلُ كَذَا أَي أَنَا لَا أَفْعَلُ وَعَلَى هَذَا لَا تَكُونُ زَائِدَةً.

وقال ابنُ فورك: هِيَ عَيْرٌ زَائِدَةٌ وَالْمَعْنَى لَيْسَ مِثْلَ مِثْلِهِ شَيْءٌ وَإِذَا نَفَيْتَ التَّمَاثُلَ عَنِ الْفِعْلِ فَلَا مِثْلَ لِلَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٩٨

٢ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ / ٨٢



قَالَ صَاحِبُ الْمُسْتَوْفَى: وَلِتَأْكِيدِ الْوَجُودِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، أَي أَنَّ تَرْبِيَّتَهُمَا لِي قَدْ وَجَدْتُ كَذَلِكَ أَوْجِدُ رَحْمَتَكَ لَهُمَا يَا رَبِّ ١.

١ - البرهان في علوم القرآن (٤ / ٣١٠)



السادس: (اللَّامُ)

من حروف المعاني (اللَّامُ) وهي قِسْمَانِ: عَامِلَةٌ وَعَيْزٌ عَامِلَةٌ.

القِسْمُ الْأَوَّلُ: عَيْزٌ عَامِلَةٌ.

وَتَجِيءُ لِعَشْرَةِ مَعَانٍ: مُعْرِفَةٌ، وَدَالَةٌ عَلَى الْبُعْدِ، وَخَفَقَةٌ، وَمُوجِبَةٌ، وَمُؤَكِّدَةٌ، وَمُتَمِّمَةٌ، وَمُوجِّهَةٌ، وَمَسْبُوقَةٌ، وَالْمُؤَذِّنَةُ، وَالْمُوطِئَةُ.

فَالْمُعْرِفَةُ: تَنْقَسِمُ إِلَى عَهْدِيَّةٍ وَاسْتِعْرَاقِيَّةٍ.

وَالتَّعْرِيفُ لَهُ أَسْبَابٌ:

الأوَّلُ: الإِشَارَةُ إِلَى مَعْهُودٍ خَارِجِيٍّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ﴾^١.

الثَّانِي: لِمَعْهُودٍ ذَهْنِيٍّ أَيْ فِي ذَهْنِ مُخَاطَبِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى، ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠]، و ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الْفَتْحِ: ١٨]، وَإِمَّا حُضُورِيٍّ نَحْوُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائِدَةِ: ٣]، فَإِذَا نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ.

وَالِاسْتِعْرَاقِيَّةُ عَلَى أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَقْصِدَ الْمُبَالِغَةَ فِي الْحَبْرِ فَيُقْصِرُ جِنْسُ الْمَعْنَى عَلَى الْمُخْبِرِ عَنْهُ نَحْوُ زَيْدٌ الرَّجُلُ أَيْ الْكَامِلُ فِي الرَّجُولِيَّةِ وَجَعَلَ سِبْيُونِيهِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كُلُّهَا مِنْ ذَلِكَ

وِثَانِيهَا: أَنْ يَقْصُرَهُ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ لَا الْمُبَالِغَةَ وَيُسَمَّى تَعْرِيفَ الْمَاهِيَّةِ نَحْوُ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٨٩]، وَقَوْلِهِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٠]، أَيْ: جَعَلْنَا مُبْتَدَأَ كُلِّ حَيٍّ هَذَا الْجِنْسَ الَّذِي هُوَ الْمَاءُ.

وَالدَّالَّةُ عَلَى الْبُعْدِ الدَّاخِلَةُ عَلَى أَسْمَاءِ الإِشَارَةِ إِعْلَامًا بِالْبُعْدِ أَوْ تَوْكِيدًا لَهُ عَلَى الْخِلَافِ فِيهِ.

١ - سُورَةُ الْمُرْتَلِ: الْآيَةُ/ ١٥، ١٦



وَالْمُحَقِّفَةُ الَّتِي يَجُوزُ مَعَهَا تَخْفِيفُ إِنَّ الْمُسْتَدَدَةَ نَحْوُ: ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطَّارِقِ: ٤]، وَتُسَمَّى لَامُ الْإِبْتِدَاءِ وَالْفَارِقَةُ لِأَنَّهَا تُفَرِّقُ بَيْنَهَا وَيَبَيِّنُ إِنَّ النَّافِيَةَ.

وَالْمُحَقِّفَةُ هِيَ الَّتِي تُحَقِّقُ الْخَبَرَ مَعَ الْمُبْتَدَأِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٤]، وَ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾^١.

وَالْمُوجِبَةُ بِمَعْنَى إِلَّا عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]، وَ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الرُّحْرِفِ: ٣٥]، أَيْ: مَا كَلَّ فَجَعَلُوا إِنَّ بِمَعْنَى مَا وَاللَّامُ بِمَعْنَى إِلَّا فِي الْإِيجَابِ.

وَالْمُؤَكِّدَةُ وَهِيَ الرَّائِدَةُ أَوَّلَ الْكَلَامِ وَتَقَعُ فِي مَوَاضِعَينَ:

أَحَدُهُمَا: الْمُبْتَدَأُ وَتُسَمَّى لَامُ الْإِبْتِدَاءِ فَيُؤَدِّنُ بِأَنَّهُ الْمَحْكُومُ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ﴾ [يُوسُفَ: ٩]، ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾^٢.

ثَانِيهِمَا: فِي بَابِ إِنَّ عَلَى اسْمِهَا إِذَا تَأَخَّرَ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٦]. وَعَلَى خَبَرِهَا نَحْوُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفَجْرِ: ١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ [هُودِ: ٧٥]، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوجِ: ١٢]، فَ"إِنَّ" فِي هَذَا تَوْكِيدٌ لِمَا يَلِيهَا وَاللَّامُ لِتَوْكِيدِ الْخَبَرِ.

وَالْمُتَمِّمَةُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا لَابِتْغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ٤٢]، ﴿إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإِسْرَاءِ: ٧٥]، فَاللَّامُ هُنَا لِتَتْمِيمِ الْكَلَامِ.

قَالَ الرَّحْمَشَرِيُّ إِذَنْ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ مَا بَعْدَهَا جَوَابٌ وَجَزَاءٌ.

وَالْمُوجِّهَةُ فِي جَوَابِ لَوْلَا؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإِسْرَاءِ: ٧٤]، فَاللامُ فِي ﴿لَقَدْ﴾ تُوْجِهَ لِلتَّيْتِثِ.

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ١٢٨

٢ - سُورَةُ الْحَشْرِ: الْآيَةُ / ١٤



والمسبوقة في جواب لو؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٤]، أي: تُفِيدُ تَأخُّرَهُ لِأَشَدِّ الْعُقُوبَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتِ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ﴾. [يونس: ٢٤].

والمؤذنة: الداخلة على أداة الشرط بعد تقدم القسم لفظاً أو تدبيراً لتؤذن أن الجواب له لا للشرط أو للإيدان بأن ما بعدها مبنى على قسم قبلها، وتسمى المؤذنة لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهدته.

القسم الثاني: العاملة.

وهي على ثلاثة أقسام: جارة وناصبة وجازمة.

الأولى: الجارة وتأتي لمعان:

للملك الحقيقي؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، ﴿لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١.

والتَّمْلِيكِ؛ نَحْوُ وَهَبْتُ لِرَبِّدِ دِينَارًا وَمِنْهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾^٢.

والإختصاص وَمَعْنَاهَا أَهْمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي نِسْبَةً بِاعْتِبَارِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقُهُ نَحْوُ هَذَا صَدِيقٌ لِرَبِّدِ وَأَخٌ لَهُ وَمِنْهُ الْجَنَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

وَاللَّتَّخْصِيصِ؛ وَمِنْهُ: ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾^٣.

١ - سُورَةُ الْفَتْحِ: الْآيَةُ / ٤

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٥٠

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٥٠



وللاستحقاق؛ كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ﴿هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَيِنَّ الْمَلِكِ أَنَّ الْمَلِكَ لِمَا حَصَلَ وَثَبَتْ وَهَذَا لَمْ يَخْصُلْ بَعْدُ لَكِنْ هُوَ فِي حُكْمِ الْحَاصِلِ مِنْ حَيْثُ مَا قَدِ اسْتَحَقَّ قَالَهُ الرَّاعِبُ.
وَاللَّوْلَايَةُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^١.

وَلِلتَّلْعِيلِ، وَهِيَ الَّتِي يَصْلُحُ مَوْضِعُهَا مِنْ أَجْلِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]؛ أَي: مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ، وَقَوْلِهِ: ﴿لَا يَلَاغِ فُرَيْشٍ﴾ [فُرَيْشٍ: ١]، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [فُرَيْشٍ: ٣]، أَوْ بِقَوْلِهِ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]، وَهَذَا كَانَتْ فِي مُصْحَفِ أَبِي سُورَةَ وَاحِدَةً. وَضَعَفَ بَأَنَّ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ إِنَّمَا هُوَ لِكُفْرِهِمْ وَتَجَرُّبِهِمْ عَلَى الْبَيْتِ، وَقِيلَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ أَي: اعْجَبُوا، وَقَوْلِهِ: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أَي: لِأَجْلِ بَلَدٍ مَيِّتٍ، بِدَلِيلِ: ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾، هَذَا قَوْلُ الرَّخْشَرِيِّ وَهُوَ أَوْلَى مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ إِنَّمَا بِمَعْنَى إِلَى، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْحَائِنِينَ حَاصِمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، أَي: لَا تُحَاصِمِ النَّاسَ لِأَجْلِ الْحَائِنِينَ.

قَالَ الرَّاعِبُ: وَمَعْنَاهُ كَمَعْنَى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]، وَكَأَنَّ فِي قَوْلِكَ لَا تَكُنْ لِلَّهِ حَاصِمًا لِذُخُولِهَا عَلَى الْمَفْعُولِ أَي لَا تَكُنْ حَاصِمًا لِلَّهِ.

وَبِمَعْنَى إِلَى؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، [نوح: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وَ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾^٢.

وَبِمَعْنَى عَلَى؛ نَحْوُ: ﴿وَيَجْرُونَ لِلْآذِقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]،

١ - سُورَةُ الرُّومِ: الْآيَةُ/ ٤

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٩٣



أَي: فَعَلَيْهَا لِأَنَّ السَّيِّئَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ لَا لَهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَلَيَّْ إِجْرَامِي﴾ [هود: ٣٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، أَي: مَنْ لَمْ يَكُنْ. وَقَوْلِهِ: ﴿هُمْ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^١.

وَبِمَعْنَى فِي كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^٢.

وَبِمَعْنَى بَعْدَ نَحْوِ: ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٧٨]. وَقَالَ ابْنُ أَبِي بَرٍ الظَّاهِرُ أَهَّهَا لِلتَّعْلِيلِ.

وَبِمَعْنَى عَنِ مَعَ الْقَوْلِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأَحْقَافِ: ١١]، أَي: عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ الْمَعْنَى خِطَابَهُمْ بِذَلِكَ وَإِلَّا لَقِيلَ سَبَقْتُمُونَا وَقِيلَ لَأَمْ التَّعْلِيلِ وَقِيلَ لِلتَّنْبِيْغِ وَالتَّفْتِ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ.

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَتْ أُحْرَاهُمْ لَأَوْلَاهُمْ﴾^٣.

وَلِلتَّعْدِيَةِ وَهِيَ الَّتِي تُعَدِّي الْعَامِلَ إِذَا عَجَزَ نَحْوُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، فَالْأَمْ فِيهِ لِلتَّعْدِيَةِ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَضْعَفُ بِتَقْدِيمِ الْمَفْعُولِ عَلَيْهِ.

وَسَمَّاها ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: آلهُ الْفِعْلِ وَذَكَرَ أَنَّ الْبَصْرِيِّينَ يُسَمُّوْهَا لَامَ الْإِضَافَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لُقْمَانَ: ١٤]، ﴿أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾^٤.

وَلِلتَّبِينِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، أَي: أَقْبِلْ وَتَعَالَ أَقُولُ لَكَ.

الثَّانِي: النَّاصِبَةُ عَلَى قَوْلِ الْكُوفِيِّينَ فِي مَوْضِعَيْنِ لَامٌ كَيِّ وَلَا مَ الْجُحُودِ.

١ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الْآيَةُ / ٢٥

٢ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَةُ / ٤٧

٣ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ٣٨

٤ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَةُ / ٣٤



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفى دياب

وَلَا مَ الْجُحُودِ هِيَ الْوَاقِعَةُ بَعْدَ الْجُحْدِ أَيِ النَّفْيِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٧٩]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٣٧]، وَضَابِطُهَا أَنَّهَا لَوْ سَقَطَتْ تَمَّ الْكَلَامُ بِدُونِهَا وَإِنَّمَا ذُكِرَتْ تَوْكِيدًا لِنَفْيِ الْكَوْنِ بِخِلَافِ لَامِ كَيْ.

قَالَ الرَّجَّاحُ: اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، لَامُ كَيْ لِأَنَّ لَامَ الْجُحُودِ إِذَا سَقَطَتْ لَمْ يَحْتَلَّ الْكَلَامُ وَلَوْ سَقَطَتْ اللَّامُ مِنْ آيَةِ بطلِ الْمَعْنَى وَلِأَنَّه يُجُوزُ إِظْهَارُ أَنَّ بَعْدَ لَامِ كَيْ وَلَا يُجُوزُ بَعْدَ لَامِ الْجُحُودِ لِأَنَّهَا فِي كَلَامِهِمْ نَفْيٌ لِلْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ فَالْسِّينُ بِإِزَائِهَا فَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدَهَا مَا لَا يَكُونُ بَعْدَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فَجَاءَ بِلَامِ الْجُحْدِ حَيْثُ كَانَتْ نَفْيًا لِأَمْرٍ مُتَوَقَّعٍ مَخُوفٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فَجَاءَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي لَا يَحْتَصُّ بِزَمَانٍ حَيْثُ أَرَادَ نَفْيَ الْعَذَابِ بِالْمُسْتَغْفِرِينَ عَلَى الْعُمُومِ فِي الْأَحْوَالِ.

وَمِثْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ [هود: ١١٧]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾^١.

وَمِثَالُ لَامِ كَيْ وَكَيْ مضمرة معها قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا﴾ [الكهف: ٢]، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيُعَلِّمَهُمُ﴾ [النحل: ٣٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾. [البقرة: ١٤٣]، يُرِيدُ كَيْ تَكُونُوا، وَقَوْلِهِ: ﴿لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾^٢.

وَقَدْ تَجِيءُ مَعَهَا كَيْ نَحْوُ: ﴿لَكِي لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠]، ﴿لَكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ﴿لَكِنِّي لَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ﴾^٣.

١ - سُورَةُ الْقَصَصِ: آيَةُ / ٥٩

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: آيَةُ / ٩٢

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ١٥٣



وَرُبَّمَا جَاءَتْ كَيِّ بِلَا لَامٍ كَقَوْلِهِ: ﴿كَيِّ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَعْيَانِ﴾^١.

وَفِي مَعْنَاهُ لَامٌ الصَّيْرُورَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الْقَصَص: ٨]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٥٦]، وَتُسَمَّى لَامٌ الْعَاقِبَةُ فَإِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْتَقِطُوهُ لِذَلِكَ بَلْ لِيُضِدَّهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾^٢.

وَحَكَى ابْنُ قُتَيْبَةَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ عِلْمَهَا جَوَازُ تَقْدِيرِ الْفَاءِ مَوْضِعَهَا وَهُوَ يَفْتَضِي أَنَّهَا لَامٌ التَّعْلِيلِ لِكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ لَامِ التَّعْلِيلِ الَّتِي فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿لِنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ [الفرقان: ٤٩]، أَنَّ لَامَ التَّعْلِيلِ تَدْخُلُ عَلَى مَا هُوَ غَرَضٌ لِفَاعِلِ الْفِعْلِ وَيَكُونُ مُرْتَبًا عَلَى الْفِعْلِ وَلَيْسَ فِي لَامِ الصَّيْرُورَةِ إِلَّا التَّرْتُّبُ فَقَطُّ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْمُضَارِعِ تَجِيءُ لِأَسْبَابٍ:

مِنْهَا الْقَصْدُ وَالْإِرَادَةُ، إِمَّا فِي الْإِثْبَاتِ نَحْوُ: ﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾^٣.

أَوْ النِّفْيِ نَحْوُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البَقَرَةَ: ١٤٣]. فَهُوَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ أَي: لِنَعْلَمَ مَلَائِكَتَنَا وَأَوْلِيَاءَنَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَعَالَى حَاطَبِ الْخَلْقِ بِمَا يُشَاكِلُ طَرِيقَتَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ الْبَوَاطِنِ وَالظُّوَاهِرِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِ الْمُحَاطَبِ.

وَقَدْ تَفَعُّ مَوْجِعَ أَنْ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ لَهَا فِي الْمَعْنَى وَذَلِكَ إِنْ كَانَ الْكَلَامُ مُتَضَمِّنًا لِمَعْنَى الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ نَحْوُ: ﴿وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧١]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ هَا﴾^٤.

وَمِنْهَا الْعَاقِبَةُ عَلَى مَا سَبَقَ.

١ - سُورَةُ الْحَشْرِ: الْآيَةُ / ٧

٢ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ / ٩

٣ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٩٢

٤ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٥٥



الثالث: الجازمة الموضوعية للطلب وتسمى لام الأمر وتدخل على المضارع لتؤذن أنه مطلوب للمتكلم وشرطها أن يكون الفعل لغير المخاطب فيقولون لتضرب أنت ومنه قراءة بعضهم: ﴿فَبَدَّلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]، ووصفها أن تكون مكسورة إذا ابتدئ بها نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، ﴿لَيْسْتَ أَذِنَكُمْ﴾^١.

وتسكن بعد الواو والفاء نحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وَيَجُوزُ الْوَجْهَانِ بَعْدَ ثَمَّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فُرِيَ فِي السَّبْعِ بِتَسْكِينِ: ﴿لِيَقْضُوا﴾ وَتَحْرِيكِهِ وَجِيءَ لَمَعَانٍ: مِنْهَا التَّكْلِيفُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧]، وَمِنْهَا أَمْرُ الْمُكَلَّفِ نَفْسَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، وَالْإِبْتِهَالُ وَهُوَ الدُّعَاءُ نَحْوُ: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الرَّحْرِفِ: ٧٧]، وَالتَّهْدِيدُ نَحْوُ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وَالْحَبْرُ نَحْوُ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، أَي: يمد، ويحتمله: ﴿وَلْنَحْمِلْ﴾. أَي وَنَحْمِلْ.

ويجوز حذفها ورفع الفعل ومنه يقول: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١]، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لِلطَّلَبِ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدُ: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]، مَجْزُومًا فَلَوْلَا أَنَّهُ طَلَبٌ لَمْ يَصِحَّ الْجَزْمُ لِأَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ وَجْهٌ سِوَاهُ.^٢

١ - سُورَةُ النُّورِ: آيَةُ / ٥٨

٢ - البرهان في علوم القرآن (٤ / ٣٣٤ - ٣٥٠)، بتصرف



القاعدةُ الرَّبِعةُ عَشْرَةُ: (مَعْرِفَةُ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ)

لا شك أنَّ عِلْمَ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ مِنْ أَوْلَى مَا يَجِبُ عَلَى الْمَفْسِرِ تَحْصِيلُهُ؛ لِأَمْنٍ مِنَ الْخَلَلِ فِي الْفَهْمِ وَالْحَطَلِ فِي الْقَوْلِ، وَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ أَوْلَى مَا تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَدَبَّرَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ تَأْتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ، فَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ تِلْكَ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرَ لَمَا أَهْتَدَى لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَلِتَشَعَّبَتْ بِهِ السَّبِيلُ، وَحَادَ عَنِ قِصْدِ السَّبِيلِ.

قال الزركشي: وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ حَيْثُ كَانَتْ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةَ تَنْصَرِفُ إِلَى عِشْرِينَ وَجْهًا أَوْ أَكْثَرَ أَوْ أَقَلَّ وَلَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ.^١

تعريف الوجوه والنظائر:

الْوُجُوهُ لُغَةً: جَمْعُ وَجْهِ وَهُوَ مُسْتَقْبَلُ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].^٢

قال ابن منظور: الْوَجْهُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الْوُجُوهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: "أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنًا كَوُجُوهُ الْبَقْرِ". أَي يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا لِأَنَّ وَجُوهُ الْبَقْرِ تَتَشَابَهُ كَثِيرًا؛ أَرَادَ أَنَّهَا فِتْنٌ مُشْتَبِهَةٌ لَا يُدْرَى كَيْفَ يُؤْتَى هَذَا.^٣

والنظائر جمع نظير وهو الشبيه، قال الخليل: ونظير الشيء: مثله لأنه إذا نظر إليهما كأتهما سواء في المنظر وفي التأنيث نظيرة، وجمعه نظائر، وتقول: ما كان هذا نظيراً لهذا.^٤

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢)

٢ - تاج العروس (٣٦/ ٥٣٥)

٣ - لسان العرب (١٣/ ٥٥٥)

٤ - العين (٨/ ١٥٦)



واصطلاحًا: الوجوه هي اللفظُ المُشترِكُ الذي يُستعملُ في عدَّةِ معانٍ، والنظائرُ المعاني المتباينة، وقيل العكس.

قال الزركشي: الوجوه اللفظُ المُشترِكُ الذي يُستعملُ في عدَّةِ معانٍ كلفظِ الأُمَّةِ، والنظائرُ كالألفاظِ المتواطئة.

وقيل النظائرُ في اللفظِ والوجوهُ في المعاني وضَعْفَ لِأَنَّهُ لَوْ أُريدَ هَذَا لَكَانَ الْجُمُعُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرِكَةِ وَهُمْ يَذْكُرُونَ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ اللَّفْظَ الَّذِي مَعْنَاهُ وَاحِدٌ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فَيَجْعَلُونَ الْوُجُوهَ نَوْعًا لِأَقْسَامِ وَالنَّظَائِرَ نَوْعًا آخَرَ كَالْأَمْثَالِ.^١

وقال ابن الجوزي: وأعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه.

فإذن النظائر: اسم للألفاظ والوجوه: اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر، والذي أراد العلماء بوضع كتب الوجوه والنظائر أن يعرفوا السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف، وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى، وقد تجوز واضعوها فذكروا كلمة واحدة معناها في جميع المواضع واحد. كالبلد، والقرية، والمدينة، والرجل، والإنسان، ونحو ذلك. إلا أنه يُراد بالبلد في هذه الآية غير البلد في الآية الأخرى (وبهذه القرية غير القرية في الآية الأخرى). فحدوا بذلك حدو الوجوه والنظائر الحقيقية.^٢

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢)

٢ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٨٣)



الْفَرْقُ بَيْنَ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ وَالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ:

قال الزركشي: النَّظَائِرُ كَالْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ.^١

وهذا الكلام فيه تجوز؛ فإن الألفاظ المتواطئة أن يكون اللفظ له معنى واحد، وهذا المعنى له أفراد عدة؛ مثاله: (الإنسان)، فإنه يصدق على زيد وعمرو ومحمد وأحمد.

قال ابن الأثير: الأسماء المتواطئة هي الدالة على أعيان متعددة بمعنى واحد مشترك بينها كدلالة اسم الحيوان على الإنسان، والفرس، والحمار، لأنها مشتركة في الحيوانية، والاسم موضوع بازاء ذلك المعنى المشترك المتعاطي.^٢

فالألفاظ المتواطئة تدل على معان متغايرة يجمعها أمر معنوي تكون مشتركة فيه.^٣

وَالنَّظَائِرُ أَعْمٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُتَوَاطِئَةِ؛ لِأَنَّهَا لَا يَجْمَعُهَا أَمْرٌ وَاحِدٌ.

الْفَرْقُ بَيْنَ الْوُجُوهِ وَالْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ:

قال الزركشي: الْوُجُوهُ اللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ فِي عِدَّةٍ مَعَانٍ كَلَفْظِ الْأُمَّةِ.^٤

وَالْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرَكَةُ هِيَ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ الدَّالَّةُ عَلَى أَزِيدٍ مِنْ مَعْنَى وَاحِدٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي حَقَائِقِهَا عَلَى الظهور بوضع واحد.^٥

وبهذا المعنى فلا فرق بين بَيْنَ الْوُجُوهِ وَالْأَسْمَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ.

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢)

٢ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: ١٤)

٣ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١/ ١٦)

٤ - البرهان في علوم القرآن (١/ ١٠٢)

٥ - الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (٢/ ٨٣)



وقيل بينهما فرق، قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي "شَرْحِ الْمُفَصَّلِ": "الْمُشْتَرِكُ هُوَ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَيْيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ دَلَالَةً عَلَى السَّوَاءِ عِنْدَ أَهْلِ تِلْكَ اللُّغَةِ".^١

والوجه أعمُّ من أن تكون عند أهل اللغة، إنما المعتمد في معنى الكلمة كلام المفسرين، فقد وردت ألفاظ في القرآن لا عهد لأهل اللغة بها، فالوجه على هذا أعمُّ من الْمُشْتَرِكِ اللَّفْظِيِّ.

١ - البحر المحيط في أصول الفقه (٢/ ٣٧٧)



(الدين)

ويطلق الدين في كتاب الله تعالى ويراد به عدة معانٍ: يطلق ويُرادُ به الجزاء؛ كما في هذه الآية: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. [الفاتحة: ٤].

وكما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يوفيهم الله دينهم الحق﴾. [النور: ٢٥] أي جزاءهم أو حسابهم.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾^١.

ويطلق ويراد به الملك والحكم؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^٢.

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِمَا رَأَفَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾. [النور: ٢] أي: في حكمه.

ويطلق ويراد به الملة؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلي دِينِ﴾^٣.

ويطلق ويراد به الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٤.

ويطلق الدين ويراد به الزعم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^٥.

١ - سُورَةُ الدَّارِيَاتِ: الآية/ ٦

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ٧٦

٣ - سُورَةُ الْكَافُرُونَ: الآية/ ٦

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٩

٥ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٢٤



وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^١.



(الْقَضَاءُ)

يُطْلَقُ الْقَضَاءُ فِي اللُّغَةِ وَيُرَادُ بِهِ عِدَّةٌ مَعَانٍ:

فِيَأْتِي الْقَضَاءُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٢٣]، أَي: أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.

وَالْقَضَاءُ وَيُرَادُ بِهِ الْخَلْقُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٢]، أَي: خَلَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ.

وَيُطْلَقُ الْقَضَاءُ وَيُرَادُ بِهِ الْحُكْمُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، أَي: احْكُمْ مَا شِئْتَ أَنْ تَحْكُمَ.

وَيُطْلَقُ الْقَضَاءُ وَيُرَادُ بِهِ الْإِرَادَةُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مَرْيَمَ: ٣٤-٣٥]، أَي: إِذَا أَرَادَ أَمْرًا.

وَيُطْلَقُ الْقَضَاءُ وَيُرَادُ بِهِ الْعَهْدُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [الْقَصَصِ: ٤٤]، أَي: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِ إِذْ عَاهَدْنَا إِلَى مُوسَى.

وَيُطْلَقُ الْقَضَاءُ وَيُرَادُ بِهِ الْفِرَاقُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٠٠]، أَي: فَرَعْتُمْ مِنْهَا.



(الْمَنْ)

يطلق الْمَنْ ويرادُ به عدةٌ معانٍ، منها: ما يُوزَنُ به.

يطلق الْمَنْ ويرادُ به شَيْءٌ شَبهُ الْعَسَلِ يَنْزُلُ كَالنَّدَى عَلَى بَعْضِ شَجَرِ بَادِيَةِ سِينَاءِ كَانَ يَنْزِلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾^١.

ويطلق الْمَنْ ويرادُ به الْقَطْعُ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، [التين: ٦]، أي عَيْرٌ مَقْطُوعٌ.

ويطلق الْمَنْ ويرادُ به: النِّعْمَةُ، وَيُقَالُ لَهُ: الْمِنَّةُ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصاص: ٨٢]، أي: لَوْلَا أَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالْهَدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ لَشَكَرَهُ لَخَسَفَ بِنَا. وَيطلق الْمَنْ ويرادُ به: الْفِتْرَةُ وَالْإِعْيَاءُ، ومنه قول الراجز:

قَدْ يَنْشَطُ الْفِتْيَانُ بَعْدَ الْمَنْ ***** وَبَعْدَ طُولِ السَّفَرِ الْمُعْيَى

ويطلق الْمَنْ ويرادُ به: تَعْدَادُ الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ عَلَى سَبِيلِ الْفَخْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧]، أي: يُؤْمِنُونَ بِإِسْلَامِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ - سورة طه: الآية/ ٨٠



(العَرْضُ)

يطلق العَرْضُ ويرادُ به عدة معانٍ:

الأول: خِلافُ الطُّولِ؛ يقالُ البيتُ عرضه كذا، وطوله كذا، ومنها الكثرة، ومنها الظهور، ومنها الجمع، ومنها السعة.

قال ابن فارس: العَيْرُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ بِنَاءِ تَكْتُرٍ فُرُوعُهُ، وَهِيَ مَعَ كَثْرَتِهَا تَرْجِعُ إِلَى أَصْلِ وَاحِدٍ، وَهُوَ العَرْضُ الَّذِي يُخَالِفُ الطُّولَ.

فالعَرْضُ: خِلافُ الطُّولِ.

وَمِنَ البَابِ: عَرْضَ المَتَاعِ يَعْرِضُهُ عَرْضًا. وَهُوَ كَأَنَّهُ فِي ذَاكَ قَدْ أَرَاهُ عَرْضُهُ.

وَمِنْ ذَلِكَ عَرْضُ الجُنْدِ: أَنْ تُمَرِّمَهُمَ عَلَيْكَ، وَذَلِكَ كَأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَى العَارِضِ مِنْ حَالِهِمْ. وَعَرْضُوهُمْ عَلَى السَّيْفِ عَرْضًا، كَأَنَّ السَّيْفَ أَحَدَ عَرْضِ القَوْمِ فَلَمْ يَفْتُهُ أَحَدٌ. وَعَرْضْتُ العُودَ عَلَى الإِنَاءِ أَعْرَضْتُهُ بِضَمِّ الرَّاءِ، إِذَا وَضَعْتَهُ عَلَيْهِ عَرْضًا. وَفِي الحَدِيثِ: «هَلَا حَمَرْتَهُ وَلَوْ بَعُودٍ تَعْرِضُهُ عَلَيْهِ»^١.

وَعَرْضَ الفَرَسِ فِي عَدْوِهِ عَرْضًا، كَأَنَّهُ يُرِي النَّاطِرَ عَرْضُهُ^٢.

وقال أبو هلال العسكري: العرض في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: بمعنى الكثرة؛ قال تعالى: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥١]، أي: كثير، ولم يقل: طويل؛ لأن العرض أدل على الطول والتمام.

الثاني: التهيئة، قال: ﴿وَعَرْضَنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠]، أي: فهيأناها لهم، ويجوز أن يكون المراد إنا أظهرناها لهم.

١ - رواه البخاري - كتاب الأشرية، باب شرب اللبن، حديث رقم: ٥٦٠٥، ومسلم - كتاب الأشرية، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء، حديث رقم: ٢٠١٠، عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

٢ - مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)



الثالث: بمعنى الجمع؛ قال الله: ﴿وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، أي: جمعوا للحساب بحيث أمر الله، وقيل: معناه أنهم ظاهرون لله يرى أحدهم كما يرى جماعتهم.

وأصل العرض الظهور على ما ذكرنا، وليس المعنى أنهم كانوا مستورين عن الله فظهروا له، ولكن المعنى أنهم ظهروا من قبورهم لأمر الله؛ فعبر عن هذا المعنى بلفظ العرض عليه لما في ذلك من التفخيم لشأن الحساب والوقوف في مواقفه؛ وهو من قول الناس: عرض فلان على الأمير.

الرابع: قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وهو لفظ مجاز والكلام فيه كثير، وتلخيص معناه عندي؛ إنا لو جعلنا هذه الأشياء بمنزلة من تكلف، ثم كلفناها لإطاعتنا وكلفنا الإنسان فعصانا.

والأمانة هاهنا الطاعة، والإنسان العاصي من الناس خاصة، وقال الحسن: يعني: إن الكافر والمنافق حملا الأمانة فحانا، وتصديق ذلك قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾، [الأحزاب: ٧٣]

الخامس: السعة؛ قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: سعتها كسعتها^١.

١ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٣٥٤)



(وراء)

قال ابن الجوزي: "ذكر بعض المفسرين أن: (الوراء) في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: الخلف، ومنه قوله تعالى في آل عمران: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾^١.

وفي سورة هود: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾^٢.

الثاني: الدنيا، ومنه قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^٣.

الثالث: القدام، ومنه قوله تعالى في الكهف: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾^٤.

وفي إبراهيم: ﴿مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾^٥.

الرابع: بمعنى سوى، ومنه قوله تعالى في النساء: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾^٦.

وفي المؤمنين: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^٧.

الخامس: بمعنى بعد، ومنه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾^٨.

وفي مريم: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾^٩. [مريم: ٥]، أي بعدي، يعني بعد موتي.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٨٧

٢ - سورة هود: الآية/ ٩٢

٣ - سورة الحديد: الآية/ ١٣

٤ - سورة الكهف: الآية/ ٧٩

٥ - سورة إبراهيم: الآية/ ١٦

٦ - سورة النساء: الآية/ ٢٤

٧ - سورة المؤمنين: الآية/ ٧

٨ - سورة البقرة: الآية/ ٩١



وفي البُرُوجِ: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^١.

أي من بعد أعمالهم محيط بهم، للانتقام منهم.

١ - سُورَةُ الْبُرُوجِ: الآيَةُ / ٢٠



(الإحصان)

يُطلقُ الإحصانُ في القرآنِ ويرادُ به أربعةُ معانٍ:

يُطلقُ ويرادُ به الزواجُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، فالْمُحْصَنَاتُ هُنَا الْمُرُوجَاتُ؛ يقال: امرأةٌ مُحْصَنَةٌ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ زَوْجٍ.

ويطلقُ ويرادُ به الإسلامُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ﴾. [النساء: ٢٥] يعني: إِذَا أَسْلَمْتُمْ، رُوي ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَأَنْسٍ، وَغَيْرِهِمْ.

ويطلقُ ويرادُ به الحُرِّيَّةُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾. [النساء: ٢٥]، أي: الحُرَّائِرِ.

ويطلقُ ويرادُ به العِفَّةُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. [الأنبياء: ٩١]، أي أَعْفَتَهُ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ﴾. [النور: ٤]، يعني: العفيفاتِ.



(الطُّولُ)

يُطَلَّقُ الطُّوْلُ وَيُرَادُ بِهِ السَّعَةُ وَالْقُدْرَةُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اسْتَأْذِنَكَ أَوْلُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ﴾. [التَّوْبَةُ: ٨٦] يَعْنِي: أَصْحَابَ الْعِنْيِ، وَأَصْلُ الطُّوْلِ مِنَ الطُّولِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْقِصَرِ، وَسُمِّيَ الْعِنْيَ طَوَّلًا؛ لِأَنَّ الْعِنْيَ يَنَالُ بِهِ مَا لَا يَنَالُهُ الْفَقِيرُ.

وَيُطَلَّقُ الطُّوْلُ وَيُرَادُ بِهِ الْفَضْلُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾. [عَافِرٍ: ٣]، أَيْ: ذِي النَّعَمِ وَالْفَوَاضِلِ.



(المتاعُ)

المتاعُ يطلق في القرآن ويراد به ثلاثة معانٍ، ما ينتف به الآلات، والمنفعة عمومًا، والمدة.

قال أبو هلال العسكري: وهو في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: المدة، قال الله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾. [البقرة: ٣٦]، أي: مدة تمتد إلى حين، كذا جاء في التفسير، ويجوز أن يكون المراد المنفعة أي: لكم مستقر ومنفعة إلى حين.

الثاني: ما ينتفع به من آلة، قال الله: (وَمِمَّا يُوقَدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ [الرعد: ١٧]).

الثالث: المنفعة؛ قال الله: (نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ) [الواقعة: ٧٣]، يعني: النار. جعلها الله تذكرة بنار جهنم، ومنفعة للمقوين.^١

١ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٤٥٤)



(السُّوءُ)

يُطْلَقُ السُّوءُ فِي الْقُرْآنِ وَيُرَادُ بِهِ ثَمَانِيَةٌ مَعَانٍ:

قال أبو هلال العسكري: والسوء في القرآن على ثمانية أوجه:

الأول: الشدة، قال الله: ﴿يَسُوءُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾. [البقرة: ٤٩]، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [النمل: ٥]، أي: شدته.

الثاني: المكروه، قال: ﴿وَلَا تَمْسُوهُمَا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]، أي: بمكروه، وقال: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [الأحزاب: ١٧]، أي: مكروها، وقيل: المراد القتل والهزيمة.

الثالث: جاء بمعنى الزنا، قال: ﴿مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، وهذا راجع إلى المكروه؛ لأن الزنا مكروه.

الرابع: البرص، قال الله: ﴿تَخْرُجُ بَيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل: ١٢].

الخامس: العذاب، قال الله: ﴿إِنَّ الْحَزْبِيَّ أَيُّومَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧]، وقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ [الزمر: ٦٢]، يعني: العذاب، ومعنى ذلك كله راجع إلى المكروه. ونحوه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى﴾ [الروم: ١٠]، أي: العذاب.

السادس: المعصية من الشرك وغيره، قال: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: ٢٨]، يعني: الشرك، وقال: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، يعني: ما دون الشرك.

السابع: الشتم، قال: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾. [الممتحنة: ٢].

الثامن: قوله: ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ قال: هو ألا يقبل منه حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة، و: ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ يعني: شر الدار، وعذابها، وقيل: معناه بئس الدار.^١

١ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٢٤٧)



(الذِّكْرُ)

أصل الذكر القوة ومنه تسمية الذكر خلاف الأنثى؛ لأنه أقوى من الأنثى وجديد ذكر فضل قوته على الأنوثة، والذكر بالقلب يرجع إلى هنا؛ لأن الشيء يثبت في القلب مع الذكر، فكان له قوة، والذكر باللسان شبيه بذلك.

وهو في القرآن على خمسة عشر وجهًا:

الأول: الطاعة، قال الله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. قال بعض المفسرين معناه أطيعوني أثبكم، ويجوز أن يكون معناه اذكروني بقلوبكم وألستكم، أذكركم بالمدح والتعظيم [وإيجاب الثواب^١، وهو جواب لقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فيكون لـ (اذكروني) جوابان مقدم ومؤخر، كما يقال: إذا أتاك فلان فآته ترضه، ومعناه مثل معنى قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقيل: اذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي، وقيل: اذكروني بالثناء بنعمتي أذكركم بالثناء أي الطاعة، وأكثر ما يستعمل الذكر بعد النسيان، وهذا حقيقة، وليس ذلك بموجب ألا يكون إلا بعد النسيان إذ كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال، فهو ذاكِر ويكون أصله التنبيه على الشيء، وكل من ذكر لنا شيئًا فقد نبهنا عليه، والذكر أنبه من الأنثى.

الثاني: قال هو الذكر باللسان في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال: ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، كذا قيل، ولا ننكر أن يكون أراد الذكر بالقلب واللسان جميعًا.

^١ - من عقيدة أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه شيء قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ والمسئولية في قول تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُوًّا﴾ مسئولية إنعام لا إيجاب، والمعتزلة يقولون: يجب على الله تعالى فعل الأصلح، ويجب عليه إثابة الطائع وتعذيب العاصي.



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابِ

الثالث: الذكر في القلب خاصة، قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٥]، أي: ذكروا قدرة الله عليهم وأيديه إليهم فاستغفروه وتابوا إليه.

الرابع: ذكر الصفة والأمر، قال: ﴿ادْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]، أي: اذكر أمري وصفتي، قال: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مَرْيَمَ: ١٦]، أي: أذكر أمرها، فإن فيه عجبا، وهكذا قوله: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مَرْيَمَ: ٤١]، أي: اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك قصة إبراهيم عليه السلام، أي: اقرأها واعتبر بها.

الخامس: الحفظ، قال الله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾، [البقرة: ٧٣] ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: احفظوه.

السادس: الوعظ، قال: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٤]، أي: وعظوا، وفي الأعراف أيضا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقال: ﴿أَنْذَرْتُمْ﴾ [يس: ١٩]، أي: وعظتم، وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ [ق: ٤٥]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، وفي هذه الآيات دليل على أن الطاعة والمعصية من العبد^١؛ لأنهما لو كانتا من الله لم يكن لتذكير الله إياه فائدة.

السابع: الشرف والنباهة، قال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزحرف: ٤٤]، وقال: ﴿بَلْ أَنْتِنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فامتن عليهم بما جعل لهم من النباهة بهذا الدين، ودل على أن الخمول معيب.

الثامن: الخبر، قال: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨] وقال: ﴿سَأْتَلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٤]، أي: خبرا، وقيل في قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ

١ - عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] وهذه من المؤلف (أبي هلال العسكري) دسيسة اعتزالية، والمعتزلة يقولون: العبد يخلق أفعال نفسه، فتنبه.



قَبْلِي ﴿ أَي: هذا خبري وخبر من قبلي، والوجه هل فيما أنزل إليَّ أو فيما أنزل من قبلي دليل على أن مع الله إلهًا آخر، وذكر له.

التاسع: الوحي، قال: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، وقال: ﴿فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصَّافَّاتِ: ٣]، ومثله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، [المُرْسَلَاتِ: ٥].

العاشر: القرآن، قال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، فسماه مُحَدَّثًا.

والمحدث إذا كان مقدرًا مخلوقًا^١، وجاء في قوله: ﴿أَفَنْضَبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الرُّحُوفِ: ٥]، أنه أراد القرآن، وقيل: أراد ذكر العذاب أي: أَفَنْضَبُ عَنْكُمْ ذكر العذاب فلا تذكرة لكم لأجل إشراككم، لا بل نذكر لكم العذاب لتتجزوا، ويقال: أضربت عنه الذكر أيضا، والشاهد على هذا التأويل قوله: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾، [الرُّحُوفِ: ٨].

الحادي عشر: التوراة، قال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النَّحْلِ: ٤٣]، يعني: أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، الذين يصدفون عن الذكر وهو التوراة دون من يكتفون ويتخرص لأن القبول يكون من أهل الثقة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٤٣] أن الرسل بشروا بمحمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني عشر: اللوح المحفوظ، قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أي: من بعد اللوح المحفوظ.

الثالث عشر: البيان، قال الله: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩]، أي: بيان، وقال: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، يعني: ذا البيان، وقيل: يعني: به ما ذكر فيه من الأقاويص والحلال والحرام.

١ - عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهذه من المؤلف دسياسة اعتزالية، وهم يقولون بخلق القرآن فتنبه.



الرابع عشر: الدليل، قال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكَرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ويجوز أن يكون الذكر هنا الموعدة.

الخامس شر: الصلوات الخمس كذا قال بعض المفسرين في تفسير قوله: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، والصحيح أنه أراد تمام الصلاة مع الذكر فيها؛ لأنه تعالى قال في أول الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ﴾، [البقرة: ٢٣٩].

والمراد فإن خفتم عدوًّا أو سبعا فلم تقدرُوا على الركوع والسجود، فصلوا على أرجلكم وعلى رواحلكم إيماءً، والرجال جمع رجل، والرجل جمع راجل فإذا زال عنكم الخوف فصلوا الصلاة التامة واذكروا الله فيها كما علمكم الشرائع.

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، قالوا: يعني: الصلوات الخمس، وليس هذا بالوجه في هذه الآية؛ لأنه قال فيها: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]، وقال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩]، يعني: الصلوات الخمس زعموا، قال: ودليل ذلك قوله، ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، يعني: صلاة الجمعة وقالوا في قوله تعالى: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢] أي: أثرت حب المال على الصلاة، وقيل: على ذكر الله، وينبغي أن تكون الصلاة هنا تطوعا؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يصنع المفروض، وخرج لنا وجه آخر، وهو الذكر بمعنى الغيب في قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، أي: يعيهم، كذا قيل، والصحيح أنه يذكرهم بالغيب^١.

١ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ٢٢١ - ٢٢٥)



القاعدةُ الخامسةُ عشرةُ: معرفةُ المناسباتِ بينَ الآياتِ والسُّورِ

تعريفُ علمِ المناسباتِ:

المناسبات: جمع مناسبة، والمناسبة في اللغة المشابهة والمشاكله والمقاربة، قال الفيومي:
وَالْمُنَاسِبُ الْقَرِيبُ وَبَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ وَهَذَا يُنَاسِبُ هَذَا أَيُّ يُقَارِبُهُ شَبَهًا.^١

وقال الجوهري: وفلان يناسب فلاناً فهو نسيبه، أي قريبه. وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي
مشاكله.^٢

والتناسب عند البلاغيين: هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر؛ كقول النابغة:^٣

والرفق يمين والأناة سعادة ***** فاستأن في رزق تنال نجاحاً

والياس عمّافات يعقب راحة ***** ولرب مطعمة تعود ذباحاً

وقال الزركشي: وأعلم أنّ المناسبة علمٌ شريفٌ تحزُرُ به العُقولُ ويُعرفُ به قدرُ القائلِ
فيمَا يقولُ والمناسبةُ في اللغةِ المُقَارِبَةُ وَفُلَانٌ يُنَاسِبُ فُلَانًا أَيُّ يَقْرُبُ مِنْهُ وَيُشَاكِلُهُ وَمِنْهُ النَّسِيبُ
الَّذِي هُوَ الْقَرِيبُ الْمُتَّصِلُ كَالْأَحْوَيْنِ وَابْنِ الْعَمِّ وَنَحْوِهِ، وَإِنْ كَانَا مُتَنَاسِبَيْنِ بِمَعْنَى رَابِطٍ بَيْنَهُمَا وَهُوَ
الْقَرَابَةُ وَمِنْهُ الْمُنَاسَبَةُ فِي الْعِلَّةِ فِي بَابِ الْقِيَاسِ الْوَصْفُ الْمُقَارِبُ لِلْحُكْمِ لِأَنَّهُ إِذَا حَصَلَتْ مُقَارِبَتُهُ
لَهُ ظُنُّ عِنْدَ وُجُودِ ذَلِكَ الْوَصْفِ وُجُودُ الْحُكْمِ وَهَذَا قِيلَ الْمُنَاسَبَةُ أَمْرٌ مَعْقُولٌ إِذَا عُرِضَ عَلَى
العُقولِ تَلَقَّتْهُ بِالْقَبُولِ وَكَذَلِكَ الْمُنَاسَبَةُ فِي فَوَاتِحِ الآيِ وَخَوَاتِمِهَا وَمَرْجِعِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِلَى مَعْنَى مَا
رَابَطَ بَيْنَهُمَا عَامٌّ أَوْ حَاصٌّ عَقْلِيٌّ أَوْ حِسِّيٌّ أَوْ حَيَالِيٌّ وَعَبَّرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلَاقَاتِ أَوْ التَّلَازِمِ

١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٠٢)

٢ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٢٢٤)

٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب (٧/ ١٠٧)



الذهني كالسببِ والمسببِ والعلةِ والمعلولِ والنظيرينِ والصددينِ ونحوه أو التلازمِ الخارجيّ
كالمرتبِ على ترتيبِ الوجودِ الواقعِ في بابِ الخبرِ.^١

وفي اصطلاح المفسرين: هي ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة
متسقة المعاني منتظمة المباني.^٢

إذا فعلم المناسبات هو عبارة عن علم يُعنى ببيان أوجه الصلة بين الآيات القرآنية، ومدى
ارتباط بعضها ببعض، وبيان أوجه الصلة بين سور القرآن وأسرار ترتيبها، ولا شك أن هذا الأمر
له صلة وثيقة بتدبر القرآن؛ لذلك قال الفخر الرازي: أَكْثَرَ لَطَائِفِ الْقُرْآنِ مُودَعَةٌ فِي التَّرْتِيبَاتِ
وَالرَّوَابِطِ.^٣

١ - البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٥)

٢ - سراج المرئدين

٣ - تفسير الرازي (١٠ / ١١٠)



أهمية علم المناسبات:

قال الزركشي: وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

وقد قلَّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط وقال بعض الأئمة من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعاً.

وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة قال القاضي أبو بكر بن العري في سراج المرادين ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة حتمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرابي أول من أظهر بعداد علم المناسبات ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يوزي على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبات انتهى^١.

قواعد معرفة المناسبات:

ليس كل ما يعن للناظر في كتاب الله تعالى أنه مناسبة لما قبله يكون كذلك، بل هناك قواعد وأصول تضبط هذا العلم يجب التقيد بها حتى لا تزل فيه الأقدام، وتضل فيه الأفهام ومن هذه القواعد:

١ - البرهان في علوم القرآن (١ / ٣٦)



- ١- المناسبة فقد تظهر لبعض الناس وتخفى على غيرهم بحسب علم الإنسان وتعلق قلبه بكلام الله تعالى.
- ٢- التقديم والتأخير في كتاب الله تعالى لحكم جليلة وغايات عظيمة، يدركها العلماء بإدامة النظر في كتاب الله تعالى، وقد تخفى لى بعض الناس.
- ٣- علم المناسبة علم اجتهادي؛ لذلك لا يجوز القطع بأن هذا هو مراد الله تعالى.
- ٤- معرفة مقصد السورة من عظم ما يعين على معرفة المناسبات فيها.

قاعدة: الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا الأمر الكلي المهمين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة.^١

١ - الزيادة والإحسان في علوم القرآن (٦/ ٣١١)



شُرُوطُ جَوَازِ طَلَبِ الْمُنَاسَبَاتِ فِي الْقُرْآنِ:

اشترط العلماء لذكر المناسبة بين الآيات جملة من الشروط منها:

- أن تكون المناسبة منسجمة مع سياق الآيات.
- أن تكون المناسبة غير متعارضة مع الشرع.
- أن تكون المناسبة متوافقة مع تفسير الآية.
- ألا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله تعالى^١.

أَنْوَاعُ الْمُنَاسَبَاتِ:

١- التنظير، بأن يذكر الشيء ثم يذكر نظيره.

ومثاله قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٦٩]، يحذر الله تعالى أن يسلكوا سبيل المغضوب عليهم والضالين ممن كانوا قبلنا من اليهود والنصارى، فيصيبهم ما أصابهم من الخسران في الدنيا والآخرة وحبوط الأعمال، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، هَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، شَبَّهْنَا بِهِمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَتَّبِعُنَّهُمْ حَتَّى لَوْ دَخَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ^٢.

٢- التضاد، بأن يذكر الشيء ثم يذكر ضده بعده.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [البقرة: ٥]، فَإِنَّهُ أَوَّلُ السُّورَةِ كَانَ حَدِيثًا عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَنَّ مِنْ شَأْنِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الَّذِينَ مِنْ صِفَاتِهِمْ كَيْتٌ

١ - علم المناسبات في السور والآيات (ص: ٣٧)

٢ - تفسير الطبري (١١ / ٥٥٢)



وَكَيْتَ فَرَجَعَ إِلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا أَكْمَلَهُ عَقَّبَ بِمَا هُوَ حَدِيثٌ عَنِ الْكُفَّارِ فَبَيَّنَهُمَا جَامِعٌ وَهَمِيٌّ بِالتَّضَادِّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَحِكْمَتُهُ التَّشْوِيقُ وَالثَّبُوتُ عَلَى الْأَوَّلِ كَمَا قِيلَ:

وَبُضِّدَهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ.^١

٣- الاستطراد.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهارًا للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى.^٢

٤- حسن التخلص.

حُسْنُ التَّخَلُّصِ وَهُوَ أَنْ يَنْتَقِلَ مِمَّا ابْتَدَى بِهِ الْكَلَامُ إِلَى الْمَقْصُودِ عَلَى وَجْهِ سَهْلٍ يَخْتَلِسُهُ اخْتِلَاسًا دَقِيقَ الْمَعْنَى بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ السَّمْعُ بِالِانْتِقَالِ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الثَّانِي لِشِدَّةِ الْإِلْتِمَامِ بَيْنَهُمَا.^٣

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٨٩، ٩٠]، قال ابن عاشور: لَمَّا جَاءَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ حَسَنَ التَّخَلُّصِ إِلَى تِبْيَانِ أَصُولِ الْهُدَى فِي التَّشْرِيعِ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَائِدَةِ إِلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، إِذِ الشَّرِيعَةُ كُلُّهَا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَالتَّقْوَى مُنْحَصِرَةٌ فِي

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٩)

٢ - تفسير الزمخشري (٢/ ٩٧)

٣ - الإتيان في علوم القرآن (٣/ ٣٧٣)



الإمتثال والاجتناب، فهذه الآية استغناءً لبيان كون الكتاب تبياناً لكل شيء، فهي جامعة أصول التشريع.^١

الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخلص تركت ما كنت فيه بالكليّة وأقبلت على ما تخلّصت إليه وفي الاستطراد تمّ بذكر الأمر الذي استطرذت إليه مروراً كالبرق الخاطف ثمّ تركه وتعود إلى ما كنت فيه كأنك لم تفصده وإنما عرض عرضاً.^٢

قال الطيبي: ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معاً قوله تعالى حكايةً عن إبراهيم: ﴿فَاتَّخَمَ عَدُوٌّ لِي إِلًا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، إلى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

٥ - حسن المطلب.

وهو أن يخرج إلى العرض بعد تقدّم الوسيلة.

ومنه قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. [الفاتحة: ٥]، فالإقرار بالعبودية، وإظهار الافتقار لله تعالى، والاستغناء به عما سواه من أعظم الوسائل لتحقيق أعظم المطالب، وهو هنا الهداية.

١ - التحرير والتنوير (١٤ / ٢٥٤)

٢ - الإتيان في علوم القرآن (٣ / ٣٧٤)



أنواعُ المناسباتِ

١- المناسبةُ بينَ الآياتِ:

ويشتمل هذا النوع على عدة أمور منها:

- ٦- المناسبةُ بينَ الآيتين المتجاورتين.
- ٧- المناسبةُ بينَ الآياتِ المتشابهة.
- ٨- المناسبةُ بينَ فواتح الآياتِ وخواتمها.

٢- المناسبةُ بينَ السُّورِ:

ويشتمل هذا النوع على عدة أمور منها:

- ٩- المناسبةُ بينَ السورتين المتجاورتين.
- ١٠- المناسبةُ بينَ مطلعِ السورةِ وخاتمةِ التي قبلها.
- ١١- المناسبةُ بينَ مطلعِ السورةِ ومطلعِ السورةِ التي تليها.
- ١٢- المناسبةُ بينَ السورِ التي وردَ الجمعُ بينهما في القراءة.

٣- المناسبةُ بينَ مطلعِ السُّورةِ وخاتمتها:



تطبيقاتٌ للمُناسبةِ بينَ الآياتِ

قال الزركشي: قَالَ بَعْضُ مَشَائِخِنَا الْمُحَقِّقِينَ: وَالَّذِي يَنْبَغِي فِي كُلِّ آيَةٍ أَنْ يُبْحَثَ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ عَنْ كَوْنِهَا مُكَمَّلَةً لِمَا قَبْلَهَا أَوْ مُسْتَقِلَّةً ثُمَّ الْمُسْتَقِلَّةُ مَا وَجَّهَهُ مُنَاسِبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا؟ فَفِي ذَلِكَ عِلْمٌ جَمٌّ وَهَكَذَا فِي السُّورِ يُطَلَّبُ وَجْهٌ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا وَمَا سَيِّقَتْ لَهُ.^١

الآيةُ الأولى:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.^٢

مُناسبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَهَا:

قال أبو حيان: مُنَاسِبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ اصْطِفَاءَ طَالُوتَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَفَضُّلَ دَاوُدَ عَلَيْهِمْ بِإِيْتَائِهِ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَتَعْلِيمِهِ، ثُمَّ حَاطَبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَكَانَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ يَمْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ، بَيِّنَ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ مُتَّفَاضِلُونَ أَيْضًا.^٣

١ - البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٧)

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٥٣

٣ - البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٩٩)



الآيَةُ الثَّانِيَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^١.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ تَعَالَى لَمَّا حَدَرَ عِقَابَهُ، وَأَسْبَابَ سَخَطِهِ بِمُؤَالَاةِ الْكُفَّارِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، ذَكَرَ هُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا)^٢.

الآيَةُ الثَّالِثَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لِمَا هُمْ بِلَّاءِ شَرِّ هُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^٣.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَبَدَّلَ الْأَرْوَاحَ لِنَشْرِ الدِّينِ، وَالزُّودَ عَنْ حِيَاضِهِ، أَمَرَ هُنَا بِبَدْلِ الْأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَتَوَعَّدَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٠

٢ - حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ (١٧٦ / ٢)

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٨٠

٤ - حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ (١٤٩ / ٤)



الآيةُ الرَّابِعَةُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

قال الفخر الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين من يحلّ ومن لا يحلّ: بين فيمن يحلّ أنه متى يحلّ، وعلى أي وجه يحلّ.^٢

الآيةُ الْخَامِسَةُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾^٣.

١ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٢٥

٢ - تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ (١٠ / ٤٦)

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٤٤



مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَمَّ الْمُنَافِقِينَ عَلَى مُؤَالَاتِهِمُ الْكَافِرِينَ، حَذَّرَ الْمُؤْمِنِينَ هُنَا أَنْ يَسْلُكُوا سَبِيلَهُمْ، بِمُؤَالَاتِ الْكَافِرِينَ فَيَنَالُوا مِنَ الدَّمِ مَا نَالَ الْمُنَافِقِينَ، وَيَصِيبُهُمْ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ.^١

الْآيَةُ السَّادِسَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾.^٢

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

قال الطاهر بن عاشور: أَفْضَتْ مُنَاسَبَةُ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ إِلَى أَنْ يُذَكَّرَ مُوسَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ لِأَنَّهُ أَشْرَفَ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ.^٣

الْآيَةُ السَّابِعَةُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.^٤

١ - حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عِلْمِ الْعُيُوبِ (٥ / ٢٤٩)

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٥١

٣ - التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (١٦ / ١٢٦)

٤ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ / ٤٨



مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

قال صاحب تفسير المنار: وَبِإِثْبَاتِ الشِّرْكِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ تَظَهَّرَ مُنَاسَبَةُ وَضْعِ هَذِهِ الْآيَةِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي مُحَاجَّتِهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَا يُعْرَتِكُمْ انْتِمَاؤُكُمْ إِلَى الْكُتُبِ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ هَدَمْتُمْ أَسَاسَ دِينِهِمْ بِالشِّرْكِ الَّذِي لَا يَعْفُرُهُ اللَّهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.^١

١ - تفسير المنار (٥ / ١٢٠)



تطبيقاتٌ للمُناسبةِ بينَ السُّورِ

مناسبة الترتيب بين سورتي النساء والمائدة:

لما كانت سورة النساء تشتمل على عدة عقود كعقد النكاح وعقد الإيمان والمواثيق والوصية وغيرها، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. [المائدة: ١].^١

مناسبة الترتيب بين سورتي يونس وهود:

لما ختمت السورة التي قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال. ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي على ما سلف في البقرة: ﴿كتاب﴾ أي عظيم جامع لكل خير، ثم وصفه بقوله: ﴿أحكمت﴾ بناه للمفعول بياناً لأن إحكامه أمر قد فرغ منه على أيسر وجه عنه سبحانه وأتقن إتقاناً لا مزيد عليه ﴿آياته﴾، أي: أتقنت إتقاناً لا نقص معه فلا ينقصها الذي أنزلها بنسخها كلها بكتاب آخر ولا غيره، ولا يستطيع غيره نقص شيء منها، ولا الطعن في شيء من بلاغتها أو فصاحتها بشيء يقبل.^٢

مناسبة الترتيب بين سورتي يوسف والرعد.

قال البقاعي: وقال الإمام أبو جعفر بن زبير رحمه الله في برهانه: هذه السورة تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة سورة يوسف عليه السلام ﴿وَكَايِنٌ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ

١ - معالم السور (ص: ٣٤)

٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩/ ٢٢٤)



تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧) قُلْ هَذِهِ سَيِّلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿يُوسُفَ: ١٠٥-١٠٨﴾
 [١٠٨] فبيان آي السماوات في قوله ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الرَّعْدِ: ٢]، وبيان آي الأرض في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرَّعْدِ: ٣]، فهذه آي السماوات والأرض، وقد زيدت بياناً في مواضع، ثم في قوله تعالى: ﴿يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الرَّعْدِ: ٣]، ما يكون من الآيات عنهن، لأن الظلمة عن جرم الأرض، والضياء عن نور الشمس وهي سماوية، ثم زاد تعالى آيات الأرض بياناً وتفصيلاً في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ [الرَّعْدِ: ٤] إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرَّعْدِ: ٤].^١

مناسبة الترتيب بين سورة القمر وسورة الرحمن.

قال البقاعي في نظم الدرر: وقال الإمام جعفر بن الزبير: من المعلوم أن الكتاب العزيز وإن كانت آيه كلها معجزة باهرة وسوره في جليل النظم وبديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض في تبين إعجازها، وتظاهر بلاغتها وإيجازها، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات وسور من أول وهلة دون كبير تأمل! كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] الآيات. لا يتوقف في باهر إعجازها إلا مَنْ طبع الله على قلبه، أو سدّ دونه باب الفهم بأني له بر لوجه وقوعه، وسورة القمر من هذا النمط، ألا ترى اختصار القصص فيه مع حصول أطرافها وتوفية أغراضها، وما جرى مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه والإعذار، ولولا أني لم أقصد التعليق ما بنيته عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه، ولعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به ويسر فيه، فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا وبان فيها عظيم الرحمة في تكرر القصص وشفع العظائم، وظهرت حجة

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٠ / ٢٦٤)



الله على الخلق، وكان ذلك من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن ووقفه لفهمه واعتباره، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرَّحْمَنُ: ١ - ٤]، وخص من أسمائه الحسنى هذا الاسم إشعاراً برحمته بالكتاب وعظيم إحسانه به ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٣٤]، ثم قد تمهد أن سورة القمر إعدار، ومن أين للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات، وإيضاح البيئات إن تعذر إليهم زيادة في البلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرَّحْمَنُ: ١، ٢]، ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعدارها خاصاً ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيهاً للثقلين وإعداراً إليهم وتقريراً للجنسين على ما أودع سبحانه في العالم من العجائب والبراهين الساطعة، فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٢] خطاباً للجنسين وإعداراً للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان انتهى^١.

مناسبة الترتيب بين سورتي الممتحنة والحشر، وبين سورة المُجَادَلَةِ.

قال البقاعي: وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: افتتحت - يعني هذه السورة - بوصية المؤمنين على ترك موالاة أعدائهم ونهيتهم عن ذلك وأمرهم بالتبرؤ منهم، وهو المعنى الوارد في قوله خاتمة المجادلة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المُجَادَلَةِ: ٢٢]، إلى آخر السورة، وقد حصل منها أن أسنى أحوال أهل الإيمان وأعلى مناصبهم ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المُجَادَلَةِ: ٢٢]، فوصى عباده في افتتاح الممتحنة بالتنزه عن موالاة الأعداء، ووعظهم بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه في تبرئهم من قومهم ومعاداتهم، والاتصال في هذا بيّن، وكان سورة الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيد الكلام، وتنبيه السامع على ما به تمام الفائدة، لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتنزيهه

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩/١٤٢، ١٤٣)



عن مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما عجله لهم من النعمة والنكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة له.^١

مناسبة الترتيب بين سورتي المُنَافِقُونَ والتَّعَابُنِ:

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى: لما بسط في السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بني إسرائيل ثم لم يحملها، وحال المنافقين المتظاهرين بالإسلام، وقلوبهم كفرا وعناداً متكاثفة الإظلام، وبين خروج الطائفتين عن سواء السبيل المستقيم، وتنكبهم عن هدى الدين القويم، وأوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم في الكفر بوسم الانفراد وسماءً ينبىء عن عظيم ذلك الإبعاد، سوى ما تناول غيرهم من أحزاب الكفار، فأنبأ تعالى عن أن الخلق بجملتهم وإن تشعبت الفرق وافترقت الطرق راجعون بحكم السوابق إلى طريقتين فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التَّعَابُنِ: ٢] وقد أوضحنا الدلائل أن المؤمنين على درجات، وأهل الكفر ذو طبقات، وأهل النفاق أدونهم حالاً وأسوأهم كفراً وضلالاً «إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار» وافتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين في جهلهم ولو لم تنطو سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم إلا على ما حكاه تعالى من قولهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المُنَافِقُونَ: ٨]، وقد أشار قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التَّعَابُنِ: ٤]، إلى ما قبله وبعده من الآيات إلى سوء جهل المنافقين، وعظيم حرمانهم في قولهم بألسنتهم مما لم تنطو عليه قلوبهم: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المُنَافِقُونَ: ١]، واتخاذهم أيمانهم جنة وصددهم عن سبيل الله إلى ما وصفهم سبحانه به، فافتتح سبحانه وتعالى سورة التغابن بتنزيهه عما توهموه من مرتكباتهم التي لا تخفى عليه سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَجَوَّاهُمْ﴾ [التَّوْبَةِ: ٧٨].^٢

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٩ / ٤٩١)

٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠ / ١٠١)



مناسبة الترتيب بين سورة القيامة، وبين سورة الإنسان:

قال البقاعي: ولما تقدم في آخر القيامة التهديد على مطلق التكذيب، وأن المرجع إلى الله وحده، والإنكار على من ظن أنه يترك سدى والاستدلال على البعث وتام القدرة عليه، تلاه أول هذه بالاستفهام الإنكاري على ما يقطع معه بأن لا يترك سدى، فقال مفصلاً ما له سبحانه عليه من نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد: ﴿هَلْ أَتَى﴾ [الإنسان: ١]، أي: بوجه من الوجوه ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١]، أي هذا النوع الذي شغله عما يراد به ويراد له لعظم مقداره في نفس الأمر الأفسس بنفسه والإعجاب بظاهر حسه والنسيان لما بعد حلول رمسه.^١

مناسبة الترتيب بين سورتي البروج، والطارق.

لما أخبر الله تعالى في سورة البروج باطلاعه على ما كان يفعله أصحاب الأخدود بالمؤمنين من التعذيب والتحريق بالنار، وأنه لا يخفى عليه منهم شيء، بقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، [البروج: ٥ - ٧]، وما فعله فرعون وثمود بأوليائه، وأنه لا يخفى عليه شيء من طغيانهم، بقوله: ﴿وَاللَّهُ مِنْ ورائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، [البروج: ٢٠]، وأنه أحصى عليهم جرائمهم، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾، [المجادلة: ٦]، وحفظها في كتاب كما قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، [الجاثية: ٢٩]، ولما كان هذا الحفظ المذكور في هذه السورة حفظاً خاصاً بهؤلاء المذكورين، ذكر الله تعالى في سورة الطارق الحفظ العام للخلق جميعاً فقال: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، [الطارق: ٤]، وأقسم على ذلك بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، [الطارق: ١]، كما قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: ١٠ - ١٢]، فكان ما في سورة الطارق بالنسبة لسورة البروج بمثابة ذكر العام بعد الخاص.

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١ / ١٢٠)



مناسبة الترتيب بين سورتي الفيل، وقُرَيْشٍ.

لما ذكر الله تعالى ما أحله بأعدائه من النعمة حين أرادوا هدم البيت الحرام في سورة الفيل، فقال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، [الفيل: ٥]، قال تعال في مطلع السورة التي تليها: ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ﴾، [قُرَيْشٍ: ١]، فاتصلت سورة قريش بسورة الفيل، وكانت اللام في: ﴿لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ﴾، لام العاقبة لإهلاك أصحاب الفيل؛ وقد قال الأَخْفَشُ: اتَّصَاهَا بِهَا مِنْ بَابِ قَوْلِهِ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^١.

١ - سورة القصص: الآية/ ٨



المُناسبةُ بَيْنَ مَطْلَعِ السورةِ ونهايتها

المُناسبةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سورةِ المائدةِ ونهايتها:

في أولِ سورةِ المائدةِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وختمت بقوله

تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

المُناسبةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سورةِ التَّوْبَةِ ونهايتها:

في أولِ سورةِ التَّوْبَةِ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٣]،

وختمت بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُلَّ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾^٢.

المُناسبةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سورةِ الْأَنْبِيَاءِ ونهايتها:

افتتحت سورةِ الْأَنْبِيَاءِ بقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ١]، وختمت بقوله

تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾^٣.

المُناسبةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سورةِ الْمُؤْمِنُونَ ونهايتها:

افتتحت سورةِ الْمُؤْمِنُونَ بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١]، وختمت بقوله

تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^٤.

١ - سورة المائدة: الآية/ ١٢٠

٢ - سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ١٢٩

٣ - سورة الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٩٧

٤ - سورة الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ١١٧



المُنَاسَبَةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سُورَةِ الْقَصَصِ وَنَهَايَتِهَا:

في أول سورة القصص قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]،
وختمت بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾^١.

المُنَاسَبَةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ وَنَهَايَتِهَا:

في أول سورة الجاثية قوله تعالى: ﴿حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١]،
وختمت بقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٢.

المُنَاسَبَةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سُورَةِ الدَّارِيَاتِ وَنَهَايَتِهَا:

في أول سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ﴾ [الدَّارِيَاتِ: ٥]، وختمت بقوله
تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾^٣.

المُنَاسَبَةُ بَيْنَ مَطْلَعِ سُورَةِ الْمُتَحِنَةِ وَنَهَايَتِهَا:

افتتحت سورة الْمُتَحِنَةِ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ﴾ [الْمُتَحِنَةِ: ١]، وختمت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ﴾^٤.

١ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ / ٨٦

٢ - سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: الْآيَةُ / ٣٧

٣ - سُورَةُ الدَّارِيَاتِ: الْآيَةُ / ٦٠

٤ - سُورَةُ الْمُتَحِنَةِ: الْآيَةُ / ١٣



المُنَاسِبَةُ بَيْنَ مَطَلَعِ سُورَةِ الْقَلَمِ وَنَهَايَتِهَا:

في أول سورة القلم قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وختمت بقوله

تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾^١.



القاعدةُ السادسةُ عشرة: العِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ

تكلمنا فيما سبق عن تعريف العامِّ وألفاظِهِ وقلنا: العامُّ هُوَ: «اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ دَلَالَةً لَا تَنْحَصِرُ فِي عَدَدٍ».

وقلنا أَلْفَاظُ الْعُمُومِ: الْمُعَرَّفُ بِاللَّامِ كَالنَّاسِ وَالْمُسْلِمِينَ، مَا أُضِيفَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَعْرِفَةٍ، كَعَبِيدِ زَيْدٍ، وَمَالِ عَمْرٍو، أَدَوَاتُ الشَّرْطِ، كَمَنْ لِلْعَاقِلِ، وَمَا لغيرِ الْعَاقِلِ وَأَيٍّ، وَأَيْنَ، الْمَكَانِ، وَمَتَى وَأَيَّانَ، كُلُّ وَجْمِعٍ، النَّكْرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ.

وقلنا الْخَاصُّ هُوَ: (قَصْرُ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ).

معنى القاعدة:

وردت في القرآن آيات نزلت على سببٍ خاصٍ ولكنها وردت بلفظ عام، ومن قواعد الأصول والتفسير: (العِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ)، ومعنى القاعدة أن العام الوارد على سبب خاص يحمل على العموم أو يقتصر على السبب الخاص ويسقط عمومه؟

أكثر العلماء على أنَّ العِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، حتى قال الزركشي: لا إشكال في صحَّةِ دَعْوَى الْعُمُومِ فِيمَا جَاءَ مِنَ الشَّارِعِ ابْتِدَاءً.

قال القاضي أبو يعلى: وهو قول أصحاب أبي حنيفة، وأكثر أصحاب الشافعي، وأصحاب الأشعري، وقال أصحاب مالك: يقتصر على السؤال، وحكى ذلك عن المزني وأبي بكر الدقاق.^١

وأكثر المالكية على القول بأنَّ العِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ؛ قال القرافي: وليس من مخصصات العموم سببه، بل يحمل عندنا على عمومه إذا كان مستقلاً لعدم المنافاة خلافاً للشافعي والمزني، وإن

١ - العدة في أصول الفقه (٢/ ٦٠٧)



كان السبب يندرج في العموم أولى من غيره، وعلى ذلك أكثر أصحابنا، وعن مالك فيه روايتان.^١

وقال في الفروق: العبرة عند الفقهاء والأصوليين بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيستدلون أبداً بظاهر العموم وإن كان في غير مورد سببه ففي العزيز على الجامع الصغير عند حديث الدارقطني في السنن عن جابر بن عبد الله وصححه ابن حزم «ابدهوا بما بدأ الله به» ما نصه أي في القرآن فيجب عليكم الابتداء في السعي بالصفاء وذا وإن ورد عن سبب لكن العبرة بعموم اللفظ اه.^٢

قال الزركشي: أطلق جماعة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بلا خلاف. ولا بد في ذلك من تفصيل، وهو أن الخطاب إما أن يكون جواباً لسؤال سائل أم لا؟ فإن كان جواباً، فإما أن يستقل بنفسه أو لا، فإن لم يستقل بحيث لا يصح الابتداء به فلا خلاف في أنه تابع للسؤال في عمومه وخصومه، حتى كأن السؤال معاد فيه، فإن كان السؤال عاماً فعام أو خاصاً فخاص.

مثال خصوص السؤال قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]. ومثال عموم ما لو سئل عمم جامع امرأته في نهار رمضان، فقال: يُعتق رقبة. فهذا عام في كلٍ واطيء في رمضان.

وإن استقل الجواب بنفسه بحيث لو ورد مبتدأ لكان كلاماً تاماً مفيداً للعموم فهو على ثلاثة أقسام: لأنه إما أن يكون أخص أو مساوياً أو أعم.

الأول: أن يكون مساوياً له لا يزيد عليه ولا ينقص، كما لو سئل عن ماء بضاعة وماء البحر، فقال: لا ينجسه شيء، فيجب حمله على ظاهره بلا خلاف.

١ - شرح تنقيح الفصول (ص: ٢١٦)

٢ - الفروق للقراني (١ / ١١٤)



الثاني: أن يكونَ الجوابُ أخصَّ من السؤالِ مثلُ أن يسألَ عن أحكامِ المياهِ، فيقولُ: ماءُ البحرِ طهورٌ، فيخصُّ الجوابُ بالبعضِ، ولا يعمُّ بعمومِ السؤالِ بلا خلافٍ. قال ابنُ القشيريِّ: ولا يجوزُ أن يصدرَ مثلُ هذا من النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا إذا عَلِمَ أنَّ الحاجةَ إنما تمسُّ إلى بيانِ ما خصَّصه بالذكرِ، أمَّا إذا عَلِمَ أنَّ الحاجةَ عامَّةٌ في بيانِ جملةِ المياهِ فتأخيراً البيانِ عن وقتِ الحاجةِ لا يجوزُ.

الثالث: أن يكونَ الجوابُ أعمَّ من السؤالِ، فيتناولُ ما سُئِلَ عنه وعن غيره، فهو قسمان: أحدهما: أن يكونَ أعمَّ منه في حكمٍ آخرٍ غيرِ ما سُئِلَ عنه، كسؤالهم عن التوضؤِ بماءِ البحرِ، وجوابه بقوله: «هو الطهورُ ماؤه الحِلُّ ميتته»، فلا خلافَ أنَّه عامٌّ لا يختصُّ بالسائلِ، ولا بمحلِّ السؤالِ من ضرورتهم إلى الماءِ وعطشهم، بل يعمُّ حالَ الضرورةِ والاختيارِ.

الثاني: أن يكونَ أعمَّ منه في ذلكَ الحكمِ الذي سألَ عنه، كقوله: وقد سُئِلَ عن بئرٍ بضاعةٍ: «الماءُ طهورٌ لا ينجسه شيءٌ». وفيه مذهب:

أحدها: وبه قالَ بعضُ أصحابنا ونسبه المتأخرونَ للشافعيِّ، أنَّه يجبُ قصره على ما أُخْرِجَ عَلَيْهِ السؤالُ.

والثاني: أنَّه يجبُ حملُه على العمومِ، لأنَّ عدولَ المُجيبِ عن الخاصِّ المسئولِ عنه إلى العامِّ دليلٌ على إرادةِ العمومِ، ولأنَّ الحجَّةَ في اللفظِ، وهو مُقتضى العمومِ. ووُروده على السببِ لا يصلحُ معارضةً لجوازِ أن يكونَ المقصودُ عندَ وُروِدِ السببِ: بيانُ القاعدةِ العامةِ لهذهِ الصورةِ وغيرِها.^١

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ

١ - البحر المحيط في أصول الفقه (٤ / ٢٦٩ - ٢٧٦) بتصرف.



القواعد المثلى لتدبر القرآن

سعيد بن مضافي دياب

أَمْثُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١﴾

نزلت في قيس بن صرمة الأنصاري رضي الله عنه، فعن البراء رضي الله عنه، قال: " كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فعلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: حبيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ٢.

ومع أنها نزلت على سبب خاص إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد أباح الله تعالى لكل مسلم الأكل والشرب والجماع في ليلة الصيام بهذه الآية.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٣.

نزلت في عثمان بن طلحة الحنفي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة، فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح، أعلق عثمان باب البيت وصعد السطح، فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان، فطلب منه فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه

١ - سورة البقرة: الآية / ١٨٧

٢ - سورة البقرة: الآية / ١٨٧

٣ - سورة النساء: الآية / ٥٨



القواعدُ المثلَى لتدبرِ القرآنِ

سعيد بن مُصطفى دياب

المِفْتَاحُ لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ السِّقَايَةِ وَالسِّدَانَةِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا أَنْ يُرَدَّ الْمِفْتَاحَ إِلَى عُثْمَانَ؛ فَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، فَبَضَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَدَخَلَ الْكَعْبَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ، فَدَعَا عُثْمَانَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْمِفْتَاحَ وَقَالَ: "خُذُوهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ بِأَمَانَةِ اللهِ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ"^١.

ومن ذلك قولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٢.

فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَاصِمَ الزُّبَيْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي شِرَاحِ الْحَرَّةِ الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: سَرَّحَ الْمَاءَ يَمْرُ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَاخْتَصَمُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ فَتَلَوْنَ وَجْهَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ أَحْبَسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَدْرِ» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللهِ إِنِّي لِأَحْسِبُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [النِّسَاءِ: ٦٥].^٣

ومع أنها نزلت على سببٍ خاصٍ إلا أَنَّ الْعِبْرَةَ بَعْمُومِ اللَّفْظِ لَا بِحُضُوصِ السَّبَبِ، فَكُلٌّ مِنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَجَدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجًا مِنْ قَضَائِهِ، وَلَمْ يَسَلِّمْ لَهُ تَسْلِيمًا فِي إِيمَانِهِ خَلًّا.

١ - رواه والواحد في أسباب النزول (ص: ١٥٨)، وابنُ جريرٍ عن ابنِ جريرٍ، انظر تفسير الطبري (٧/ ١٧٠)

٢ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٦٥

٣ - رواه البخاري - كتاب تفسير القرآن، باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٦٥]،

حديث رقم: ٤٥٨٥، ومسلم - كتاب الفضائل، باب وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٣٥٧



وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^١.

فَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي مُحَلِّمِ بْنِ جَثَامَةَ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعَثًا، فَلَقِيَ عَامِرَ بْنَ الْأَضْبَطِ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عداوةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَرَمَاهُ مُحَلِّمٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ قَالُوا: مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا لِيَتَعَوَّذَ مِنْكُمْ فَقَامُوا فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا غَنَمَهُ، فَأَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]".^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرِدٍ قَالَ: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِضْمٍ، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثِيُّ بْنُ رَبِيعٍ، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ"، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِضْمٍ مَرَّ بِنَا عَامِرُ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ، لَهُ مَعَهُ مُتَبِعٌ وَوَطْبٌ مِنْ لَبَنٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا، سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَامَةَ، فَقَتَلَهُ بِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمُتَبِعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِيْنَا الْقُرْآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].^٣

١ - سورة النساء: الآية/ ٩٤

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٠٢٣، والترمذي- أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ومن سورة النساء، حديث رقم: ٣٠٣٠، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٨٨١



ومن ذلك قولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^١.

نَزَلَتْ فِي عُمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَأَصْحَابِهِ، حِينَ حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالنِّسَاءِ؛ عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] قَالَ: "نَزَلَتْ فِي عُمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ وَأَصْحَابِهِ، حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ كَثِيرًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالنِّسَاءِ، فَهَمَّ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقْطَعَ ذِكْرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].^٢

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَرِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي»^٣.

ومع أنَّ الآيةَ نزلت على سببٍ خاصٍ إِلَّا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُحَرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

ومن ذلك قولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي سِنِينَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

١ - سورة المائدة: الآية/ ٨٧

٢ - رواه سعيد بن منصور حديث رقم: ٧٧١، وابن أبي حاتم في التفسير (٤/ ١١٨٧)

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ، حَدِيثُ رَقْم: ٥٠٦٣، وَمُسْلِمٌ- كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اسْتِخْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ نَأَقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَّهُ، وَاسْتِغَالَ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ، حَدِيثُ رَقْم: ١٤٠١



القواعدُ المثلَى لتدبر القرآن

سعيد بن مصطفي دياب

عِلْمٌ فَلَا تُطْعُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ
نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ
وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا
حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُهْدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ
تُشْرِكَ بِي﴾ وَفِيهَا ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].^٢

وَعَنْ أَبِي عُمَانَ النَّهْدِيِّ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: " أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ
عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ [لقمان: ١٥]، قَالَ:
كُنْتُ رَجُلًا بَرًّا بِأُمِّي، فَلَمَّا أَسَلَمْتُ، قَالَتْ: يَا سَعْدُ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ أَحَدَثْتَ؟، لَتَدَعَنَّ
دِينَكَ هَذَا أَوْ لَا أَكُلُ وَلَا أَشْرَبُ، حَتَّى أَمُوتَ، فَتَعَبَّرَ بِي، فَيُقَالُ: يَا قَاتِلَ أُمِّهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا
أُمَاهُ: إِنِّي لَا أَدْعُ دِينِي هَذَا، أَوْ لَا أَدْعُ دِينَ هَذَا النَّبِيِّ، قَالَ: فَمَكَثْتُ يَوْمًا لَا تَأْكُلُ وَلَيْلَةً،
فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ أُجْهِدْتُ، قَالَ: فَمَكَثْتُ يَوْمًا آخَرَ وَلَيْلَةً لَا تَأْكُلُ، فَأَصْبَحْتُ وَقَدْ اسْتُجْهِدْتُ،
قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ، قُلْتُ يَا أُمَاهُ: تَعَلَّمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِائَةٌ نَفْسٍ فَحَرَجْتُ نَفْسًا نَفْسًا مَا
تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، إِنْ شِئْتَ فَكُلِّي، وَإِنْ شِئْتَ، فَلَا تَأْكُلِي، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ، أَكَلَتْ،
فَأُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ"^٣.

١ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الْآيَةُ / ١٤، ١٥

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، حديث
رقم: ١٧٤٨

٣ - رواه الشجري في الأمالي الخميسية، حديث رقم: ٢٠٠٢



ومع أنها نزلت على سببٍ خاصٍ إلا أنَّ العبرةَ بعمومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فيجب على كل مسلم أن يبر والديه وأن يحسن إليهما غاية الإحسان، ولو كانا كافرين، ومع ذلك لا يجوز له طاعتهما في معصية الله تعالى فضلاً عن الكفر به تعالى.

ومن ذلك قولُ الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ^١.

نزلت هذه الآيات في حوالة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت رضي الله عنهما، ومع أنها نزلت على سبب خاص إلا أنَّ العبرةَ بعمومِ اللَّفْظِ لا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فكل من ظاهر من امرأته فكفارته تحريُّ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا.

فَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنْ لِيَ لَأَسْمَعُ كَلَامَ حَوَالَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سِنِّي وَأَنْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: "فَمَا بَرَحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١ - سورة المجادلة: الآية / ١ - ٤



هؤُلاءِ الآيَاتِ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، قَالَ: وَزَوْجُهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ.^١

١ - رواه ابن ماجه- كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الظَّهَارِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٠٦٣، وَالْحَاكِمُ- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٣٧٩١، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيْقًا مَخْتَصَرًا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] (٩/ ١١٧)



المحتويات

٢	مقدمة.....
٧	مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ
٩	مِنْ فَوَائِدِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فَهَمُّ مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْآيَاتِ
١١	تَحْقِيقُ الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
١٢	تَيْسِيرُ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ
١٣	مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ
١٤	التَّدْبِيرُ سَبَبُ انْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَمِفْتَاحُ حَيَاةِ الْقَلْبِ.....
١٥	الْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّدْبِيرِ.....
١٧	القَاعِدَةُ الْأُولَى (أَنْتَ الْمَحَاطَبُ بِالْقُرْآنِ)
١٩	القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ (تَحَلَّ بِالْفَضَائِلِ وَتَحَلَّ عَنِ الرِّذَائِلِ)
٢١	القَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ (احْذَرِ شُرُومَ الْمَعْصِيَةِ)
٢٣	القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ (الْقُرْآنُ لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ إِلَّا إِذَا أُعْطِيَتْهُ كُلُّكَ)
٢٦	القَاعِدَةُ الْخَامِسَةُ (رِعَايَةُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ مِنْ أَسْبَابِ التَّدْبِيرِ)
٢٧	أَنْوَاعُ الْوَقْفِ:
٢٨	أمثلة للوقف القبيح الذي يحيل المعنى:
٣١	أمثلة للإبتداء القبيح الذي يُحِيلُ الْمَعْنَى:



- ٣٣ القاعدةُ السادسةُ (ليسَ في القرآنِ ترادُفٌ)
- ٣٥ أمثلة لما يُظنُّ أنه من المترادفٍ وليس كذلك
- ٣٥ (الخوفُ والحشيةُ):
- ٣٦ (الشُّحُّ والبُخلُ):
- ٣٧ (البُخلُ والضُّنُّ):
- ٣٧ (العامُّ والسنةُ):
- ٣٨ (مدٌّ وأمدٌ):
- ٣٩ (السَّقِيُّ والإِسْقَاءُ):
- ٣٩ (انْفَجَرَ وَانْبَجَسَ):
- ٤١ (العَمَلُ والفِعْلُ):
- ٤٢ (المُعُودُ والجُلُوسُ):
- ٤٣ (بلى ونعم):
- ٤٥ القاعدةُ السابعةُ (التأسيسُ أُولَى مِنَ التأكيدِ)
- ٤٩ القاعدةُ الثامنةُ: (من لا يعرفُ تصاريفَ الكلامِ لا يفهمُ القرآنَ)
- ٥٣ القاعدةُ التاسعةُ (القرآنُ ليسَ له ظاهرٌ وباطنٌ)
- ٥٣ التفسير الباطني:
- ٥٣ معنى التفسير الباطني:
- ٥٦ التفسير الإشاري:
- ٥٩ القاعدةُ العاشرةُ (ليسَ في القرآنِ شيءٌ زائدٌ)



- ٦٠ الآيةُ الأولى:
- ٦٢ الآيةُ الثانيةُ:
- ٦٤ الآيةُ الثالثةُ:
- ٦٥ الآيةُ الرابعةُ:
- ٦٧ الآيةُ الخامسةُ:
- ٦٨ الآيةُ السادسةُ:
- ٧٠ الآيةُ السابعةُ:
- ٧١ القاعدةُ الحاديةُ عشرةُ (القرآنُ نزلَ بلسانِ عربيٍّ مبينٍ)
- ٧٢ أساليبُ القرآنِ البلاغيةُ
- ٧٢ الكنايةُ:
- ٧٢ أسبابُ الكنايةِ:
- ٧٢ أن يكونَ التصريحُ مما يُستحيا من ذكره:
- ٧٤ أن يكونَ التصريحُ مما يُستفح ذكره:
- ٧٥ التنبيهُ على عظمِ قُدرةِ الله تعالى:
- ٧٥ التنبيهُ على قصدِ المبالغةِ:
- ٧٨ الطباقُ:
- ٧٨ تعريفُ الطباقِ:
- ٧٩ أولا الطباقُ اللفظيُّ:
- ٨١ أمثلةُ الطباقِ المعنويِّ:
- ٨٢ تعريفُ طباقِ السلبِ:



- ٨٤ مثال الطباق في الأسماء:
- ٨٥ التَّضْمِينُ:
- ٩٥ التَّأْكِيدُ:
- ١٠٤ ثانياً التَّوَكِيدُ الْمَعْنَوِيُّ:
- ١٠٦ التَّلْفِيفُ:
- ١٠٦ تعريف التَّلْفِيفِ:
- ١٠٧ أَمْثَلُهُ التَّلْفِيفِ:
- ١١١ التَّقْسِيمُ:
- ١١١ ضُرُوبُ التَّقْسِيمِ:
- ١١٩ الْإِلْتِفَاتُ:
- ١١٩ تَعْرِيفُ الْإِلْتِفَاتِ:
- ١١٩ فَائِدَتُهُ:
- ١٢٠ شَرْطُ الْإِلْتِفَاتِ:
- ١٢٠ أَقْسَامُهُ:
- ١٢٠ مِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْعَيْبَةِ:
- ١٢٢ وَمِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى التَّكْلُمِ:
- ١٢٤ وَمِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ الْعَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ:
- ١٢٥ وَمِثَالُ الْإِلْتِفَاتِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ:
- ١٢٦ اللَّفُّ وَالنَّشْرُ:
- ١٢٦ تَعْرِيفُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ:



- ١٢٧..... أَفْسَامُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ:
- ١٢٨..... أَوْلَا: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ الْمُرْتَّبُ:
- ١٢٩..... ثَانِيًا: اللَّفُّ وَالنَّشْرُ غَيْرُ الْمُرْتَّبِ:
- ١٣١..... التَّرْقِي:
- ١٣١..... تعريف التَّرْقِي:
- ١٣٩..... التَّغْلِيْبُ:
- ١٣٩..... تَعْرِيفُ التَّغْلِيْبِ:
- ١٤٠..... أَمْتَلَةُ التَّغْلِيْبِ:
- ١٤٠..... تَعْلِيْبُ الْعَاقِلِ عَلَى غَيْرِ الْعَاقِلِ:
- ١٤١..... تَعْلِيْبُ غَيْرِ الْعَاقِلِ عَلَى الْعَاقِلِ:
- ١٤٢..... تَعْلِيْبُ الْأَشْهَرِ:
- ١٤٣..... تَعْلِيْبُ الْمَذْكُرِ عَلَى الْمُنْثِ:
- ١٤٤..... تَعْلِيْبُ مَا وَقَعَ بِوَجْهِ مَخْصُوصٍ عَلَى مَا وَقَعَ بِغَيْرِهِ:
- ١٤٤..... تَعْلِيْبُ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى جَزَاءِ أَعْدَاءِ اللَّهِ:
- ١٤٥..... تَعْلِيْبُ الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ:
- ١٤٦..... تَعْلِيْبُ الْمَوْجُودِ عَلَى مَا لَمْ يَوْجَدْ:
- ١٤٧..... تَعْلِيْبُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْغَائِبِ:
- ١٤٩..... الإِحْتِرَاسُ:
- ١٥٤..... الإِعْتِرَاضُ:
- ١٥٥..... أَسْبَابُ الإِعْتِرَاضِ:



- المُدْرَجُ: ١٦٣
- تعريف المُدْرَجِ: ١٦٣
- أمثلة المُدْرَجِ: ١٦٣
- ضَرْبُ الْأَمْثَالِ: ١٦٨
- تَعْرِيفُ الْمَثَلِ: ١٦٨
- فوائدُ تَعَلُّمِ أَمْثَالِ الْقُرْآنِ: ١٦٨
- فَائِدَةُ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ فِي الْقُرْآنِ: ١٦٩
- الْأَمْثَالُ فِي الْقُرْآنِ قِسْمَانِ: ١٧٠
- مِثَالُ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ: ١٧٠
- القسمُ الثَّانِي: كَامِنٌ لَا ذِكْرَ لِلْمَثَلِ فِي الْآيَاتِ ١٩١
- الْعَامُّ الْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ: ١٩٢
- تعريفُ الْعَامِّ: ١٩٢
- الْفَقَاظُ الْعُمُومِ: ١٩٣
- تعريفُ الْخَاصِّ: ١٩٣
- الْإِيحَازُ ٢٠١
- حَدُّ الْإِيحَازِ: ٢٠١
- أَقْسَامُ الْإِيحَازِ: ٢٠٢
- أولاً إِيحَازُ الْقَصْرِ: ٢٠٣
- الضَّرْبُ الْأَوَّلُ إِيحَازُ الْقَصْرِ: ٢٠٣
- الضَّرْبُ الثَّانِي إِيحَازُ التَّقْدِيرِ: ٢٠٦



- الضرب الثالثُ: الإيجازُ الجامعُ: ٢٠٨.....
- القِسْمُ الثَّانِي إِيحَازُ الحُدْفِ: ٢٠٨.....
- الإِطْنَابُ: ٢١٠.....
- تعريفُ الإِطْنَابِ: ٢١٠.....
- فائدةُ الإِطْنَابِ: ٢١١.....
- أقسامُ الإِطْنَابِ: ٢١١.....
- أولاُ الإِطْنَابُ بالبَسْطِ: ٢١١.....
- القسمُ الثانيُ إِطْنَابُ الزِّيَادَةِ: ٢١٨.....
- القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ (الْقُرْآنُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْفَصَاحَةِ) ٢٢٣.....
- القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ عَشْرَةَ: (الْوُقُوفُ عَلَى مَعَانِي الحُرُوفِ) ٢٣٨.....
- المرادُ بحروفِ المعاني: ٢٣٨.....
- حد الحرف: ٢٣٨.....
- سببُ تسميةِ الحرفِ بذلك: ٢٣٨.....
- الفرقُ بين حرفِ المعنى وحرفِ الهجاء: ٢٣٩.....
- أقسامُ حروفِ المعاني: ٢٣٩.....
- عدة حروفِ المعاني: ٢٣٩.....
- الحرفُ الأولُ: (الهمزة) ٢٤٠.....
- الثاني: (حرفُ الباء) ٢٤٢.....
- الثالث: (أَنَّ) الْمُفْتُوحَةُ الهمزةُ السَّاكِنَةُ التُّونِ ٢٤٥.....



- ٢٤٨.....الرابع: (إِنَّ) الْمَكْسُورَةُ الْمُشَدَّدَةُ.
- ٢٤٩.....الخامس: (الكاف)
- ٢٥١.....السادس: (اللام)
- ٢٥٩.....القاعدةُ الرَّبْعَةُ عَشْرَةَ: (مَعْرِفَةُ الْوَجُوهِ وَالنَّطَائِرِ)
- ٢٦٣.....(الدَّيْنُ)
- ٢٦٥.....(الْقَضَاءُ)
- ٢٦٦.....(الْمَنْ)
- ٢٦٧.....(الْعَرْضُ)
- ٢٦٩.....(وَرَاءُ)
- ٢٧١.....(الْإِحْصَانُ)
- ٢٧٢.....(الطُّوْلُ)
- ٢٧٣.....(الْمَتَاعُ)
- ٢٧٤.....(السُّوءُ)
- ٢٧٥.....(الدِّكْرُ)
- ٢٧٩.....القاعدةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ الْمُنَاسَبَاتِ بَيْنَ الْآيَاتِ وَالسُّورِ
- ٢٧٩.....تَعْرِيفُ عِلْمِ الْمُنَاسَبَاتِ:
- ٢٨١.....أَهْمِيَّةُ عِلْمِ الْمُنَاسَبَةِ:



- قواعدُ معرفةِ المناسبةِ: ٢٨١
- أنواعُ المناسباتِ: ٢٨٣
- أنواعُ المناسباتِ ٢٨٦
- ١- المناسبةُ بينَ الآياتِ: ٢٨٦
- ٢- المناسبةُ بينَ السُّورِ: ٢٨٦
- ٣- المناسبةُ بينَ مطلعِ السُّورةِ وخاتمتِها: ٢٨٦
- تطبيقاتُ للمناسبةِ بينَ الآياتِ ٢٨٧
- الآيةُ الأولى: ٢٨٧
- الآيةُ الثانيةُ: ٢٨٨
- الآيةُ الثالثةُ: ٢٨٨
- الآيةُ الرابعةُ: ٢٨٩
- الآيةُ الخامسةُ: ٢٨٩
- الآيةُ السادسةُ: ٢٩٠
- الآيةُ السابعةُ: ٢٩٠
- تطبيقاتُ للمناسبةِ بينَ السُّورِ ٢٩٢
- مناسبة الترتيب بين سورتي النساء والمائدة: ٢٩٢
- لما كانت سورة النساء تشتمل على عدة عقود كعقد النكاح وعقد الإيمان والمواثيق والوصية وغيرها، بدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. [المائدة: ١]. ٢٩٢



- ٢٩٢..... مناسبة الترتيب بين سورتي يونس وهود:
- ٢٩٢..... مناسبة الترتيب بين سورتي يوسف والرعد.
- ٢٩٣..... مناسبة الترتيب بين سورة القمر وسورة الرحمن.
- ٢٩٤..... مناسبة الترتيب بين سورتي الممتحنة والحشر، وبين سورة المجادلة.
- ٢٩٥..... مناسبة الترتيب بين سورتي المنافقون والتغابن:
- ٢٩٦..... مناسبة الترتيب بين سورة القيامة، وبين سورة الإنسان:
- ٢٩٦..... مناسبة الترتيب بين سورتي البروج، والطارق.
- ٢٩٧..... مناسبة الترتيب بين سورتي الفيل، وفُرَيْشٍ.
- ٢٩٨..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ السورة ونهايتها.....
- ٢٩٨..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ المائدة ونهايتها:
- ٢٩٨..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ التَّوْبَةِ ونهايتها:
- ٢٩٨..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْأَنْبِيَاءِ ونهايتها:
- ٢٩٨..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْمُؤْمِنُونَ ونهايتها:
- ٢٩٩..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْقَصَصِ ونهايتها:
- ٢٩٩..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْحَاجِيَةِ ونهايتها:
- ٢٩٩..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الدَّارِيَاتِ ونهايتها:
- ٢٩٩..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْمُمتَحِنَةِ ونهايتها:
- ٣٠٠..... المناسبةُ بينَ مَطْلَعِ سورةِ الْقَلَمِ ونهايتها:
- ٣٠١..... القَاعِدَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ: العِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ
- ٣١١..... المحتويات



سَعِيدِ بْنِ مُصْطَفَى دِيَابِ

القواعدُ المُثَلَى لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

